المقدمة

في بيان حدوث المصادر الاصلية من اللسان العربي بحكاية الاصوات

و فيها ايضا

من بيان الكون والفساد و شيوعه † في الحيوانات والنباتات

والمخترعات الانسانية

و تحتوي

على مسايل عديدة من الفلسفة الجديدة و على مباحث نفيسة

من العلة والمعلول

منشئها

الفاضل الاديب والحبر الاريب المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري

بارسٹر ايٹ لا فلو آف يونيورسٹي الہ آباد لا پروفيسر مدرسة العلوم

عليگڈه

قد طبع في مطابع سين تيفك سوسائٹي الواقع في بلدة عليگڈه

سنه ١٨٩٥ع

† اي ان الضمير يجعل الكون والفساد تعقلاً واحداً —

تصحيح أغلاط

صحيح	غلط	سطر	صفحة
صورت	صورة	٣	٢
يدعو	يدعو	٨	ايضا
يجي	يحي	١	٣
يمرنوا	يعرنوا	١٧	ايضا
الاخورتين	الاخرتين	١٩	٣
الالفاظ	الفاظ	٢٣	ايضا
ايضا	ايضا	٢٢	ايضا
ابن	اين	٦	٦
لان اثور او اثور ابا	لان اثور اثور ابا	١٣	٧
ناطقة	باطه	٢١	٨
يجمع	لجمع	٨	٩
مختلفة	المختلفة	١٣	ايضا
نبني	نمحي	١٦	ايضا
تطري	نطري	١٧	ايضا
قراس	ذ اه	ايضا	ايضا
خزانة	حزانة	٨	١٠
الصورة	المصورة	٢٥	ايضا
غيرها	غيرها	ايضا	ايضا
يظفر	يطير	٧	١١
تزعمها	تزعما	٩	ايضا
يأول	يقوة	١٠	ايضا
في	اي	١٨	ايضا
قوته	بوة	٢٣	ايضا

صحيح	غلط	سطر	صفحة
المعادلة	المحادث	٨	١٢
ترجمة	ترحة	١١	ايضا
يحدث	يتحسب	٢١	ايضا
ملاقيان	علاقيان	ايضا	ايضا
التلاقيات	التلاقي	١٢	١٣
امتاز	امتياز	١٥	١٣
لمقدار	المقدار	١٦	ايضا
معها	منها	١٤	١٥
يضربهما	يضربها	٢١	ايضا
اجزاء	اجزائها	٢٣	١٦
الامتزاج	لامتزاج	٢١	١٧
الزحام	الرخام	٢٥	ايضا
اطوالهما	اطوالها	٧	١٨
ايضا	ايضا	٩	ايضا
*	تر	ايضا	ايضا
تربيعيهما	بيعها	١٠	ايضا
بهما	بها	١٧	ايضا
دونهما	دونها	١٥	ايضا
مصداقيهما	مصداقها	١٠	١٩
خروجهما	خروجها	٢٢	ايضا
الممتازة	الممتاز	٦	٢٢
ينقضي	ينقضى	٧	ايضا
متدرجة	مندرجة	٨	ايضا
سطر ١٧و١٨ متصلان		١٧	ايضا
	تت	٢	٢٣

صحيح	غلط	سطر	صفحة
نهامالة	المقابلة	٣	١٣
يميز	يميزة	٢	١٣
يكون	بكون	٨	ايضا
امتياز	امتيازا	١٢	ايضا
ايضا	ايضا	ايضا	ايضا
يحوله	يحواه	١٣	ايضا
تمتاز	تماز	١٧	ايضا
*	—	١٣	ايضا
واحدة	واحده	٧	١٦
يفرز	يقرز	٢١	ايضا
† السيلنطراطا	سيلنطراطا	١٢	١٧
داخله	داخلة	٢٠	ايضا
اطالة	اطالة	١٣	ايضا
يتحيث	لتحيث	١٣	ايضا
يتعين	لتعين	٢٥	ايضا
يطاول	يطاولا	ايضا	ايضا
السيلنطراطا	سيلنطراطا	١٠	١٨
للقوة	القوة	٨	١٩
فرقة	فرقه	٩	ايضا
والاذن	الاذن	١٣	ايضا
فرقة	فرقه	ايضا	ايضا
فتصيق	فنصيق	١٣	ايضا
قريعة	قريعه	١٧	ايضا

† اذا دخلت عليه لام التعريف

صحيح	غلط	سطر	صفحه
الحادثة	الحادث	٨	١٢
قزحية	قزحة	١١	ايضا
بحسبه	بحسب	٢١	ايضا
علاقتان	علاقتيان	ايضا	ايضا
النافرات	التنافر	١٢	١٣
امتاز	امتياز	١٥	١٣
لمقدار	للمقدار	١٩	ايضا
معها	منها	١٢	١٥
يضربهما	يضربها	٢١	ايضا
اجزاءه	اجزائها	٢٣	١٦
الامتزاج	لامتزاج	٢١	١٧
الزحام	الرخام	٢٥	ايضا
أطوالهما	أطوالها	٧	١٨
ايضا	ايضا	٩	ايضا
*	تو	ايضا	ايضا
تربيعهما	بيعها	١٠	ايضا
معا	بها	١٧	ايضا
كونهما	كونها	١٥	ايضا
مصداقهما	مصداقها	١٠	١٩
خروجهما	خروجها	٢٢	ايضا
الممتازة	الممتاز	٦	٢٢
يخفى	يستخفى	٧	ايضا
متدرجة	مندرجة	٨	ايضا
سطر ١٧و١٨ متصلان		١٧	ايضا
*	=	٢	٢٣

صحيح	غلط	سطر	صفحة
بمعاملة	المقابلة	٣	٢٣
يميز	يموزه	٢	٢٤
يكون	بكون	٨	ايضا
امتياز	امتيازا	١٢	ايضا
ايضا	ايضا	ايضا	ايضا
يحوله	بحوله	١٣	ايضا
تمتاز	تماز	١٧	ايضا
*	—	١٤	ايضا
واحدة	واخده	٧	٢٦
يفرز	بفرز	٢١	ايضا
† السيلنطوراط	سيلنطوراط	١٢	٢٧
داخله	داخلة	٢٠	ايضا
اطالة	اطاله	٢٣	ايضا
بحيث	لحيث	٢٤	ايضا
يتعين	انعين	٢٥	ايضا
بطول	يطول	ايضا	ايضا
السيلنطوراط	سيلنطوراط	١٠	٢٨
للقوة	القوة	٨	٢٩
فرقة	فرقه	٩	ايضا
والاذن	الاذن	١٣	ايضا
فرقة	فرقه	ايضا	ايضا
فتصير	فتصير	١٢	ايضا
قريعة	ذريعة	١٧	ايضا

† اذ دخلت عليه لام التعريف

صحيح	غلط	سطر	صفحة
عديدة	عديدة	٢٣	ايضا
السيلنطراط	سيلنطراط	٨	٣٠
ايضا	ايضا	١٠	ايضا
المتفقهة	المتنقية	١٨	٣١
السلينطراط	سليقطراط	٢٢	٣٢
مستقلة	مستقلة	١٣	٣٣
إعلاء	إعداء	٣	٣٤
نشاتة	نشاتة	٨	ايضا
*	إن	١٣	ايضا
وكلا	كلا	٢٢	ايضا
الهالئين	الهالبين	٢٣	ايضا
عديدة	عديدة	٣	٣٥
بالسيارة	بالسيارة	٢١	ايضا
امتازت	امتيازت	١٩	ايضا
منهما	منها	٢٣	ايضا
في	ق	١٢	٣٦
السيلنطراط البسيط	البسيط	١٥	ايضا
يتاتي	يتاتي	٣	٣٩
الحادثة	الحادثة	٢٠	ايضا
احديهما	احدهما	٥	٤٠
تجديد	تجديد	١٩	٤٢
الاضافة	لا ضافة	١٣	ايضا
الالتقاس	التقاس	١٥	٤٤

صحيح	غلط	سطر	صفحة
باقي	الباقي	١٦	٣٥
لابواسطة	بواسطة	١٧	٣٦
و	من	١١	٣٨
توجد	يوجد	٢٢	٣٩
رهان	ررهان	٢٥	ايضا
درجة	دربجة	ايضا	ايضا
المدرك	المدركة	١٧	٥١
السطران متصلان		١١–١٢	ايضا
وله	تلة	١٧	ايضا
المحتاج	المحتاجة	٣	٥٢
او الجد جد او	او الجدا جدا و	١٦	٥٣
منها	منهما	٢٠	ايضا
و قبوله	بقوله	٢٥	ايضا
تعرض	يسير فيها	٦	٥٤
استنوق	استفوق	١٥	ايضا
□	□	٩	٥٥
وضعوا	وصفوا	٢٣	ايضا
بالحواس	باالحواس	٢٣	٥٧
الخارجية	مخارجية	٢٥	ايضا
رمزة معينة	رمزة معينة	١٢	٥٩
التعدية	التعديته	١٧	ايضا
خلافة	خلافه	١٩	ايضا
مصادر	مصادراً	٢	٦٠
مقتضى	تقتضى	١٦	ايضا
اياه	اباه	١٨	ايضا
كهيج	كهج	٢٣	ايضا
الصوتية	الصوتية	١٠	٦١

صحيح	غلط	سطر	صفحة
تصنيف	تصنف	١٨	ايضا
بقدر	يقدر	٢١	ايضا
تلك	تك	٩	٦٢
اللغة	الغة	١	٦٣
بالمزاولة	بالمشق	١٥	٦٤
و عصفور	عصفور	٨	٦٧
مرمن	حرفن	١٥	ايضا
يضاف	يضانن	٢	٦٨
في	وفي	١١	٦٩
*	هذجز	١١	٧٠
قصد	قصدا	٢١	ايضا
كلمة سوغة	كنمه حرعه	٢٠	٧١
يدل	بدل	٢٣	٧٣
الجلية	الجهالة	٥	٧٦
كيفه	كيفيه	٩	ايضا
ارمى	ادمى	١٧	٨٤
يشعر	بشعر	٢٣	٨٦
*	وَ	٣	٨٨
(حمورا) حمار	(خمورا) خمار	١٣	٨٩
في	هي	٨	٩١
ثم	ثمه	٢٣	٩٦
بدأ	بدة	٣	٩٩
السريعة	اسريعة	٢٣	١٠٠
خاتم	حاتم	٨	١٠١

صحيح	غلط	سطر	صفحة
والسقاء	السقاء	١٣	ايضا
قرد	ترد	١٥	١٠٢
التي	التي	٩	١٠٣
الاثارة	الاثارة	٢٢	ايضا
خاتمة	حاتمة	١٧	١٠٦
مع ذلك	ذلك	١	١٠٧
لينبثق	ينبثق	١٩	١٠٨
دحروجة	وحد وجة	٢١	ايضا
لتمام	لتام	٢٣	١١٣
شاملة على	عام	١	١١٥
المحسوس	محسوس	٥	ايضا
اما	إنا	٢	١٢٠
منهما	منها	٢٥	ايضا
فقدنا	تقدنا	٩	١٢١
غابرها	عابرها	٢٣	ايضا
اتصالهما	التصالهما	٦	١٢٣
عوقا	عونا	١٧	ايضا
*	—	١٥	١٢٤
لم زنا ها	لميز نا ها	١٨	ايضا
الميل	الفل	٢١	ايضا
ايضا	ايضا	٢٢	ايضا
تحديد	تحديد	١٢	١٢٥
ينجاذب	ينجاذب	١	١٢٦
المتنا قل	المتشاكل	١٠	١٢٧

صحیح	غلط	سطر	صفحه
تسمیة	تسمیه	٢٣	١٣١
هو	ما	١	١٣٣
تمخضه	تمخضه	١٥	ایضا
ترتب	ترتیب	٢٢	١٣٤
المشترک	باشترک	٨	١٣٦
لعال	للعال	٣	١٣٣
اخري	اخري	٢٣	١٣٤
الاثار	= اثار	١٧	١٣٥
معلولات	معولات	٦	١٣٧
الاستقراء	الاستقراء	٢٣	١٥٠
الظنون	الظنان	٣	١٥١
يحكم	يتحكم	١٥	ایضا
ما	ما	٣	١٥٢
*	؟	١٧	ایضا
من	عن	١٨	ایضا
الحدوث	الحدوث	١٢	١٥٣
غيرها	غيره	١٩	ایضا
او	اور	٢٣	ایضا
يصدر	تصدر	١٥	١٥٧
افعالا	افعال	١٩	ایضا
يحد قدا	يحدو قدا	٢٣	١٥٩
محدث	بمحدثا	٨	١٦٣
فكان	فكوان	٨	١٦٩
تعرف	تعرف	٩	١٦٩

فهرس مطالب المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اريد ان اذكر في هذه الوجيزة ماهيّة اللسان العربي و حديث تكوين مصادرها و أن انسب المصادر و اترجمها مميزا بين المصادر الاصلية والفرعية و بين المعاني الحقيقية للمصادر و مشتقاتها والمعاني المجازية لها باحثا عن اسباب صورة المصادر الاصلية بصورة المصادر الفرعية وعن العلاقات التي نقلت المصادر والمشتقات من المعاني الحقيقية الى المجازية والغرض منها رد كثير من الكلمات المأثورة الى قليل من المصادر الاصلية و جعل الوضع امرا عقليا ليهون على طلاب العربية ضبطها و يحلي لهم كسبها والخوض في المقصود يدعو الى تقرير فصول .

(فصل في اصل اللغة العربية)

قال يوسف داود الموصلي في كتابه في نحو العربية ان اللغة التي تستعمل في هذه المدينة و في معظم البلاد الغربية الجنوبية من اسيا في مصر و سائر البلاد الشمالية من افريقة و في غير ذلك من الامصار تسمى اللغة العربية نسبة الى العرب الذين هم في الاصل سكان اليمن والحجاز و سائر ما يجاورهما من البلاد المعروفة بجزيرة العرب و سكان صحارى الشام و الجزيرة والعراق و كانت اللغة العربية يوما على انحاء شتى بسبب اختلاف قبائل العرب وتقاليدهم كما يختلف الان لسان البلد

الواحد عن لسان البلد الاخر من بلاد العرب انفسهم قال الشيخ يحيى في رسالته المسماة بارتقاء السيادة ان العرب الماخوذ عنهم اللسان العربي الموثوق بعربيتهم هم بنو قيس و تميم و اسد و هذيل و بعض الطائيين اى بني طى انتهى فكانت لغة هذه القبائل المذكورة افصح لغات العرب و عليها المعتمد و اليها المرجع و من هذه القبائل بنو قريش و هم بطون مضر ولد اسمعيل و لغتهم مفضلة على غيرها لانه فيها نزل القرآن

اعلم ان اللغة العربية هى احدى اللغات المعروفة بالسامية اى المنسوبة الى سام بن نوح لان اهلها كلهم من نسل هذا سام بن نوح و هذه اللغات من غير العربية هى العبرانية و السريانية والكلدانية و النبطية والموابية و الفونيقية والحبشية والسامرية وغيرها وهذه اللغات السامية كلها خواص مشتركة تتميز بها من سائر لغات الدنيا المعروفة — منها ان فيها حروفا لايقدر ان يلفظها غير اهلها وهى الحاء والعين و القاف والصاد والطاء وغيرها و منها انه فيها يتميز المؤنث من المذكر في الضماير و الافعال — و منها ان الضمائر تتصل بافعالها و اسمائها و حروفها و مما يولي التعجب ان هولاء بني سام يرون على وجه العموم مفطورين طبعا على لفظ الحروف الحلقية حتى ان اطفالهم الرضعان ينطقون بها قبل كل حرف بعد الباء والميم والدال مع ان سائر الاقوام من اي جنس كانوا يضطرون ان يعرفوا زمانا مديدا حتى يقدروا ان يقتربوا الى لفظ حرف من تلك الحروف لابل يستحق الذكر ان الساميين يهون عليهم لفظ اللغات الاجنبية واما لغاتهم فقلما يوجد احد من الغرباء يحسن لفظها *

قد اختلف المذاهب في القول اى من جميع هذه اللغات السامية هى الاصلية لانه لاشك فى ان كلها بنعت من اصل واحد فزعم كثير من القدماء ان اقدم هذه اللغات و امهن هى العبرانية و زعم كثير و لا سيما المتاخرين من المشرقيين ان اقدمهن هى السريانية و لكن الراى الصحيح دون غيره على ماترى هو ان العربية هى اقدم من سائر اللغات

السامية و اقرب كلهن الى اللغة الاصلية التي هي ام لهن جميعاً و ادلة ذلك كثيرة و نحن نذكرها هنا اخصها *

الدليل الأول — ان جميع الاصول اي المواد الموجودة في احدى اللغتين العبرانية والسريانية دون الاخرى توجد في اللغة العربية كما هو معلوم لدى كل خبير ما عدا شيئاً قليلاً يوجد في العبرانية والسريانية دون العربية مما لا يستحق ان يحتفل به و من هذا يتضح ان اقدم هذه اللغات هي العربية و ان العرب حفظوا من اللغة الاصلية الاصول الاولى كلها و اما السريان والعبران فاتخذوا منها شيئاً و تركوا شيئاً و اختلفوا في كثير مما اتخذوه *

الدليل الثاني — هو ان الالفاظ العربية تصاغ كلها على قياس واحد ولا يوجد في صوغ الفاظها شذوذ عن القياس الا نادرا جدا فانك في الافعال العربية كلها لاتجد الافعلين او ثلاثة تخرج عن القياس مع اتساع هذه اللغة و غناها العجيب المضروب به المثل و اما اللغتان الاخريان ولا سيما السريانية فالشذوذ فيها يكثر على القياس يكثر حتى في الالفاظ الاولية المحتاج الى استعمالها اكثر ما يكون كالضمائر المنفصلة والمتصلة بالافعال والاسماء و ما اشبه ذلك *

الدليل الثالث — ان في العبرانية والسريانية الفاظا كثيرة قد ضاع اصلها و استبهمت حقيقتها و لكن توجد اصولها في اللغة العربية و منها ترفع الشبهة الموجودة في اللغتين الاخرتين *

الدليل الرابع — انه في العبرانية والسريانية قد سقطت اجزاء اصلية من بعض الالفاظ و تجدها في اللغة العربية فقط كالنون في انت و انتم واللام في ال التعريف والنون من مضارع الافعال المبتدئة بالنون *

الدليل الخامس — ان الفاظا التي في العربية يوجد فيها حرف الضاد و هي موجودة في السريانية والعبرانية ايضا حول العبرانيون ضادها صادا والسريانيون عينا بقياس مطرد نحو الارض و ضان و ضاق و قبض

فانها في العبرانية ارص و صان و صاق و قبص وفي السريانية ارع وعان وعاق و قبع فلو كانت هذه الالفاظ في الاصل عبرانية لم يكن سبب ان تقلب صادها في العربية الى ضاد و في السريانية الى عين على قياس واحد اذ توجد الصاد في كلتا السريانية والعربية وكذلك لوكانت في الاصل سريانية لم يكن موجب ليتحول عينها ضادا في العربية وصاداً في العبرانية اذ توجد العين في كلتا العربية والعبرانية فيجب ان نقول ان هذه الالفاظ هي في الاصل عربية اذا كان حرف لايوجد الا في العربية اي اضاعه العبران والسريان التزم العبرانيون ان يجعلوه صاداً والسريانيون عيناً وكذلك الالفاظ العربية التي فيها حرف الذال جعلت ذالها في العبرانية زاياً وفي السريانية دالاً بدون خلاف نحو ذكر وعذر وذراع فانها في العبرانية زكر وعزر وزروع وفي السريانية دكر وعدر و دراع وكذلك الالفاظ التي في العربية لها حرف الثاء جعلت ثاءها في العبرانية شيناً و في السريانية التاء بقياس مطرد نحو ثلج وثعلب وثقل وثور وميراث و وثب و اثنان وثلاثة ولايجوز ان نقول ان هذه الالفاظ كانت في الاصل عبرانية او سريانية اي اصلها بالشين اوبالتاء لانها لوكانت في الاصل بالشين لبقيت بالشين اوبالسين في العربية والسريانية كالفاظ أخرى كثيرة جداً هي بالشين او السين في اللغات الثلاث ولوكانت في الاصل بالتاء لبقيت على تائها في اللغات الثلاث كالفاظ أخرى كثيرة هذه اخص الدلائل الباطنة المتخذة من فحص اللغات السامية في نفسها ولنا برهان اخر على ذلك قاطع كل ريب خارجي مستند على التاريخ وهو ان اقدم كتاب كتب في العبرانية هو سفر ايوب باعتراف جميع العارفين والحال ان هذا سفر ايوب مشحون بصيغ والفاظ عربية كما يعلم كل خبير فهذا دليل على ان اللغة العبرانية نفسها في تلك الازمان القديمة كانت اقرب الى العربية مما صارت فيما بعد واذا خصصنا الكلام عن اللغة السريانية نقول انه لايحتمل أصلاً ان اللغة السريانية هي اصل ولا سيما على الحال التي هي فيها الان و اسباب ذلك كثيرة اخصها ان اللغة

السريانية سقط من كلماتها المستعملة اكثر مايكون وخصوصاً من الضمائر حروف كثيرة كانت توجد بلاشك فى اللغة الاصلية وقد بقي اثرها الى الآن فى اللغة السريانية نفسها فقد اسقط السريان فى اللفظ غالباً ضمير ياء المتكلم من الاسماء والافعال وواو الجمع ونون جمع الاناث من الفعل الماضي وتاء المؤنثة من الامر والهاء والياء من الضمير المفرد الغائب المتصل والهاء من ضميره المنفصل وقلبوا ياء المضارعة الى نون وقلبوا النون الى راء في كلمة اثنين والاثنين واسقطوا صيغة المثنى من الاسماء راساً الا في اربع الفاظ اي الاثنين والاثنتين والمائتين و اسم مصر وهى ترين و تارتين و مائتين و مصرين الى غير ذلك فهذه البينات وغيرها تؤكد لنا انه لا اللغة السريانية ولا العبرانية كانت ام اللغات السامية بل ان العربية هى امهن أو ان لم تكن هى امهن هى اقرب كلهن الى اللغة الاصلية فى المرض ان اللغة الاصلية قداندرست ولكن لعل معترضاً يعترض قائلاً كيف يمكن ان تكون العربية اصل اللغات السامية والعبرانية و السريانية من فروعها و نحن نعلم ان اللغة العبرانية كانت مكتوبة منذ الاحقاب القديمة و قد كتب فيها اول كتاب وصل الى عهدنا من دون سائر اللغات والسريانية كانت شائعة فى الدول الكبيرة التي قامت في بر الشام والجزيرة والعراق و مادي و فارس و ارمينية جيلا بعد جيل و اما العربية فلم تشع في الكتب الا في نحو القرن السادس بعد المسيح فنجيب ان هذا لا يبين ان اللغة العربية احدث من العبرانية و السريانية بل فقط انه لم يكن لها علوم و كتب الا بعد هما بكثير من الاجيال فان العرب كانوا موجودين في بلادهم منذ الدهور القديمة فكانوا اذا يتكلمون بلسانهم منذ الدهور القديمة ولو لم يقرأوا ويكتبوا مثلما السريان والعبرانيون كانوا في بلادهم منذ سنين كثيرة لابل نقول انه من المحتمل ان العرب و السريان (اي الاراميين) والعبرانيين (اي اليهود) كان لهم جميعاً في الاصل لغة واحدة و هذه اللغة الواحدة ادخل اليهود و السريان فيها تغييرات و تحريفات كثيرة في تمادي الزمان لسبب الانقلابات و النوائب الكثيرة

المتتابعة التي وقعوافيها اذا استولى عليهم الامم الاجنبية ورحلوابهم من ارض الى ارض وغير ذلك اما العرب فحفظوا اللغة الاصلية لانهم كانوامطمانين في ارضهم لم يحكم عليهم غريب ولا وقعوا في نوائب شتتت شملهم ولاتعاقبت عليهم دول قرضت بعضها بعضاً كماحدث الامرمع العبرانيين و الاراميين *

ولكن يعترض المعترض ثانية قائلا ان العرب اول اصلهم هومن قحطان اويقطان بن عابرابي اليهود اي العبرانيين فلغة العبرانيين اقدم من لغتهم لان جدهم كان ابن جدالعبرانيين فنجيب انه اذاسلمنا ان العرب اصلهم من يقطان المذكور لاينتج ان اللغةالعبرانية اقدم من العربية لان يقطان و عابراباه كانا بلاشك يتكلمان بلغة واحدة هما و اولاد هما و ذلك لانهما لميمكن ان تتغيرلغتهما الابعد مرور اجيال كثيرة فهذه اللغة الواحدة التي كان يقطان و عابرتتكلمان بهاكانت لغة سام جدعابر و لغة ابنه اشور اواثوراابي الاثوريين ولغة ابنه الاخرارام ابي السريانيين فكان في اول الامرالاثوريين والسريانيون والعبرانيون والعرب لغةواحدة لانهم اذكانوا في اول امرهم قريبي العهد كلهم الى جدهم سام بن نوح لم يمكن ان تختلف لغاتهم عن لغة جدهم الا بعد مرور اجيال فلما مضت بعد ذلك الجيل الاول اجيال الله يعلم عددها اخذت لغة اولاد سام تتغير وزاغت قليلا اوكثيراًعن اللغة الا صلية لغة جدهم كماحدث الامرلسائر لغات الدنيا حتى اضحت لغة سام بعد قرون كثيرة لغات شتى جديدة فسميت عند بني عابر بالعبرانيه و عند بني اشور بالاثوريه و عند بني ارام بالسريانيه و عند بني يقطان بالعربية و عند غيرهم بغير ذلك ولكن بني اليقطان اي العرب حفظوااللغة الاصلية اكثر من سائر اولاد سام كمابينا سابقا و الافلوكان التناسل وحده دليلاً على قدم اللغة اوجب ان نقول ان لغة الاثوريين اي الكلدانيين هي اقدم من اللغة العبرانيه بثلاثة اجيال لان اثورا و اشورا باالاثوريين كان ابن سام شالحاً و اما عابراً ابو العبرانيين فكان ابن ابن ابن سام كماتشهدالتوراة في الباب العاشر من سفر التكوين لانه كان ابن شالح بن ارفكشاد بن سام و التناسل وحده لايوجب

اختلاف الالسنة و الا وجب ان يكون كل من اولاد اولاد سام المذكورين في الفصل العاشر و الفصل الحادي عشر من التوراة ذا لغة واحدة و وجب ان تكون لغة اليهود مختلفة عن لغة عابر بكثير جداً لان ابراهيم ابا اليهود كان بعيداً عن عابر المنسوبة اليه اللغة العبرانية بسبعة اجيال *

فقد قرأنا و ثبت ان اللغة العربية هي التي [illegible] من سائر اللغات السامية واخواتها العبرانية والسريانية و ان [illegible] هو من امهات اللغات كاليونانية والجرمانية والفارسية *

فصل في حد الادراك

العين لا تدرك [illegible] و الانف لا يدرك الخشونة واليد لا تدرك [illegible] و الاذن لا تدرك البعد بل كل واحدة من الحواس تدرك وصفاً خاصاً لا يدركه غيرها ولا يدرك بغيرها و كما ان لادراك الحواس حداً [illegible] يغفو مثل ذلكما الحائط كذلك للعقل حداً لا يتجاوزه ولا [illegible] وضابطه ان العلم البشري لا يتحقق الا [illegible] رده الى المدركات [illegible] الخمس او رد اثره الى المدركات [illegible] من علم الحركات المحسوسة الى [illegible] يقوم مقام الة [illegible] على الكثير من الموجودات و [illegible] ان امكن رده الى المحسوسات كان [illegible] و ان لم يمكن رده الى المحسوسات [illegible] يسمى علما *

مثل علم الكليات [illegible] في كونها علامة [illegible] من [illegible] امكن [illegible] بالوجدانات [illegible] وان لم يمكن [illegible] باطلة وكذلك علم الكليات علامة يكون صحيحاً ان امكن رده الى المحسوس [illegible] ان لم يمكن رده اليه [illegible] في كونه صحيحاً [illegible] ادراك [illegible] الخمسة [illegible] و قصور العقل [illegible] على عدم ادراك [illegible] بالحواس [illegible]

ان تصور العدم المحض اسم لفقدان العلم وعدمه وليس بعلامة لشيء يمكن ادراك افراده بالحواس الظاهرة وحيث لايمكن ادراك افراد محض العدم بالحواس الظاهرة ولاادراك اثر تلك الافراد بالحواس الظاهرة لايتعلق علمنا بالعدم المحض ولايصلح العدم المحض ان يكون موضوعاً او محمولا لقضية موجبة اوسالبة تفيد الخبر *

تمثيل فيه توضيح — ان كان عندنا رطل من الشمع قدرنا ان نصوره بيتاً او مسجداً او حماماً اوفرساً اوجملاً او شيأ اخر من المصنوع والمخلوق اذا صورناه بيتاً فعلنا ذلك لتجمع ذرات الشمع في الصورة البيتية ثم اذا سويناه مسجداً اذ لنا الصورة البيتية الطارية على ذراته وجمعناها في الصورة المسجدية وكذلك اذا امثلنا الشمع فرساً جعلنا بعض الذرات في موضع الراس والبعض في مقام الصدر والبعض في موضع الحوافر والبعض في مقام الكفل وبمحو الصورة الطارية واثبات الصورة المطلوبة يسوغ لنا ان نتخذ من ذلك القدر المعين من الشمع المعين في اوقات المختلفة جميع ما نشاهد في العالم من المخلوقات والمصنوعات وغيرذلك ان في هذه الاطوار العدد الزائد عند حدتبقي ماهية الموم ماهي هي لا يصير ذهباً اوكبريتاً ويبقى مقداره ماكان لاتزيد فيه سالمة ولاتنقص منه سالمة وتمحى الصور المجموعية الطارية عليه امثالنا و تذهب ومانطرى صورة من الصور الا بوقوع ذراة في مقامات معينة وبكونها في علاقة مكانية خاصة تبقي الصورة مابقيت تلك العلاقة وتزول اذا زالت *

كان حكماء اليونان يسمون الموم علة مادية والانسان العامل علة فاعلية والصورة الطارية علة صورية وحيث لايصنع الانسان شيأ في الغالب عبثا كانوا يسمون الغرض الذي يدعوا الى جعل المصنوع ووضع سالمات المادة في علاقات مكانية تسمى صورة علة غائية اما اذا اردنا بالعلة شيأ موجوداً في الخارج متوقفا على وجوده وجود المعلول ضرورة لاتكون الصورة علة لانها حالة تحدث باثر العلة الفاعلية في المادة ولاتكون موجودة

في الخارج من قبل و المصنوع المعين لايحتاج ضرورة الى صورة معينة و الغير المعين لايستحق ان يكون علة لمعين و الصورة عرض ليس لها وجود مستقل و بعد كونها كذلك كيف تقع علة لمستقل حاصل لغير المستقل و اطلاق العلة على الغاية الداعية الى عمل المصنوعات اغرب من اطلاقها على الصورة = الغاية كيفية نفسانية تعرض ذوي العقول فقط فان قلنا بان كل علة تامة محتاجة الى غاية لزم ان نقول بانه لا يحدث حادث في العالم من غير ان يريده ذو عقل له غاية في حدوث ذلك الحادث و ماهذا الا من حديث خرافة هل ينحدر السيل لان السلطان اراده هل يرتفع البخار لان الامير رغب فيه هل يحترق الخشب لان النار تريد كذلك هل تنكسر القارورة الواقعة على حجر لان الحجر له غاية في انكسارها هل يضر اللحم في الصيف لان له فيه غاية هل يصير الميت رفاتاً لانه يرغب فيه = فانا في هذا مشحون من معلولات جمة ليس شيء من عللها بمريد او كاره و ان نسبنا الغاية و الارادة الى تلك العلل ومنا شططا هل يهلك الداء بالارادة او هل ينفع الدواء بالارادة هل يجذب المغناطيس بالارادة او هل يخطف البرق بالارادة و غير خاف ان الغرض الكامن في صدور الناس ليس بعلة لعمل المصنوعات من السرير و السيف و الثوب و التماثيل هو علة الا فعال البدنية الصادرة من الناس الذي يكون بعضا من علل تلك المصنوعات فالغاية علة لبعض العلل و ليست بعلة من العلل التي تتركب منها العلة التامة هذا – و اذا افرضنا الفاعل العاقل المريد علة فمن البديع فك ارادته عنه و القول بانه علتان فاعلية و غائية من خبط عشواء و لعل الذي حدا حكماء اليونان الى مثل هذا الاعتقاد هو ما شاهدوه في المصنوعات الانسانية من عدم توقفها على الغائب عنها فقاسوا عليه العالم و اعلم ان ما صورناه لك من حدوث الا شياء الكثيرة من العموم بعينه يشاهد في الدنيا في تكون المخلوقات من علة فاعلية و علة مادية تولد علة غائية خاصية في المادة الموجودة فيتحدث المخلوقات بطريان الصور المجموعية المختلفة ولا يخفي هذا العالم من بيان المادة و الصورة و غيرها *

فصل في المادة

المادة هي التي تكون سبباً للمقاومة وبها تكون مغايرة للفضاء الواسع الذي يحسب اتصافه بالابعاد الثلاثة ويعتقد اليوم ان الكون كان حيز المادة الواحدة ثم صارت تلك المادة لعلل لا يعرفها الا الله متصورة في صورة المفردات التي بلغ عددها الى ثلاثة و ستين فيها الذهب و الفضة و الحديد و الكبريت — الزئبق والفحم والحار والرطب والمليح (فسفورس = كاربن — اكسيجين = هيدروجن = نيتروجن) و هذا الاعتقاد ناش من الفطرة الانسانية التي ترغب في رد الكثرة الى الوحدة قياساً على ماتشاهده — و في نشر المركب الى البسيط و سميته اعتقاداً لاعلماً لانه لم يظهر احد الى يومنا هذا رد المفردات العديدة الى تلك المادة الواحدة و المراد بالمفرد جوهر مادي لايمكن نشره الى ماهو ابسط منه و الماديون التي تزعمها مفردات يمكن ان تكون في الواقع مركبة بعضها او كلها و ان يفوز بنشرها الى الابسط منها الا حقون *

فصل في بعض خواص المفردات

اعلم ان المفردات مؤلفة من سالمات لا تقبل القسمة و لها خواص *

منها الحركة كان يرى فيما غبر ان المادة ساكنة بالذات و ان الحركة يعرضها بقسر من القاسر و الراي اليوم ان الحركة طبيعية لسالمات المادة و ان السكون الا عتباري الذي يعرضها يعرض لتعارض الحركات في الجهات المتقابلة ان جذب احد سفينة راكدة على الماء الى المشرق جرت في تلك الجهة ثم ان جذبها آخر بقوة مساوية لقوة الجاذب الى المشرق نحو المغرب انقطع جريانها الى المشرق و اعتاضت السكون بالحركة و بعد السكون الحاصل من تساوي الجاذبين في القوة ان جذبها ثالث الى الشمال بحيث يكون خط قوة عموداً علي الخط المستقيم الممتد بين المشرق و المغرب لجرت الى الشمال ثم ان جذبها رابع في الخط المستقيم الخارج نحو

المجذوب من الخط الشمالي بقوة مساوية لقوة الجاذب الى الشمال وكذا مرة اخرى وهكذا حال الماديات كلها لايكون شيء منها ساكناً الا بعمل الحركات المتقابلة في الجهات المتناقضة *

منها الوزن النوعي ان اخذنا حجمين مساويين من مفردين كان وزن احدهما اكثر او اقل من وزن الآخر وان اخذنا مقدارين مساويين في الوزن من مفردين كان حجم احدهما اكبر او اصغر من حجم الآخر وهذا الوزن المختص بكل من المفردات يسمى الوزن النوعي *

منها ان القزح الحادث من انارة المفردات تختلف باختلاف المفردات ويتفاوت قزح واحد من المفردات من قزح مفرد آخر في عدد الخطوط النيرة والمظلمة وكل قزحة تدل بدلالة المسبب على السبب على المفرد الذي هي قزحة دلالة لايحوم حولها ريب *

منها ان سالمات المفردات اذا دخلت في تركيب الاجسام دخل منها عدد سالم في التركيب — لايدخل مثلا سالمتان وسبع من مفرد مع خمس سالمات و خمس من مفرد آخر في تركيب شيء من الاشياء ومع سالمية عددها في التركيب تبقى نسبة سالمات مفرد الى مفرد آخر معينة في المركبات اي اذا تركب شيء من اربع سالمات من مفرد وثمان من سالمات مفرد آخر تكون نسبة النصف بين المفردين في ذلك المركب مستمرة لاتبديل لها وهذا هو المراد بقولهم ان السالمات لاتقبل القسمة واما القسمة الامكانية او الوهمية فشيء يعرض لكل ما يدرك *

منها ان سالمات المفردات متفاوت في عدد العلاقات التي بها تتعلق بمفردات آخر بحسب ان الرطيب له علاقة وان الحار له علاقتان وان المنحم له اربع علاقات وهذا من غرائب صفات سالمات المفردات *

منها التجذب كل سالمة من كل مفرد له جذب الى مثله وبهذا التجذب توجد قطع من المفردات والمركبات في صورة الاجسام الجامدة واذا اردنا كسر قطعة من مفرد او مركب جامد احتاج الافراز الى قوة مناسبة

للجذب موجود في سالمات ذلك المفرد اوالمركب و اذا كسرناه غلبنا على الجذب الموجود فيه ولايعمل الجذب عمله الا اذا كانت السالمات قريبة كما كانت — لايجذب سالمات الحديد اخواتها ان سحقناه دقيقاً لان البعد الحاصل بالسحق بعد لاقدرة معه لسالمات الحديد ان تجاذب اما اذا اذبناه وصار سائلاً ثم خليناه يبرد حصل بين السالمات قرب يكفي للجاذبة *

منها الثقل وبه يتجاذب الماديات من بعد — ادركه الحكيم الحاذق نيوتن واستنبط منها كليات عجيبة في الهيئة وغيرها — به يدور القمر حول الارض وبه تدور الارض حول الشمس وبه توجد الاجرام السماوية في اماكنها *

منها ان سالمات مفرد تتفاوت رغبة الى سالمات مفردات اخر ترغب سالمات مفردات مختلفة برغبات متفاوتة الى الامتزاج بسالمات سائر المفردات — بعض المفردات لها رغبة شديدة الى الائتلاف و بعض تأتلف بكراهة والبعض لاتمتزج ببعض آخر مطلقاً فالراغبات من المفردات تمزج باليسر والسهولة والتفافر لاتأتلف الا بالعسر والبطوء *

منها ان سالمات مفرد من المفردات بانضمامها بالجذب و ان تصير في صورة قطعة واحدة لاتتلاصق لصوقا تاماً لايبقي معه خلل بينها بل في الحقيقة تبقي قريبة من غير ملاصقة والفرج الموجودة بين السالمات المتقاربة غاية القرب تسمى مسامات تختلف في الصغر والكبر في المفردات المختلفة — مسام الذهب اصغر من مسام الحديد و مسام الحديد اصغر من مسام الكبريت ولمكان تلك المسام تكون المفردات جامدة اوسائلة او بخارية بالحرارة تزيد حركة السالمات وبالحركة يزيد البعد فيما بينها فتصير اولا سائلة ثم يزيد البعد فيما بينها باضافة حرارة زائدة فتصير بخارية والضغط ايضاً له دخل في الاحوال الثلثة زيادته تمنع من السيلان والبخارية ان احتاج مفرد الى مقدار معين من الحرارة لذوبه مع ضغط معين احتاج الى حرارة زائدة اذا كان الضغط زائداً لان السالمات كما

تتباعد بالحرارة كذلك تتقارب بالضغط ويظهر مما ذكر ان سالمات المفردات متصفة بصفات عديدة من السلامة والحركة والجذب والوزن النوعي والعلاقة والثقل والرغبة والنفرة وقد كانت منتشرة في الفضاء عائمة في الاثير *

فصل في القوة

نشاهد في المادة الحركة والحرارة والنور والبرق والمغناطيسية والجاذبية والثقل وغيرها وكما ان حب التوحيد يحملنا على اعتقاد ان الماديات كلها من مادة واحدة كذلك يحثنا على اعتقاد ان هذه القوى المختلفة مظاهر قوة واحدة هي جنس الاجناس للآثار غير المادية تظهر من المادة ومعها يمكن افرازها عن المادة في الذهن فقط ولكن لا سبيل الى وجودها في الخارج بدونها *

فصل في ان المادة والقوة لا تنعدمان محضا

اذا اتقد رطل من زيت في سراج تصير اجزاء الزيت بامتزاجها باجزاء الهواء الموجود في الهواء بعضها ماء وبعضها حامضا ويكون مقدار المركبات الحادثة من احتراق الزيت مساويا لمقدار الزيت ومقدار الهواء المضاف اليه ولو قدرنا على رد هذه المركبات الحادثة الى الزيت حصل رطل معين بعينه من غير نقصان ولا زيادة اذا نشرنا رطلا من الماء الخالص امتاز المفردان اللذان يتألف منهما الماء وكان وزن المفردين معاً مساوياً لوزن الماء المنشور وان لففنا هما حصل الماء وكان وزن الماء الحاصل رطلاً — اذا جف غدير يجف بصيرورة الماء الموجود فيه بخارا بحرارة الشمس وان جمعنا ذلك البخار وبردناه صار ماء مرة أخرى ويكون مقداره مساويا للمقدار الماء الذي كان في الغدير *

ويظهر من الامثلة المذكورة ان شيئا اذا انعدم في الظاهر لا ينعدم في الواقع بل يمضي الى صورة أخرى ويترك الصورة الموجودة — اذا نشأ سحاب لا ينشأ من محض العدم بل تكون اجزاء الماء موجودة في الجو فاخذ ببرودة الهواء صورة الهيئة تسمى سحابا — اذا حدث شهاب لا يحدث من العدم المحض بل تكون اجزاء الشهاب موجودة في الجو حادثة

الا نتشار فتاتلف و تتصور شهاباً و يظهر من المثالين ان وجود شيء لايكون من محض العدم بل بطريان صورة تاليفية على اجزاء من المادة موجودة من قبل — و فيما مر كفاية لبيان ان الماديات عند وجودها و فنائها تمضي من حالة وجودية الى حالة وجودية أخرى تكون اجزاء الشيء مجتمعة فتسمى بذلك الشيء و تصير ذرات ذلك الشيء منتشرة فيقال ان الشيء انعدم وتكون ذرات الشيء منتشرة فيقال ان الشيء معدوم ثم تجتمع في صورة مجموعية فيقال انه صار موجوداً و القوة في وجودها وتقلبها كالمادة كما ان المادة لها اطوار تمضي فيها من صورة الى صورة أخرى ولا تفنى فناء محضا كذلك للقوة ادوار تمضي فيها من نوع الى نوع آخر ولا تنقرض انقراضاً تاماً كما ان المادة لاتصير عدم المادة كذلك القوة لاتصير عدم القوة اذا وضعنا زندة على الارض وصدمناها بالزند سكن الزند من الحركة و تحركت الزندة من السكون و الحركة التي بها تحرك الزند لم تنعدم بل انتقلت منه الى الزندة — اذا قبضنا على الزندة بقوة كافية لا تزول منها عن مقامها و ضربنا عليها بالزند بقوة كافية سكن الزند وزالت حركته في الظاهر الا انها باقية في الواقع في صورة الجمرة التي خرجت من تصادم الزندين — كانت المشاهدة حركة حجمية قبل التصادم و عنده فانقلبت بالمصادمة حركة سالمية هي النار فبالقدح و ان سكنت الحركة الحجمية الا انها لم تفن بل اتخذت صورة أخرى وهي الحرارة و من انقلاب نوع من القوة الى نوع آخر جعل الماء بخارا بالحرارة ثم استعماله في البابور لقطع المراحل تبدل فيه الحرارة بالحركة — سحق عودين بالشدة من بعض الاشجار يضر بهما و ما هو الا بدل الحركة بالحرارة — رايت الحديد يذاب بالقوة البرقية و ما هو الا صيرورة البرق حرارة ورايت البابور يجرى بالبرق ما هو الا انقلاب البرق حركة *

فصل في الصورة

تسمى الشمس طالعة اذا كانت في موضع خاص بالنسبة الى الارض و مقام معين من الناظر و صفة الطلوع ازدالته علاقة مكانية تتصف بها

الشمس مادامت تلك العلاقة بين الشمس والارض والناظر واذا وقع تغيرٌ معتدبه في حيزواحد من الثلثة وقع التغير فى العلاقة المكانية ومع زوال العلاقة زالت حالة الطلوع و صفتها فالصفة و الحالة و العلاقة متحدة المفهوم — القمريبدو هلالاً ثم يتزايد فى النور حتى يصير بدراً فيما يقاربُ نصف الشهر ثم ينقص في النور حتى يعود هلالاً فيما يقارب النصف الباقيْ وَ الحالة التي يظهر فيها القمر في كل ليلة علاقة مكانية خاصة بين القمر و الارض و الشمس و الناظر و التغيرات المشاهدة فيه في كل ليلة ليست الا التغير الواقع في العلاقة المكانية و يظهر من المثال ان الحالة علاقة مكانية بين اشياء عديدة تبقى مادامت تلك العلاقة و تزول اذا زالت و يظهر ايضا ان العلاقة المكانية ليست بجوهر بل عرض غير مادي يعرضُ للماديات المتعددة و لايمكن طريانه على مادي واحد لان تعقل العلاقة من غير تعقل التعدد محال *

و كما ان الحالة نوع من العلاقة المكانية كذلك الصورة ايضاً نوعٌ منها اذا مثلنا دائرة على قرطاس تصورت بوقوع كلواحد من نقاط تحتوي عليها المحيط في علاقة مكانية من الاخرى و بوقوع الجملة في علاقة مكانية من قرطاس واقع خارج المحيط و داخله اذا مثلنا مثلثا تصور بوقوع ثلثة من الخطوط في علاقة مكانية خاصة و بطول الاضلاع و صغرها و استقامتها و انحنائها تتغير الصورة المثلثية و ما هذا الطول والقصر والانحناء و الاستقامة الا علاقة مكانية بين نقط تشتمل عليها الخطوط و ان صورنا ديكاً من الموم لايكون ديكا الا بوقوع اجزاء الموم بعضها من بعض في علاقة مكانية و ان ازلنا تلك العلاقة زالت الصورة الديكية و كذلك اذا بنينا بيتاً من الطين لايكون بيتا الا بكون اجزاء الطين في مواضع معينة من الاين وما ينهدم البيت الا بزوال العلاقة المكانية الموجودة في اجزائها *

ومايشاهد فى المصنوعات عند تصورها بالصور يشاهد فى المخلوقات عند تكونها فالجبال و السحاب و الظل و المطر البرد و الماء والنباتات

و الزمزم و بحر الهند اشياء مادتها متحدة و صورها مختلفة تنوعت بتنوع العلاقة المكانية = الضباب اجزاء من الماء مرتبة في ترتيب خاص واقعة في حيز خاص — و السحاب ايضاً اجزاء من الماء وقعت في فضاء مرتفع فسميت سحاباً و ان خرجت من قدر سميت بخاراً لاسحاباً و ما اختصت باسم خاص الا بعلاقة مكانية خاصة = و الطل ايضاً اجزاء من ماء تحصل في جوبارد اي مكان خاص فتحصل في قرب خاص اي مكان آخر خاص فتصير قطرات ثم يجتمع على اوراق الاشجار و تبل الارض و هل هذا الا جماعة من علاقات مكانية = المطر ايضاً اجزاء من ماء تجتمع بالبرودة اي تصير في علاقة مكانية خاصة فيما بينها و تنزل على الارض اي تصير في علاقة مكانية خاصة من الارض — البرد طائفة من قطرات مجتمعة من الماء تاتلف في ترتيب خاص اي علاقة مكانية خاصة = الثلج مقدار معتدبه من الماء اي قطرات كثيرة ترتبت في ترتيب خاص فتصورت في صورة خاصة ثم انتظمت في ترتيب طرت عليها الصورة الثلجية = و الفرات اجزاء من ماء اجتمعت في صورة نهر في ارض خاصة و ان اجتمعت تلك الاجزاء في مقام آخر تدجلت بعد كونها فراتاً اوتغيلت او تجمدت و ان اجتمعت تلك الا جزاء و اختلطت بالملح وغيرها من الماديات و احاطت بجنوب الهند تبحرت = الفحم والكحل و الا لماس مع اختلاف عظيم في صورها و اوزانها و الوانها و افعالها و خواصها في نفس الامو سالمات فحمية ترتبت في تواتيب مختلفة اي تحيزت في امكنة مختلفة و حصلت في علاقة مكانية خاصة فطرت عليها صور متفاوتة صارت مصادر لخواص متضادة = الحار بالا متزاج الكيمياء بالرطب ماء وما الا متزاج الكيمياء الاوقوع سالمات من الحار في علاقة مكانية خاصة من سالمات الرطب و سالمات الحار بالا متزاج الكيمياء لسالمات الفحم شعلة داخلها دخان و سالمات الحديد بالا متزاج الكيمياء بسالمات الحارصد يعرف علماء الكيمياء مركبات تختلف في الرخام و العرف و اللون و الذوق و الخواص مع

كون مفردات كلواحد منها متعددة التعداد و مع كون عدد سالمات كل مفرد منها متعددة ايضاً في التعداد و مع اتحاد المفردات و سالماتها تطرى عليها صور مختلفة و توجد صفات متضادة بمحض اختلاف اوضاع بعضها من بعض *

ولا ضربن لك مثلا من حدوث الصور المختلفة مع اتحاد الآحاد باختلاف الوضع ان اخذنا الفا من لبن متساوية في الحجم و وضعناها في صف واحد حدث ذواربعة اضلاع يكون اقصر ضلعيه ذراعاً مثلا و اطولها الف ذراع و ان غيرنا الوضع وصففناها صفين حدث ذواربعة اضلاع يكون اقصر ضلعيه ذراعين و اطولها خمس مائة ذراع و بتثنية الصفوف و تربيعها يمكن تطويل الضلع القصير وتقصير الضلع الطويل و تنويع الاشكال الحادثة و تصغير الامكنة المشغولة و ايضاً يمكن لنا تصوير اللبن المتساوية في المثلثات و المربعات و المخمسات و المسدسات و غيرها هذا اذا وضعناها متلاصقة اما اذا وضعناها في قاع واسع و تركنا بين جماعات منها امكنة مختلفة في الصورة و القدر في الطول و العرض و العمق تيسر لنا ارتسام الوف الوف اشكال من الف واحد من اللبن المتساوية في الحجم *

ويظهر بما ذكران الاجسام المتعددة اذا وقعت في وضع خاص من المكان كانت في علاقة مكانية خاصة و تلك العلاقة هيئة غير مادية يمكن افرادها عن المادة في التصور وتلك الهيئة الغير المادية تسمى تارة حالة وتارة صورة اذا كانت الاجسام المتعددة ذات احجام معتد بها وكانت المسافات المتخللة بين تلك الاجسام بعيدة سميت الهيئة حالة مثل طلوع الشمس وغاية القمر وخسوف القمر و اذا كانت الاجسام المتعددة دقيقة كالسلاسل وكانت المسافات المتخللة بينها صغيرة كالمسامات سميت الهيئة صورة وسميت المادة المتصورة شيأ مادياً كالخشب والحطب والالماس والماء والهواء والصدأ والفرات والزجاجة وبعض الاغذية وعلى هذا فالشيء المادي والهيئة الغير المادية مع ما تطرى عليها من الصور متحدان في كونها حصصاً من

مادة يتخلل فيها حصص من الفضاء ويختلفان في كون حصص المادة وحصص الفضاء صغيرة غاية الصغر في الاشياء وكبيرة معتداً بها فيما تسمى حالات غير مادية = تتحيز السالمات في حيزات قريبة غاية القرب فتصير اشياء ثم تتحيز تلك الاشياء في حيزات خاصة فتسمى ذات حالات خاصة وتلك العلاقات المنتزعة من الاشياء هي الحالات *

اذا تقرر ان العدم المحض يمتنع ادراكه وان المادة لايمكن لنا ادراك صيرورتها عدماً محضا ولايمكن لنا ادراك تكونها من عدم محض وان القوة لايمكن لنا ادراك صيرورتها عدماً محضاً ولايمكن لنا ادراك صيرورتها موجودة من عدم محض وان الصورة علاقة مكانية بين سالمات المادة لابد لنا ان نعين بالمنطوق المراد بعدم الاشياء و وجودها عند حملنا الوجود و العدم عليها فنقول ان المراد بالعدم ذهاب الصورة المجموعية الطارية على طائفة من سالمات المادة و فناء تلك الصورة مع بقاء سالمات المادة و ظهورها في صورة أخر = و المراد بالوجود طريان صورة مجموعية على سالمات المادة التي كانت موجودة من قبل في صورة مغائرة للصورة الطارية = اذا انهدم جدار و انعدم لاينعدم التراب الذي بنيناه منه بل تنعدم الصورة الجدارية التي طرت على اجزاء التراب لجمعنا اياها في تلك الصورة = اذا احترق خشب لاتنعدم السالمات المادية التي تركب منها الخشب بل تنعدم الصورة الخشبية التي طرت عليها بنمو الشجر و جذبه المفردات من الارض و الجو و على هذا فالوجود و العدم مفهومان احدهما ضد الاخر و مصداقها الصورة اي العلاقة المكانية = اما المادة و القوة فنعرف انهما موجودتان و نعرف ايضاً انهما تمضيان من حالة الى حالة و صورة الى صورة و لكن لانعرف ولا نقدر ان نعرف خروجها من محض العدم و دخولهما في الفناء التام و ما مر من معنى العدم و الوجود هو بالنسبة الى الاشياء الموجودة في الخارج اما بالنسبة الى المدرك فالعدم انتفاء المحسوسية بالحواس الظاهرة انتفاء لايمكن معه الرجوع الى المحسوسية و قيد عدم

امكان الرجوع للفصل بين العدم و الغيبة لان الشي الغائب ينتفي احساسه ايضاً الا ان الانتفاء في الغيبة انتفاء نسبي يمكن معه الرجوع الى الحضور و الاحساس و الانتفاء في المعدوم مطلق لايرجع معه المعدوم الى الحضور و المحسوسية و الوجود هو حصول المحسوسية *

اعلم ان المحسوس الذي نصفه بالوجود قديكون موصوفاً بالوجود الزماني الممتد الى ايام اواعوام وقد يكون موصوفاً بالوجود الاني المنقطع على الفور ويسمى المتصف بالوجود الاني حادثة *

يستفاد ممامرفي الفصول السابقة اصول (١) محض العدم لايتعلق به العلم البشرى (٢) محض العدم لايكون ركناً لموجبة مفيدة (٣) المادة علة مادية للمخلوقات (٤) المادة لايخلقها شي من العلل المدركة بالانسان (٥) المادة لايفنيها شيء من العلل المدركة كذلك (٦) المادة مولفة من سالمة لاتقبل القسمة الخارجية (٧) القوة علة فاعلية المخلوقات (٨) القوة لايخلقها شيء من العلل المدركة بالانسان (٩) القوة لايفنيها شيء من العلل المدركة كذلك (١٠) الصورة علاقة مكانية بين سالمات المادة (١١) الصورة امر انتزاعي (١٢) الصورة محط العدم و الوجود (١٣) وجود الشيء حصول اجزائه في صورة تاليفية (١٤) عدم الشيء زوال الصورة التاليفية *

فصل في الكون و الفساد

يظهر مما تلوته في الفصول السابقة ان المادة مولفة من سالمات لاتقبل القسمة الخارجية و انه لاقدرة لشيء من العلل المدركة بالانسان ان تفنيها فناء محضاً او ان تخلق سالمة من سالماتها و ان القوة كالمادة في عدم قبولها الخلق و العدم و على هذافما يشاهد من الخلق في الاشياء ليس الا اجتماع سالمات من المادة في صورة تاليفية و ليس العدم الا زوال تلك الصورة التاليفية التي طرئت على السالمات ويسمى هذا المجي و الذهاب الكون و الفساد كانهما قوساً دائرة حضيضها الانتشار و اوجها الاشتداد تصعد المخلوقات في النصف الاول من حضيض الانتشار الى اوج الاشتداد

ۃ الكمال و تهبط في النصف الباقي من اوج الكمال الى حضيض الانتشار و القوس الصعودي هو الكون و القوس النزولي هوالفساد فالكون اسم يطلق على طائفة من تغيرات تشاهد في شيء بالقوة حين مروره من عدم الاحساس الى فعلية الاحساس — و الفساد اسم يطلق على تغيرات تشاهد في شيء بالفعل عند رجوعه من كمال الاشتداد الى عدم الاحساس *

و اعلم ان تقسيم الدائرة الى قوسين امر اعتباري و الا فالمخلوقات خصوصاً الناميات في مطافها في كل آن من آنات الطواف يزيد فيها شيء و ينقص منها شيء و لكنه حيث يكون حاصل الزائد في القوس الصعودي اكثر من الزائل يسمى كونا و حيث يكون حاصل الزائل في القوس النزولي اكثر من الزائد يسمى فساداً *

و المخلوقات كلها في عروجها في قوس الكون تظهر ثلثة اوصاف اي (١) الانضمام (٢) و الانتظام (٣) والامتياز — يحدث في سالمات المادة التي هي بالقوة شيء معين الميل من الانتشار الى الاجتماع السالمات بعد كونها منتشرة في حيز وسيع تتقارب و تتحيز في حيز صغير — اذا ائتلفت اجزاء الماء الموجودة في صورة البخار صارت بالانضمام سحابا و قلنا تكون السحاب ليس تكونه من العدم المحض بل من اجزاء منتشرة ائتلفت سحاباً و اذا ائتلفت اجزاء السحاب صارت بالانضمام مطراً و ليس تكون المطر من العدم المحض بل من اجزاء الماء المنتشرة في حيز هو اوسع من حيزها عند صيرورتها مطراً — بالانتظام تمتاز القطعة المعينة من السالمات التي هي شيء معين بالقوة و سوف يصير بالصعود في قوس الكون شيأ معيناً بالفعل في فرق عديدة و تلك الفرق مع حدوثها من مادة واحدة تصير متغائرة في الصورة و القوام و الافعال و الخواص و يحدث هذا التغائر بين تلك الفرق بموثرات متضادة في الكم و الكيف و باشتغالها بالاعمال المعينة و يشاهد الامتياز عيانا في ذوات النمو من النبات والحيوان *

بالامتياز تتفرق المادة الاولى التي منها خلق الفرق في فرق عديدة من الاصل و الساق والورق والزهر و الثمر والعظم و اللحم و الجلد و المخ وغيرها *

وبالانتظام تتعين الفرق الممتازة زماناً و مكاناً فيما بينها و يتعين المجموع المؤلف من الفضاء المحدود اي تتشخص الصورة النوعية و يتخصص الفرق الممتاز التي تسمى اعضاءً باعمال خاصة *

ولا يخفي ان ذوات النمو من النبات و الحيوان لها درجات كثيرة متدرجة في مراتب الانضمام و الامتياز والانتظام ليست كلها متساوية في الاوصاف المذكورة يظهر بعضها مثلاً احادها و بعضها عشراتها و بعضها مائاتها و بعضها الوفها *

و اعلم ان الاوصاف الثلثة التي ذكرت كونها من خواص الكون اي الانضمام والامتياز والانتظام تشاهد باجلى المشاهدات في حدوث الحيوانات و تكونها و معاينة اصناف كثيرة من الحيوان من وقت انعقادها في صورة النطفة او في صورتها يقوم مقام النطفة الى آخر نموها و مقابلة فرد واحد من نوع بفرد من نوع آخر و مشاهدة تغيرات تعتور عليها من حين الانعقاد في صورها و في اجزائها و في اعضائها و نشرما يبتدء منه وجودها و ما يختتم به *

يورينا عياناً ان الحيوانات كلها مع اختلاف لا يحصى في انواعها و افرادها و صورها و اجسامها و عاداتها و اعمارها و مساكنها و مآكلها و مشاربها متخلوقة من مادة واحدة تسمى المادة الاولى و تلك المادة الاولى مركبة من الفحم (كاربن) و الحامض (اكسيجن) و الرطب (هيدروجن) و المليح (نيترو جن) و شيء من الكبريت و الفور (فاسفورس) — المادة الاولى تكون عند حدوثها لزجة كبياض البيضة متشابهة الاجزاء كغيرها من المركبات الكيميائية من الماء و العتيق و الزيت وغيرها ولاتكون متصلة بين مرابطة كسائر المركبات (المشتركة الاجزاء) من ذرات لا تقبل القسمة

بدون انعدام ماهية المادة و انتشارها الى ماهى مولفة منها من الفحم و الهار وغيرها = تجتمع طائفة من ذرات المادة الا ولى فتصير قطرة مدورة داخلها ذرات لزجة و خارجها غشاء ارق مايكون يظهر حول الذرات المقابلة السطح البادى من الذرات بالموثرات المحيطة من الحرارة و النور وغيرهما و قد يوجد فى وسط ذرات القطرة سويداء *

و كما ان ذرات المادة الا ولى هى احاد وجودها كذلك القطرات الحادثة بانضمام طائفة من الذرات احاد التالف التي من ائتلافها تتكون الا عضاء الحيوانية من القلب و الدماغ و الجوارح و تلك القطرات هي الا حاد التي تبدي بحركتها النفسية الحياة فى ابسط وجودها و من ثم يقال أن القطرة مادة حية و خير مميزات الحى من الميت ان الاول يقدر على اخذ ماحوله من المادة الصالحة للغذاء و تحويله اياها بعد التغذية عليها الى مثله و الميت او الموات بمعني غيرذي النمو لا يقدر على ذلك و كما ان الا عضاء الموجودة فى الحيوانات العالية كالفرس و الانسان من القلب و الدماغ و الجوارح وغيرها موجودة بالقوة منطوية في قطرات المادة الا ولى الحيوانية كذلك الا عمال الصادرة من الاعضاء المختلفة فى الحيوانات العالية موجودة بالقوة منطوية فى الحركة النفسية الصادرة من القطرة و الدالة على كون القطرة حية *

و اعلم أن الاعمال الصادرة من الا عضاء المختلفة فى الحيوانات العالية لاتصدر الا لبقاء الحياة الشخصية و النوعية وحيث تكون الحركة النفسية المشاهدة فى القطرة كافية لبقاء الحياتين قلت ان الا عمال المشاهدة فى الحيوانات العالية جملتها منطوية في تلك الحركة و جملة الا عمال الصادرة من الحيوانات العالية على ثلثة انواع نوعان منها يفعلها الحيوان لبقاء الحياة الشخصية و نوع منها يفعلها لبقاء الحياة النوعية و هذه القسمة قسمة منطقية و الا فلا تشعبها من اصل واحد تكون مشتبكة متشاجرة *

النوع الاول اعمال العلاقة او الادراك التي بها يعامل الحي بما حوله ويتأثر و يدرك ما يوذيه وما يلذه و يميزه فيما بينها و تلك القوة المدركة تكون شائعة في جسم الحيوان كله و تكون حركة نفسية شاهدناها في القطرة ثم بصعود الحيوانات في الكون تمتاز اجزاء منها و تصير مظهراً للادراك بالخصوص و بالامتياز . و الانتظام المتصاعد اي بالتدريج الدقيق تتشعب الفرقة المدركة و تتشعب حتى تنقسم في فرقتين تختص فرقة بالحركات الارادية و فرقة بالاعمال الادراكية و تتشعب الادراكية في الحواس الظاهرة و الباطنة و مع امتياز القوى المدركة وتكثر عددها يكون امتياز الاجزاء المادية من الحي اذا انقسمت قوة الى فرقتين انقسمت الفرقة المادية التي كانت مصدراً للقوة قبل الانقسام الى فلقتين فالامتياز في القوى و الامتياز في الاعضاء التي تكون مصدراً لتلك القوى كانهما فرسا رهان اذا حدث امتيازاً في المادة حدث امتيازاً في القوة *

النوع الثاني اعمال الغذاء بها يأخذ الملايم بعد الادراك و بحوله الى مثله و يقسمه الى الجسم كله و القوة الغذائية ايضاً كالقوة المدركة تكون شائعة في الجسم كله وتظهر في صورة الحركة النفسية التي مر ذكرها ثم بصعود الحيوانات في الكون تمتاز اجزاء منها فتصير مظهر الاخذ الغذاء و تمتاز اخرى فتصير مظهراً للهضم و تمتاز ثالثة فتصير مظهراً لتقسيم ما حصل من هضم الغذاء في الجسم كله و تمتاز رابعة فتصير مظهراً لتنقية البدن من الفضول و يكون الامتياز في هذه الفرقة ايضاً امتيازاً متدرجاً بالتدريج الدقيق ويلازم الامتياز في الاعمال الغذائية الامتياز في الاعضاء الغذائية تصير طائفة من الفرقة من المادة الاولى الممتازة للغذاء مريا واخرى معدة و ثالثة امعاء و رابعة كبداً و خامسة قلباً مع الشرائين و الاوردة *

النوع الثالث من الاعمال مختصة ببقاء الحياة النوعية و تحتوي على جلها قابلية القطرة على الاختصار في الوسط بالتدريج يختصر الوسط و يختصر حتى يصير خيطاً من الغشاء و يصير القطرة قطرتين مولدين

بذلك الخيط ثم تنفصل القطرة الجديدة من أختها — في هذه الصورة تولدت من قطرة واحدة قطرتان وصار الوجود الشخصي للقطرة الاولى منقسماً في الوجودين وتسمى هذه الولادة انشقاقاً لا يوجد فيها الاصل والفرع في زمان واحد *

ثم بعد عروج ما في الكون يتكون الفرع بالانشعاب يظهر في السطح الظاهر من الحي نتو ثم ينفطر الجزء الناتي ويصير حيا مماثلا للحي الذي انفطر منه ويصير موجودا في زمان يكون فيه الاصل موجوداً و عمل التوليد يتشعب في الحيوانات العالية الى اعمال كثيرة ويمتاز اصناف منها الى الذكر والانثى وتحتوي الاجزاء المفرزة للتوليد على اعضاء عديدة و يصير التوليد بعد كونه انشقاقا وانشعاباً انفراخاً تتولد مادة في الانثى تسمى بيضة و مادة أخرى في الذكر تسمى نطفة و تمس النطفة البيضة و تلقحها والبيضة بعد لقاحها في ذوات الثدي من الحيوان تكون لها حياتان حياة داخلية في بطن الام و حياة خارجية بعد الولادة *

(فصل)

تتألف الحيوانات كلها على اختلاف اشكالها و قدودها و اعمارها ومساكنها و غذائها و عاداتها من تلك القطرات المدورة الحادثة من انضمام ذرات المادة الاولى و تكون نسبة الحيوانات الى القطرات كنسبة الاقوام والقبائل والعشائر الى الافراد الانسانية اونسبة البيوت والقصور والحصون الى ذرات الطين تظهر في الفرق المعينة من القطرات الحيوانية الاوصاف الثلثة المختصة بالكون من الانضمام والامتياز والانتظام تزيد عددها بالغذاء و تحويله الى المثل فكانها تنضم بعد الانتشار و يتفاوت هذا الانضمام في درجات متفاوتة في انواع مختلفة من الحيوان ويرى تفاوتها في الحجم والوزن و عند الصعود في الكون يظهر الامتياز مع الانضمام و يزيد مقدار الامتياز بمقدار الصعود و يكون بين الزيادتين نسبة معينة *

و مراتب الامتياز و الانتظام المشاهدة عند صعود الحيوان في الكون تكون بالاجمال هكذا تنضم طائفة من القطرات المادة الاولى في صورة قطعة

من فالونج فتختفي و تنسل و تموت و تكون في حياتها عاملة اعمالاً تحتاج اليها في البقاء و ان كانت تلك الاعمال قليلة في العدد و بسيطة في النوع و تسمى هذه القطعة المفضمة سيلنطزاطاً لا يكون لهذا الحيوان البسيط صورة نوعية لايتجاوزها يكون كروياً وبيضاوياً و اهليلجياً و الفرد الواحد ايضاً تكون لها صور مختلفة في اوقات مختلفة و تكون القطرات التي حدث بانضمامها متماثلة في صورتها سوى الفرق الذي يحدث بالتضاغط الخفيف المترتب على الانضمام و كل واحدة من قطراته تكون قابلة لان تعمل كلاً من الاعمال الحياتية التي يحتاج اليها الحيوان البسيط ولا يكون مقام كل من قطراته معيناً في بدنه القطرة التي كانت صباحاً في السطح البادي تدخل ضحى في الباطن و المشاهد من اعمال الحياة فيه انه نراه ينقبض و ينبسط بالحركة النفسية التي شاهدناها في القطرة و يخرج بالطبع من اي مقام شاء من جسمه خيوطاً دقاقاً بتطويل القطرات — يتحرك في الماء باضطراب تلك الخيوط و بالحركة الحادثة في الماء من الاسباب العارضة ولا يسلك الى جهة معينة بل تذهب به الامواج و الخيوط يمنة و يسرة و قداماً و خلفاً و لحصوله في امكنة مختلفة من الماء تارة يصادف مهلكاً يفنيه و تارة يلاقي مادة يغتذي عليها فان لاقي غذاءً التصقت به الخيوط التي اخرجها من جسمه و بعد التصاقها بالغذاء تجذبها فتقصر و تقصر حتى تغيب في بدنه و يدخل معها الغذاء الذي التصقت به في داخله ثم يصير هذا الغذاء الذاهب الى الداخل مثلاً للحيوان و حيث لايزيد في الجسم الى مقدار عظيم يستنبط انه يدفع الفضول ايضاً و للتوليد بفرز فلقة من بدنه تصير حيواناً بسيطاً مستقلاً بعد الانشعاب فافعالها المرئية منحصرة في الحركة النفسية و اخراج الخيوط و اذهاب الغذاء معها الى الداخل والانشعاب و حيث لاتحتاج هذه الافعال الساذجة الى امتياز كثير في بدنه لانشاهده تكون اجزاء بدنه متشابهة في القوام ولا تكون فيه اعضاء مختلفة من الاعضاء

الممتازة للادراك والغذاء والغسل لا يكون له جلد ولا لحم ولا عصب ولا فم ولا جوف ولا عين ولا اذن ولا عظم ولا يكون فيه امتياز محسوس في حياة المولف المنضم من حياة الخيوط التي تمدها كامتياز مشاهد في حياة المولف من الاعضاء في الحيوانات الصاعدة في الكون و حياة الاعضاء المولفة من القطرات و حياة القطرات ولا يكون حياة الكل المولف مغائرة لحياة الاجزاء *

و رتبة سيلنطراط هي الرتبة الابتدائية للحيوانية و تتبعها مراتب كثيرة زائدة في الصعود الكوني و تلازمها مدارج متناسبة من الزيادة في الامتياز و الانتظام ورأي حكماء هذا الزمان ان هذا الصعود وهذه الزيادة في الامتياز و الانتظام باثر المؤثرات الطبيعية التي صارت بمرور الدهور الداهرة فطرة في الانواع المختلفة من الحيوان *

ويأتي بعد سيلنطراط البسيط السيلنطراط الغير البسيط في المرتبة الثانية من الصعود يشاهد في اجزائه امتياز يسير يحيط بهذا الحيوان غشاء يكون اصلب قواماً من القطرات اللزجة الموجودة تحته ثم بعد طبقة من تلك القطرات اللزجة يكفها غشاء في باطن الحيوان و يكون في هذا الغشاء الباطن جوف نافذ وتكون في الطبقة المتخللة من القطرات اللزجة مجاري بها تأتي الغذاء المنهضم من الغشاء الباطن الى الطبقة المتخللة و الى الغشاء الظاهر والسطح الظاهر من هذا الحيوان لطول مماسته بالماء الذي يعيش فيه والذي يتفاوت في الحرارة و البرودة و حمل الماديات المحلولة لا بد ان يصير اصلب قواماً من القطرات التي في داخله ولصلابته تذهب قوتها للاستطالة في صورة الخيوط و بعد ذهاب تلك القوة من السطح الحاوي يضطر الحيوان الى ان يلجاء بطريق آخر لاخذ الغذاء لانه لاقدرة له على اطالة السطح الحاوي او على ثقبه باخراج الخيوط من الداخل لحيث تثقب السطح المحيط فيشق له فم منه يدخل الغذاء الى الداخل ولتعيين المسلك يطول مماسة القطرات المحيطة بالمسلك

بالغذاء و يجعل تكرار المماسة الغشاء الذي يلاصق الغذاء اخشن قواما من القطرات التي تليه و بعد امتياز فرقة من قطرات الحيوان في سطح محيط معامل بالخارج و امتياز فرقة اخرى في سطح كافة معامل بالغذاء و فرقة ثالثة في قطعة لزجة ذات مجاري متخللة بين الغشائين تصير حالة الحيوان هذه يكون له مسلك معين الغذاء كالانبوبة يسمى قناتا بها ياخذ الغذاء في جوفه و يبدله الى مثله و يقسم المثل الحادث بواسطة المجاري الموجودة في القطعة اللزجة الى سائر البدن و يكون له سطح محيط ببدنه معامل بما حوله يدرك النافع من الضار ولا يكون له فرقة ممتازة للنسل بل تنشعب من اي مقام اتفق شعبة تصير حيوانا جديداً و مع الامتياز المشاهد في سيلقطراط المركب يظهر انتظام يسهر ايضاً تكون صورته النوعية اكثر تعيناً من الصورة النوعية للبسيط و يكون مقام السطح الخارج معيناً لا تبديل فيه و كذلك يكون مقام القناة مقرر الا تبديل فيه ولامتياز الفرق المختلفة من القطرات الحيوانية التي يحتوي عليها الحيوان و انتظامها في اعمال الحياة الصادرة منها لمعاملة السطح الخارج بالمحسوسات الموجودة حوله تزيد القوى المدركة فيها و لتركها الاستطالة و الالتصاق بالغذاء تذهب عنها قدرة اخذ الغذاء و هضمه و كذلك القناة لبعدها عن المحسوسات المحيطة سوى الغذاء يرتحل عنها كثير من القوة المدركة و تزداد فيها القوة الغاذية و يساعدها في تقسيم ما يحصل من الغذاء مجاري يستبدلها الحيوانات الصاعدة بالعروق و هذا الامتياز في فرق ثلث من المدركة والغاذية و المولدة يترقى في التنويع و التعداد *

(فصل في امتياز المدركة)

يحدث في الفرقة المدركة في بدو امتيازها من سائر البدن اللمس المعتدبه و ان وجد في مقدار متفاوت في القلة والكثرة في البدن كله الاما شذ لكونه ادنى مراتب الادراك ثم بصعود الحيوانات في الكون تمتاز

الفرقة المفرزة للمس و تنفطر منها قطرات تختص بالذوق و مع كون الذوق نوعاً من اللمس يخالفه في امور لا يشترط في اللمس الا الاتصال الحجمي بين اللامس والملموس و يشترط في الذوق ان يكون الملموس مما ينحل في الريق لانه لا يكفي في الذوق الاتصال الحجمي بل لا بد أن تتصل ذرات المذوق بالذائقة ولا يتاني ذلك بدون انحلاله في الريق يعم اللمس البدن الا ماشذ و يختص الذائقة بالجزء المعين من البدن و تظهر هذه القوة في احد طرفي القناة لانه اشد المواقع احتياجاً الى معرفة ذوق الاشياء والقوة الذائقة مرتبة ثانية في العلو من المدركة العامة و تنفصل من المدركة العامة فرقة تختص بالشم و هو ايضاً نوع من اللمس يمتاز من اللمس في حصوله باتصال الذرات بالجزء الخاص من البدن و هذه القوة يكون مقامها قريبا من مقام الذائقة و اسمي هذه القوى الثلث بالقوى الوصالية لانها لاتدرك المحسوس بدون اتصاله حجماً أو ذرات بالحاسة و تردف الذوق و الشم العين الاذن تمتاز من المدركة فرقة فتصير اذناً تدرك اثر تصادم شي مع شي بوساطة الريح من غير ان تمسهما او احدهما تمتاز فرقة اخرى من المدركة فتصير عيناً تدرك الاشيا بدون التصادم بواسطة الاثير و هاتان القوتان فصاليتان تدركان الاشياء بدون المس و الاتصال و مع كونهما مدركتين تكونان ايضاً ذريعة للحكاية والمفاوضة و تلك القوى الخمس بعد ظهورها تنمو بالتدريج و تقوى و تتزائد بالتدريج في الجودة والكمال و كما تمتاز هذه القوى الظاهرة كذلك تمتاز من المدركة قوى باطنة من المميزة والحافظة و العقل وغيرها *

و يظهر في البدن للاستقلال بالقوى المدركة مادة رخوة تسمى عصباً و تكون في بدو حدوثها خيوطا منتشرة في الجسم ثم تظهر في الخيوط عقد ثم تتزائد المادة في المقدار والا ستكمال و تتزائد حتى تصير في الانسان مولفة من دماغ شامل على اجزاء عديده و نخاع و نظام اخر و ايضاً تمتاز فرقة من المدركة و تختص بالحركات الارادية و تكون لها مراتب كثيرة

تكون كزبب تظهر و تغيب في الحيوان البسيط و تكون كشعرات مستمرة تثبت في جسم الحيوان و تمكن الحيوان من حركة موجية و تكون كقمزات مصروورة من القطرات و الخيوط المصاغة من القطرات و هي العضلات الاحمية التي توجد في جوارح الانعام و الانسان *

(فصل)

يحدث الامتياز في الفرقة الغاذية فيصير ما كان فعلاً واحدا متشابه الاجزاء في الحيوان السافج جماً كثيراً مولفاً من افعال عديدة متخالفة في الماهية و ما كان قناة واحدة في سيلغطراط المركب متشابهة الاجزاء يصير قناة مولفة من القطاع العديدة التي يخالف بعضها بعضاً في الصورة و القوام و العمل يتالف الجم مثلا في الانسان من (١) كسب الغذاء الذي يتخلل بينه و بين الاكل من ساعة الى سنين (٢) الامساك عليه (٣) طبخه (٤) مضغه (٥) خلطه بالريق بقدر الضرورة المتفاوت بجنس الغذاء و رطوبته (٦) بلعه (٧) رضه بالحركة المعدية (٨) خلطه بالرطوبة المعدية للهضم (٩) خلطه بالمرة (١٠) خلطه بالرطوبة اللباجية (١١) امراره في المعاء المستقيم (١٢) امراره في سائر الامعاء (١٣) خلط الرطوبة المعاقية به (١٤) مص الخلاصة بماساريقا (١٥) تحويل الخلاصة دماً (١٦) امرار الدم في الكبد لافراز المرة منه (١٧) امرار الدم في الكليتين لافراز سم البول من الدم و ان جعلنا الجم شاملا على عمل التقسيم الذي يصدر من الفرقة الغاذية في الحيوانات السامية احتجنا الى عدد كثير فما يكون في صورة مجاري عديدة من سيلنطراط المركب و يقسم الحاصل من الغذاء ممتازة عما حولها امتيازاً اقل ما يكون في الترام تتزائد في الامتياز و الانفصال عما حولها فتصير انابيب مجوفة محاطة بغشاء دقيق ثم تصير تلك الانابيب محاطة بغشاء غليظ دافق ثم يحدث في وسط الانابيب انتفاخ يصير مخزناً للدم المقوم و تنقسم الانابيب الى قسمين قسم ياتي بالدم الذي اخذت عنه الاعضاء غذائها و اعطته ما فسد

منها الى المخزن و قسم يذهب بالدم الصافي من المخزن الى الاعضاء و تحدث في هذا المخزن قوة انقباض و انبساط بها يدفع الدم في العروق الذاهبة به و يجمع الدم من العروق الاتية به و يسمى المخزن قلباً والعروق الذاهبة به شرائين والعروق الاتية به اوردة و يكون القلب في ابتداء امره ذا تجويف واحد كانه عرق قد انتفخ و يشاهد مثل هذا القلب في جنس يشتمل الصدف و في نوع منه يسمى طونيكاطا يكون دورة الدم في جانب لوقت معين ثم في جانب اخر اي القلب يرسل الدم فيري ذاهباً منه الى الاطراف ثم بعد ذهابه الى الاطراف يرد منها الى القلب فيرى راجعاً ثم بارتقاء الحيوان في الكون يصير القلب ذا تجويفين يجمع احدهما دماً قد رجع من الاطراف و يدفع الاخر الدم الذي ياخذه من الاول الى ما يقوم مقام الرية من المشط فيصفى فيه من الفضول ثم ينتشر في البدن كله بذريعة الشريان الاعظم ولا يرجع الى القلب و يسمى هذا القلب قلباً نفسيا لانه يصفى الدم كما تصفيه ادوات النفس و يوجد مثل هذا القلب في انواع السمك ثم بارتقاء آخر في الكون يصير القلب ذا ثلثة تجاويف تجويف يجمع الدم الوريدي الذي ياتي من الاطراف الى القلب و تجويف يجمع الدم الذي نقته الرية من الفضول و مزجته بالهوا و تجويف ثالث ياخذ الدم الصافي والدم الكدر من التجويفين المذكورين فيرسل شطراً منه الى البدن للغذاء و شطراً اخراً الى الرية للتنقيه و ينتهي القلب عروجاً في ذوات الثدي من الحيوان والبشر فيصير ذا اربعة تجاويف تجويف يجمع الدم الوريدي ياتي من الاطراف الى القلب و تجويف ثاني ياخذ الدم المجتمع في التجويف الاول و يرسله الى الرئيتين ليخلص من الفضول التي مزجتها الاعضاء به و تجويف ثالث يجمع الدم الصافي الذي يرجع من الرئيتين بعد خلوصه من الفضول و امتزاجه بالهوا و تجويف رابع ياخذ الدم الصافي من التجويف الثالث فيدفعه بالانقباض على نفسه في الشريان العظيم المتصل به والمنفجر في كثير من الشرائين عند دخوله في اعماق

البدن و القلب التام المشاهد في ذوات الثدي الشامل على اربعة تجاويف كانه مولف من قلبين قلب نفسي يصفي الدم من الفضول و يمزجه بالهواء و قلب قاسم يرسل الدم الصافي النقي الى البدن كله *

وتصير ما كانت قناة واحدة فماً وحلقوما و مريا و معدة وامعاء وكبدا و كلية و لبلبة و تمتاز القاسمة من الغاذية و تنفصل فتصير عروقا و قلبا و يحدث في الفم الذي هو جزء من الفرقة الغاذيه امتيازات كثيرة في نوع الاسنان و صورها و عددها تحدث الاسنان في ذوات الفقر من جدران الراس و في غير ذوات الفقر من الغشاء الكاف القناة وتكون مختلفة جداً في صورها و عددها و تكون نسبة الاسنان بسائر الجسم نسبة معينة لا تفاوت فيها و بلغت تلك النسبة من التعين مبلغاً يمكن معها الاستدلال من الاسنان وحدها و ان وجدت بعد مرور الدهور على قد الحيوان الذي كانت له و على كونه بريا او بحريا و على كونه نباتيا او لحميا و على هيئة اعضائه *

و بالجملة فكل ما يفعله الانسان في عمره من الاعمال الجالبة للخير والدافعة للشر لبقاء حياته و حياة قومه من الصيد والحرث والتجارة والبناء و طلب العلم و اختراع الالات والحرب و السياسة و الاكل والشرب والنوم والحركة الارادية و الاحساس والتعقل حدثت للصنع المتقن متدرجة بدرجات دقيقة من الحركة النفسية التي شاهدناها في القطرة من المادة الحيوانية و كل ما يشاهد في جسمه من الدم واللحم والشحم والعظم و الغضروف والجلد والظفر والشعر والغشاء والعصب والدماغ والنخاع والقلب والعروق والمري والمعدة والكبد والكلية والرية و الطحال وغيرها حدثت من المادة اللزجة التي رايناها في القطرة المنقبضة و المنبسطة و سلسلة الانحطاط المبسوط على طرف سافل من مرقاة الكون الحيواني و الانسان على طرفها الاعلى و بين الطرفين طبقات كثيرة يضمها ستة اجناس ابدان كلها مولفة من القطرات و افعال كلها مولفة من الحركات النفسية المشاهدة في القطرات *

(فصل)

مع كل امتياز في الاعضاء يكون انتظام فيها بالانتظام تتعين صورها النوعية و تتعين وضعها و مقامها في البدن ويتعين زمان حدوثها والزمان الذي تحتاج اليه في نموها و كمالها وبه تتعين علاقتها بسائر الاعضاء ويزيد اختصاصها بالاعمال الصادرة عنها و اجتنابها عن سائر الاعمال الحياتية ولا يذهبن عنك ان ما نشاهده من الامتياز والانتظام في الحيوانات يورث الحيوانات المولفة من الاعضاء الممتازة المنتظمة خصائص منها أن حياة المولف من حيث الكل تصير ممتازة من حياة كلواحد من الاعضاء و الافعال الصادرة من الكل من حيث الكل تكون خادمة بالذات لحياة الكل و بالعرض خادمة لحياة كل واحد من الاعضاء والافعال الصادرة من كلواحد من الاعضاء تكون خادمة لحياة الكل بالذات و لحياة نفسها بالعرض و ان دار الامر بين موت العضو و موت الكل يختار موت العضو و لا يبقى للعضو قدرة على اختيار حياته منها ان الاعضاء لاتبقى لها حياة مستقلة بل تصير حياتها موقوفة على حياة الكل ان مات الكل ماتت الاعضاء في الحيوانات العالية و اما في الحيوان البسيط اوما يقربه قرباً شديداً فان افرز قطعة من الفرد يصير حيواناً جديداً و يبقى الحيوان الذي افرز منه حياً ايضاً و ما يقع هذا الا لان الامتياز و الانتظام ما بلغا مبلغاً يفنى معه الكل بافناء الجزء منها ان الاعضاء تعمل أعمالها بالاحسان والجودة وكلما زاد الامتياز وارتفع الانتظام زاد الاحسان وارتفعت الجودة فكان كل عضو من الاعضاء يعمل عملاً معيناً ولا يعمل عملا مغائراً له و يحدث بطول الملازمة لصرق تام بين العضو العامل والعمل المطلوب و يسمى هذا الاصل الذي به يختار كل واحد من الاعضاء عملا خاصاً مناسباً لحاله ويترك باقي الاعمال الضرورية لغيره من الاعضاء تعاملاً منها أن التعامل يجعل الاعضاء بعضها موقوفة على بعض لا يمكن أن يخل واحد منها بعمله من غير ان يتعدي الخلل

الى غيره في عمله و يفشى في الاعضاء كلها عاجلاً اواجلاً ويفتهي الامر الى موت المولف ويظهر مما مضى ان الحيوان الصاعد في الكون مولف من اعضاء عديدة تشعبت بالامتياز و الانتظام من مادة واحدة هي المادة الاولى وتعاملت على ايثار اعمال متفاسبة لتجويدها و اعداء حياةالمولف و تحدي تلك الاعضاء لحياة المولف بالذات ولحياة ذاتها بالعرض وتعمل اعمالاً مختلفة في الكيفية متحدة في الغرض *

(فصل)

اعلم ان المولف من بدونشا ئته الى موته يكون موضعاً للتغيرات العظيمة يصعد في نصفها من حضيض العدم الى اوج الكمال و ينزل في النصف الاخر من الاوج الى حضيض العدم والفساد و حيث تكون هذه التغيرات باضافة شيء من ذرات المادة او قطراتها تكون تدريجية غاية التدريج يكون الحادث منها في ثانية ادق من ان يدرك بالحواس البيضة عند لقاحها بالنطفة تصير محلاً للتغير على الفور الا ان انه لا يمكن ان يميز مميز بين البيضة عند لقاحها و بينها بعد دقيقة و كذالك لا يمكن ان يميز مميز بينها اذا مضى عليها اسبوع و بينها اذامضى عليها بعد الاسبوع دقيقة و كذلك لا يمكن لاحد ان يميز بينها اذاخرجت من البطن و بينها اذا مضت على الولادة دقيقة لايمكن لاحد ان يميز بين رجل اذا كان ابن عشرين سنة و بينه اذا اربى على عشرين بدقيقة وهذا الحال في كل دقيقتين متوالتين من اللقاح الى الموت و تلك التغيرات الدقيقة التدريجية اذا اجتمعت طائفة منها تبينت باوضح البيان و عرفت بداهة لايرتاب احد في التمييز بين خالد (١) مولوداً (٢) و رضيعا (٣) و صبياً (٤) وغلاماً (٥) و شاباً (٦) كهلاً (٧) و شيخاً (٨) و هما (٩) و ميتاً و يزيد البون الصوري بين الحالين من خالد بزيادة البون الزماني المتخلل بين هاتين الصورتين لان عددالذرات الزائدة اوالناقصة منه يتزائد بطول الزمان فالفرق بين خالد شيخاً و صبياً اكثر من الفرق بينه كهلاً

و غلاماً والفرق بينه هما و رضيعا اكثر من الفرق بينه شيخاً و صبيا والفرق بينه ميتاً و مولوداً اكثر من الفرق بينه هما و رضيعا و شتان ما بينه على صدرامه و على ظهرنعشه و ما ابعد ما بينه في ملحودة قبرة و في بطن امه فاعتبر بما يريك الانضمام والامتياز والانتظام من جمع مفردات عديدة في صورة ذرات لزجة ثم ضمها في صورة قطرات مدورة ثم جعلها في صورة بيضة و نطفة ثم جعلها علقة و مضغة ثم جعلها مولوداً و رضيعا و يافعاً وكهلاً و شيخاً و ميتاً ثم تراباً ثم مفردات منتشرة منها ابتداء التكوين *

(فصل)

اعلم ان الكون ليس بمنحصر في الحيوان النبات ايضاً يظهره تجتمع مفردات عديدة فتصير المادة الاولى تقرب من المادة الحيوانية قربا قريباً و تنضم ذرات من تلك المادة فتصير قطرات حية كقطرات المادة الحيوانية و تاخذ غذائها من الارض والماء والهواء و بانضمام تلك القطرات و امتيازها و انتظامها يحصل الساق والاصل والاوراق والازهار والاثمار *

و نشاهد الكون في الاقوام تنضم افراد انسانية مماثلة في بدو القوم في الجسم والعقل والخلق والقدرة على ابقاء الحياة الشخصية والفرعية فتصير جماعة ثم يبدو فيها الامتياز فيختص فرقة اوشخص بالسيادة و تصير الباقي من الفرقة المسودة و تقوم الاولى مقام الفرقة المدركة من الحي والثانية مقام الفرقة الغاذية والمتخللة بينها و بين المدركة ثم تشرع الفرقة الممتازة للسيادة في الامتياز في فرق عديدة كما امتازت المدركة في فرق عديدة كانها اصناف المدركة تصير فرقة من الممتازة للسيادة مختصة بسلطان الدنيا والاخرى بسلطان الدين و يبقى جزء من السيادة شائعاً في الجماعة كلها الا ماشذ و يسمى سلطان العرف كما يبقى شيء من الادراك شائعاً في جسم الحيوان كله و يمتاز سلطان الدنيا في سلطان الحرب و سلطان الامن و يشتمل كل منها على طبقات كثيرة مرتبة بين امير العسكر و بين الجندي في الاول و بين ولي الامر والحكم المختار لفصل الخصومة بين خصمين. ويمتاز

سلطان الدين ايضاً في فرق عديدة من الخلافة الكبرى والرسالة والنبوة والامامة والوصاية والشيخية و غيرها *

العادة في الاقوام القديمة من الازمنة الماضية ان يجمع في رجل واحد سلطان الدنيا في الحرب والامن و سلطان الدين يقود الجيش عند الحرب و يفصل الخصومات في الامن و يظهر الشريعة في الدين ثم ياتي زمان ينفصل فيه الدين من الدنيا كما يشاهد في تذاكرة الهند و براهمته تكون امور الدنيا في ايدي الراجات و امور الدين في ايدي البراهمة ثم ياتي زمان تنفصل فيه ولاية الدنيا في ولاية الحرب و ولاية الامن ويتولى الاولى امير الجيش والثانية القضاة *

ثم الجزء الباقي من الجماعة بعد انفصال فرقة للسيادة ياخذ في الامتياز و الانتظام تصير فرقة منها ممتازة للحرث و اخرى للحياكة و ثالثة للبناء ورابعة للتجارة و تقسيم الضروريات من الماكل والملابس و فرق لا تتولى ايجادها بل تشتغل بغيرها من الاعمال المحتاج اليها لحياة القوم و حياة الشخص و كما ان الحيوان له طبقات مترتبة في الكون بين البسيط و الانسان كذلك الاقوام طبقات في الكون بعضها سافلة و بعضها عالية ولكون القوم مولفا يظهر فيه من الصفات ما يظهر في الحيوان المولف من التعامل والتوافق وغيرهما ان اخلت فرقة من القوم في عملها الخاص بها تعدى الاخلال بسائر الفرق وعاث الخلل في القوم كله وهلك كما يهلك الفرد و يكون للاقوام اعمار متفاوتة كما تكون للافراد *

(فصل)

لا يختم الكون في الاقوام بل يشاهد اثاره في ما يخترعه الانسان من البيوت والعلوم والافلسفة و يكون هذا الكون اثراً لعين الكون الحادث في الفرقة المدركة من الانسان بعلوه في العلم والتهذيب فكان ما يشاهد من الانضمام و الامتياز والانتظام في المخترعات طابع لما يحدث منها في الفرقة المدركة من بدن الانسان التي تقوم مقام الخاتم لهذا الطابع

فاول امتياز يتحدث في الدار مثلاً هو امتيازها عما حولها من الارض الواسعة بالتغير الذي يشاهد في المسكن من كنسه من الحشيش والاوراق والحجر والمدر و تسويته لئلايتأذى القاعد والنائم والثاني هو الامتياز الحادث من احاطته بالاغصان لئلا يدخلها سبع اوبهيمة والثالث هوالامتياز بالاحاطة بالجدار ثم تلك البقعة المحاطة تشرع في الامتياز فتصير قطعة منها صحنا والاخرى بيتاً مسقفاً ثم يمتازالمسقف فيصير حجرة و ديواناً و رواقاً و خزينة و مطبخاً و خلاً و حماماً وغيرها و يشاهد في القصور امتياز كثير تمتاز قطع للخلوة و قطع للجلوة و قطع للمقامة و قطع للنوم و قطع للكتب و قطع للدفاتر و قطع للنزهة و قطع للمرابط و قطع للادخار وغيرها و يشاهد من غرائب الامتياز في المدن الكبيرة في قلاعها و حصونها و فصيلها و بروجها و مراصدها و مساجدها و حماماتها و بيعها و مدارسها و محاكمها و غير ذلك مما يعسر احصائها *

و جملة هذه الامكنة المختلفة في الصورة والحجم وغيرها من الصفات مع الفرق العظيم فيها متخذة من مادة واحدة متشابهة الاجزاء و هي المادة الارضية *

و يشاهد من الانضمام و الامتياز والانتظام في المعلومات البشرية التي تسمى علوماً ما يدهش العقول تبتدء بالاحساسات تنضم طائفة منها فتصير تصورات ثم بتكثير العلاقة بما في العالم اي التجربة يكثر تعداد التصورات و بانضمامها في صور خاصة تصير تصديقات ثم بالامتياز والتصنيف بضم المثل الى المثل تصير علوماً جمة من الحساب والهندسة والمنطق والرياضي والهيئة والتشريح و علم عمل الاعضاء و علم النبات والحيوان والفلسفة و علم الاخلاق و السياسة وغيرها من العلوم والفنون التي تملوء كتبها قصوراً عظيمة في الدنيا *

واللسان ايضا يظهر الانضمام والامتياز والانتظام اظهاراً بيناً جملة الفاظه من الاسم والفعل والحروف والثلاثي والرباعي والخماسي والمجرد والمزيد فيه

فرق ممتازة من الصوت المتشابه الاجزاء القائم مقام المادة الاولى للحيوان والنبات والاقوام والبيوت تنضم احاد من الصوت و تمتاز و تنتظم فتصير الفاظاً متغائرة في اللفظ والمعني و مادتها الاولى هى الصوت و سوف يظهر لك هذا بعد الاطلاع على الفصول الاتية *

(فصل في الادراک)

يتاثر الانسان بما حوله من الموثرات الموجودة و يترجم الاثر الذي يجده بحالات خاصة يجدها في ذاته و من شرايط الوجدان ان يكون ذا حواس خارجية فيها قدرة الادراک و ان يكون فيما حوله موثرات فيها قدرة الاثر و ان يحصل بين المدرک والمحسوس قرب خاص و يكون للمدرک توجه الى الادراک كاف له فالمدرک جراحة تصيب احدنا لعدم الالتفات اليها عند الاصابة و الموثرات من جهة كونها عللاً للادراک تمتاز بالامتياز في الفرقة المدركة تمتاز الذايقة في الحي فتمتاز المطعومات في العالم ولا يقسم من عدم الذوق الموجودات فيماله طعم و مالا طعم له و كذلک اذا امتازت في الحي الشامة تمتاز في العالم المشمومات لا وجود للمشمومات لمن لاشامة له فتقسيم ما في العالم الى المحسوس والغير المحسوس والى ذي اللون وغير ذي اللون و الى المدور والغير المدور و الى المسموع والغير المسموع و الى المطعوم و الغير المطعوم و الى الخشن والغير الخشن و الى الثقيل و الغير الثقيل باعتبار حدوث المدركات التي تدرک بها الالوان والحركات والصور لاوجود لها لمن لابصر له والنغمات والصيحات معدومة لمن لااذن له *

ثم بقرب المدرک والمدرک يحدث في نفس المدرک كيفية خاصة تسمى وجداناً اذا ذقت العسل مثلا اتصل العسل بالذائقة بعد انحلال ذراته في الريق واحدث اتصال الذرات العسلية بالعصب المنبسط تحت غشاء اللسان حالة تسمى وجدان الحلاوة والسبب التام لحصول الحلاوة الاتصال بين الحاسة الخاصة والمحسوس الخاص

مع شروط ضرورية من فراغ الذايقة و وجودالرطوبة و توجه الروح الى الادراك و تحرك العسل على اللسان و مضى زمان كاف للادراك ولا يتاني حصول الحلاوة ان لم توجد الاسباب كلها ان وضعنا الحنظل مقام العسل لا توجد الحلاوة وكذلك ان وضعنا ذائقة مخلوق مختلف مذاقه من مذاق الانسان مقام الذائقة الانسانية لا تحصل الحلاوة فكان الحلاوة حالة تحدث من اتصال ذائقة خاصة بمذوق خاص على رأى المحققين و قال البعض ان الحلاوة صفة خلقية موجودة فى العسل مع قطع النظر عن الذائقة و عن اختلافها و تدرك بها فاتصال الذائقة بها هو من شروط حصول الحلاوة لا من ذاتياتها و قال آخرون الحلاوة قوة موجودة في ذائقة الانسان واتصال العسل بها من شروط حصول الحلاوة لا من ذاتياتها *

ثم باتصال العسل بالحواس المختلفة تتعدد الوجدانات الحادثة في النفس منه باتصاله بالذائقة توجد الحلاوة كمامرو باتصاله بالا نامل توجد اللزوجة و بحمله يوجد الثقل الخاص به و باتصاله بالانف اوقربه توجد الرايحة الخاصة بها و بقربه من الباصرة توجد الشقرة و بوضعه في علاقات شتى من الاشياء ثم بادراك التغيرات الطارية عليه بالوضع توجد وجدانات اخر يمكن تكثيرها بتكثير العلاقات اذا وضعت العسل على النار وجدت منه الذوبان و الغليان والاشتداد و الاسوداد والمرارة و والفحمية و الا حتراق بالنار و كل ما وجدته هو اما وجدان لمسى اوذوقى او سمعى او شمى او بصرى و تلك الوجدانات الحادثة فى النفس من شيء واحد تختزن فينا بالحافظة و اذا وجد بعض منها بالفعل ذكر الباقي باصل ملازمة الحساسات والتصورات و صارالمحسوس بالفعل مع المذكور بالملازمة دالأعلى تعين الشى فما نعتقده شيا هو فى الواقع عدد معتدبه من الاحساسات العديدة الحاصلة من قرب ذلك الشى بحواسنا نجد في زمان واحد بعضا من تلك الاحساسات و نذكر الباقي و نستنبط من

هذا المجموع ان في العالم شيا خارجياً صارسببا لحدوث الحالة الخاصة فينا و على هذا فالعسل شي موجود في الخارج يصير بعلاقات خاصة احد السببين لكيفيات خاصة في نفس الانسان *

و اعلم ان قوة الواجدان غير كافية لادراک الاشياء بل لابد ان يصاعدها قوتان أخريان احدهما المميزة التي بها نفرق بين الواجدان الموجود والوجدان الماضي ان كانا مغائرين وبها نمثل الوجد ان الموجود والوجدان الماضي ان كانا مما ثلين فان ذقنا العسل مرتين و فقدنا القدرة على ان نعرف ان الحالة الوجدانية الثانية مما ثلة للحالة الوجدانية الاولى ما قدرنا على استنباط وجود العسل من وجود الذوق العسلي و كذلک ان ذقنا العسل ثم الحنظل ولم نفرق بين الذوقين لم نعرف العسل عن الحنظل ابداً و ثانيهما الحافظة لانه بدون الحافظة لاسبيل الى تصوير الحالة الوجدانية الماضية و تمثيلها بالحالة الوجدانية الفعلية او تمييزها عنها و يقدر الانسان بوسيلة هذه القوى الثلث على تصور الاشياء و تمييزها و تنويعها في الاصناف فيجد من شي واحد طائفة من الوجدانات ثم اذا وجد تلک الوجدانات بعينها مع كل الخصوصيات استنبط ان السبب الخارجي لهذه الطائفة هو الشي السابق بعينه و ان وجد من شي تلک الوجدانات بعينها من غير الخصوصيات شرع في التنويع و ان وجد من شي طائفة من الوجدانات بعضها يماثل بعض الوجدانات الحاصلة من الشي الاول و بعضها لا يماثل البعض الباقي جعل الشي مما ثلا في البعض و مغائراً في الاخر و بهذا العمل يحصل تعقل الاصناف والانواع والاجناس البالغة الى جنس الاجناس *

(فصل في درجات الادراک)

الكيفية الفعلية الحادثة في النفس من العلاقة الخاصة بين الحاسة الخاصة والمحسوس الخاص التي سميناها وجدانا هي لحمة العلم و سداه و هي للمعلومات كلها من التصديقات و التعقلات والتصورات كالمادة الاولى للنباتات والحيوان والاقوام و كما ان الحيوانات كلها ترجع بالنشر الى

مفردات عديدة كذلك المعلومات كلها ترجع الى احاد حسية تنضم في صورة او وجد ان ولا يخفى ان بعضاً من تلك الوجدانات لكونها حاصلة من تجربة النوع صارت طبيعية كالصور النوعية للاعضاء و كالاعمال الصادرة منها والمعلومات الحادثة من الوجدان الفعلى لها مراتب تترتب هكذا (١) المحسوس بالفعل (٢) المحسوس بالفعل مع ذكر بعض من المحسوسات الفعلية التي وجدها المدرك من الشي الذي يجد منه وجداناً بالفعل (٣) المتصور من غير وجود محسوس بالفعل يذكر طائفة من المحسوسات الماضية الحادثة من شيء معين (٤) المعقول *

اذا شم احدنا مثلاً ليموناً بتقريبه من الشامة قرباً تحمل معه الريح الذرات المنفصلة من الليمون الى العصب المنبسط في قعر الانف وجد الشام في نفسه حالة يعبر عنها بوجد ان الرائحة الليمونية وهي التي سميتها المحسوس بالفعل و كذلك اذا نظر احدنا الى ليمون انطبعت بامواج الاثير على العصب المنبسط في العين صورة الليمون و تلك الصورة هي المحسوسة بالفعل ولونه ايضا محسوس بالفعل وكذلك اذا ذاق احدنا ليموناً وجد الحموضة وهي المحسوسة فعلاً و كذلك اذا وجد ملمسه و هو المحسوس بالفعل كذلك اذا وضعه على اليد وجد الثقل الخاص الذي هو المحسوس بالفعل و هذا المحسوس الفعلي الحادث من وجود العلاقة الخاصة بالفعل بين الحاسة والمحسوس هو اول مراتب العلم و منه يتركب التصورات الجزئية والتعقلات الكلية و اليه يرد التصورات والتعقلات ان كان في ريب من صحتها و بطلانها *

الدرجة الثانية المحسوس الفعلي المضاف اليه ذكر المحسوس الماضي اذ رايناه ليموناً صباحاً ثم لمسناه ضحى ثم ذقناه ظهيرة ثم شممناه مساء ففي حال الشم علاقة الشم فعلية و علاقة الرويه واللمس والذوق كلها علاقات ماضية اختزنت فينا بالحافظة و الشم الفعلي لاصل الملازمة بين الاحساسات يذكر الاحساسات الماضية الحادثة من الليمون

المعين الذي نشمه بالفعل و يحدث فينا معرفة الليمون الذي وجدنا منه احساسات ثلثة منها غائبة وواحد منها حاضر فالحالة النفسانية في هذه الصورة حالة مولفة من حس فعلي حادث من العلاقة بجوهر معين و ثلثة احساسات ماضية يذكرها الحس الموجود و اسمى هذه الحالة التي تتالف من الوجدان الماضي المجعول حاضراً بالحافظة والوجدان الموجود خضرمة وبهذه الدرجة يبتدي فطامنا من الوجدان الفعلي في ادراك الاشياء و عرفانها لان في هذه الدرجة يستعان على معرفة الشي المعين باضافة الوجدانات الماضية منه الى الوجدان الفعلي نجد بعضاً من الوجدانات بالفعل و نفرض ان الباقي من الوجدانات ستوجدان و ضعنا انفسنا من الشي المعين في موضع وضعناها فيه من قبل و يكون الاقدام على الفرض اتكالا على ما وجدنا من الوجدانات في ما مضى ولا يخفى ان في الاتكال على الوجدانات الماضية في معرفة الاشياء نفعاً وضرراً نفعه ان الاتكال على ما وجدناه من قبل يصون الوقت و يقي التعب اذلا نحتاج في معرفة الاشياء بعد الاتكال على ما مضى من الوجدان من الشي المعين الى الاشتغال بوضع انفسنا من الشي في مواضع قد وضعناها فيها من قبل لتجديد الوجدانات المخزونة فينا من ذلك الشي الى المشقة العائدة من صرف الوقت في الاشتغال و لوعدمنا الحافظة والاتكال على ما اختزلته لنا وما حصلت لنا معرفة شي بدون تجديد طائفة من الوجدانات التي تصير سبباً خارجياً لها لشغلنا اكتساب معرفة شي واحد من ساعة الى اسبوع او شهر او عام او قرن ولا جهدنا معرفته مشقة شديدة لا يطيقها كثير منا و لضاق نطاق معلوما تنا كثيراً و ضرره ان في الاتكال على ما وجدناه من قبل مجالاً للخطاء لانا اذا ابصرنا شيأ يشبه الليمون في اللون والصورة و حسبناه ليموناً بالاضافة الى الوجدان العيني الموجود بالفعل وجدانات لمسية و ذوقية و شمية وغيرها التي حصلت لنا من ثمر كان لونه و شكله مماثلاً للون الثمر المشاهد بالفعل

و شكله من غير تجديد الوجدانات الماضية احتمل ان يكون الاتكال خلاف الواقع و ان لا يكون ما هو مبصر بالفعل كالليمون قادراً على احداث الوجدانات التي نحسبه قادراً على احداثها يمكن لنا نحت ليمون من العاج و صبغه بالصفرة و اذا راه من لايعرف ماهيته عن بعد احدث شكله و لونه وجداناً في الناظر يماثل الوجدان الحادث من الليمون الواقعي و استنبط الناظر من وجود الشكل الليموني ولونه في هذا المبصر المتخذ من العاج انه ليمون يوجد فيه الرايحة الليمونية و حموضته و ملمسه ووزنه الا انه اذا اراد ان يجد من المبصر تلك الصفات التي يحسبها موجودة فيه تبين له ان ما حسبه موجوداً معدوم في الواقع وظهر له خطاؤه في الحكم بان مبصره كان ليموناً حقيقياً *

ولا بد هاهنا من بيان فرق بين العلم الحاصل من الاحساس بالفعل والعلم الحاصل من ذكر الاحساس الماضي الاول علم عيني لا يحوم حوله الشك و هو من اعلى درجات العلم في الاذعان و يمكن ان يسمى عين اليقين والعلم الحاصل من الذكر علم اثري يستنبط منه وجود شي في الخارج و يمكن ان يكون الاستنباط حقاً او باطلاً والعلم الحاصل منه لايبلغ من القطعية اعلى مراتب الاذعان بل يقصر عنه ثم لا يخفى عليك ان عين اليقين علم لا مجال لاحد ان يشك في صحته و اليه المرجع في فصل الخطاب عند الارتياب في صدق الخبر و كذبه و حقية المعرفة و بطلانها اذا ابصرنا شيأ يشبه الليمون في اللون والشكل و كنا في ريب من كونه ليموناً شممناه و امسكناه و ذقناه و طلينا بعرقه جلدنا و مزجنا عرقه بنبات اخر فان وجدنا ان الليمون المشكوك فيه قد احدث فينا وجدانات وجدناها من الليمون الحقيقي حكمنا ان المشكوك فيه ليمون واقعاً و ان وجدنا ان المشكوك فيه لم يحدث فينا الوجدانات المختزنة فينا من الليمون الحقيقي حكمنا بان المشكوك فيه ليس بليمون حقيقة *

و اعلم ان المراد باصل الملازمة الذي ذكرته استطراداً في تذكر الحاضر من صفات شي الغائب منها قوة موجودة في الانسان من ائتلاف

الاحساسات والتصورات المدركة في وقت واحد او في اوقات متدانية و حدوث الغائب منها بحضور حاضرها اذا تنزه احدنا في جنة معينة مع حبيب له حصل التنزه والمصاحبة في وقت واحد ثم اذا تنزه في تلك الجنة فريداً ذكر التنزه الحبيب و كذلك اذا احس احدنا صفاتا عديدة من شي واحد في اوقات متدانية ثم احس منه واحداً من تلك الصفات ذكر الواحد الباقي و يسمى هذا التذكر الحاصل من الحاضر الغائب لازمة و تلك الملازمة اصل اصيل من اصول الفطرة البشرية *

الدرجة الثالثة نتكل فيها لادراك شي معين على الوجدانات التي حصلت لنا من ذلك الشي في ما مضى من غير ان يكون احد من الوجدانات الخاصة به حاضراً بالفعل و تسمى هذه الدرجة تصوراً اذا وجد احدنا طائفة من الوجدانات من ليمون مخصوص فيما مضى ثم ذكر تلك الطائفة بدون ان يكون احد منها حاضراً بالفعل و عبر عن ذكرها الى ذكر السبب الخارجي لها اعني الليمون الخاص وحد التفاته الى السبب الخارجي حدثت في نفسه حالة خاصة تسمى تصوراً و بالقدرة على ذكر الاحساسات السابقة ثم ذكر السبب الخارجي لها ثم تحديد التفات اليه نقدر على معرفة الاشياء الغائبة والفائتة ولا نحتاج في تصورها الى حضورها عند الحواس و بها نقدر على بيانها المخاطب بشرح الوجدانات التي وجدناها منها اذا اراد احدنا مثلا تعريف ليمون مخصوص احس منه وجدانات معينة لمخاطبه قال رائيت ليمونا شكله كذا و كذا ولونه كذا و كذا ووزنه كذا و كذا و ذوقه كذا و كذا و عرقه كذا و كذا و اثره على الجلد كذا و كذا و اثر شربه كذا و كذا و ان كنت تريد عين اليقين فضع نفسك منه في مواضع وضعت فيها نفسي تجد ما وجدته *

و اعلم انه لا يمكن تصور شي من الاشياء بذكر طائفة من الوجدانات التي صار ذلك الشي سبباً خارجياً لها الا اذا كانت افراد تلك الطائفة مخزونة يمكن ذكرها و احضارها فان وجدنا من شي وجدانات عديدة و نسيناها لا يمكن لنا تصور ذلك الشي *

و اعلم ان في اطلاق التصور على هذه الدرجة تسامحاً لان معنى تصور الشي في المتعارف حصول صورته في الذهن والحالة الحادثة في هذه الدرجة هي ذكر سبب خارجي لطائفة من الوجدانات مع عدم حضور شي منها ذكرا يكفي في تعيين ذلك السبب الخارجي و من العيان أن حصول الصورة و ذكر الشي بذكر الاحساسات مفهومان متغائر ان لا يمكن حصول الصورة بدون الحضور و الذكر لايحتاج اليه والاحساسات التي ينجر ذكرها الى ذكر الشي اعم من الصورة لانها شاملة على الاحساسات الذوقية والشمية و غيرهما والصورة مما تختص بالعين و مع التسامح الفاحش في اطلاق التصور على الذكر لا يخفى أن حصول الصورة في الذهن عندنا لا وجودلها في الواقع لان الذهن قوة غير مادية والارتسام لابدله من المادة و ارتسام الصورة في الذهن من الممتنعات و لان صور الاشياء عند رويتها ترتسم على العصب النوراني المنبسط وراءالعين لا على شي اخر والباعث على هذ التسامح الفاحش كون الا حساس البصري الذي به تدرك الصورة غالباً اي اكثر استعمالا في ادراك الا شياء و في ذكرها لان استعماله ايسر من استعمال غيره من الحواس ولان الا ستعانة به اخف من الا ستعانة بغيره في الذكر و حيث كان ذكر صورة الشي اهون من ذكر الباقي الوجدانات و من ثم اكثر اطلقوا التصور بمعنى ذكر الصورة على ذكرما هو الا عم من ذكر الصورة *

(الدرجة الرابعة) نحس فيها افرادا كثيرة من الليمون مختلفة في الصورة والحجم والوزن والملمس واللون وغيرها من الصفات ونجد تلك الا فراد مع اختلافها في كميات الصفات متفقة في ما هيتها فناخذ ذلك القدر المشترك من الصفات الذي يعم الكل و نعرض من الخصوصيات التي تختلف الافراد فيها وادراك هذا القدر المشترك هوالتعقل وهو يوجد في كل فرد من الافراد المشاهدة باضافة الخصوصيات المختصة بذلك الفرد التي بها يمتاز

من الخوه والقدر المشترک شی لا وجود له فی الخارج بل وجوده امر ذهني انتزعناه بمقابلة الافراد الكثيرة مهذباً اياه عن الخصوصيات الموجودة فی الافراد الخارجية و تسمى هذه المرتبة تصور الكلي اوتصوراً كلياً وكلا هما غير مطابقان بالمفهوم المطلوب لايتاتي اطلاق التصور عليه من غير تحريف في معنى التصور و اسميه تعقلا لانی لا اجد لفظا احسن منه لاداء المفهوم المذكور *

وبالجملة فالمعلوم له اربعة درجات (١) المحسوس بالفعل (٢) المحسوس بالفعل مع ذكر شی من المحسوس فيما مضى وهو المخضرم (٣) تذكر جزئي معين بدون حضور احساس فعلي منه وهو التصور المتعارف (٤) تعقل النوع بانتزاع القدر المشترک فيما يعم الافراد من المحسوسات من الصورة النوعية واللون النوعي والملمس النوعي والعرف النوعي والذوق النوعي والمحسوس بالفعل هو المادة الاولى التي تتركب منه سائر الدرجات اللاحقة يمزج فی الدرجة الثانية شی من الوجدانات الماضية بشی من الوجدانات الحاضرة ويوجد فی الدرجة الثالثة طائفة من الوجدانات الماضية التي يمكن احضارها عند المدرک احضارا يكفی في ذكر السبب الخارجي لهذه الوجدانات التي ليس شی منها حاضراً بواسطة علاقة بذلک السبب بل بقوة موجودة فينا مع غياب السبب الخارجي و للفرق بين الحضور الجلي بواسطة السبب الخارجي والحضور الخفي بواسطة الحافظة يمكن ان يسمى الاول حضورا والثاني احضاراً وفي الدرجة الرابعة يقنع بالقدر المشترک في الافراد الكثيرة الموجودة فی الخارج وهذا القدر المشترک لا ينطبق على موجود في الخارج بل وجوده وجود ذهني و يزيد فی المصير من المحسوس بالفعل الى المعقول تباعد عن الموجود الخارجي فی الحس الفعلي هو شطر من السبب و فی المخضرمة بعض صفاته شريک في السببية و في التصور ذكر طائفة من وجدانات سبب وفي التعقل

المنتزع من جم غفير مماثل في بعض الاوصاف سبب اوبيان اخر في المحسوس بالفعل يكون السبب الخارجي حاضرا و في الخضرمة طائفة من الصفات الموثرة التي احدثت اثاراً غائبة عن المدرك وجزء منها حاضر و في التصور الطائفة كلها غير حاضرة ولكن يمكن احضارها ان اردنا ذلك و في التعقل الموثرات كلها غير حاضرة ولا يمكن احضارها بحيث يمكن تطبيق الاثر الموجود عند التعقل بالموثر الذي كان سبباً لهذا الاثر *

اعلم ان من العلم صحيحا و باطلاً و من الصحيح عيناً و اثراً الصحيح ما يكون حادثا من معلوم موجود في الخارج اواثر له بواسطة او بلا واسطة والباطل ما يكون حادثاً من غير معلوم موجود في الخارج او اثره والعين علم يحدث بحضور المعلوم عند واحد او اكثر من الحواس الخارجة فعلاً و الكيفية الحادثة من حضور المعلوم الموجود في الخارج عند حاسة من الحواس اعلي درجات اليقين التي ليس فوقها درجة والاثر علم يحدث بكون اكثر المعلوم او كله غائباً عن الحواس الخارجة كما في الخضرمة والتصور و حيث يحصل معظم العلم بالالقاء والاخذ من الغير لا من التجربة الذاتية يكون اثراً و يمكن ان يكون باطلاً يظهر بطلانه اذا اردنا صرفه بالعين فوجدنا انه لا سبيل اليه *

واعلم انه لطاقة حواسنا الخارجة حدا لا تتجاوزه يقدر احدنا ان يحمل منا اومنين من الحجارة الا انه لا طاقة له على رفع الطور في وقت واحد يقدر احدنا ان يرى ذراعاً او ذراعين من الخشب الا انه اذا طال فبلغ الف الف ذراع لا يمكن ان يراه ناظر في دفعة واحدة و كذلك يقدر احدنا ان يرى رجلاً اورجلين الى مائة اومات من الرجال فاما اذا اجتمعوا في الف الف الف رجل يصير محالاً ان يراهم الناظر في الدفعة الواحدة وكذلك اذا صغر الجسم و صار سالمة لا يمكن ان يراه ناظر او يلمسه او يذوقه اويشمه اذا رائنا كرة قطرها

ذراع او ذراعان او خمسون ذراعاً قدرنا على تصورها . ولكنه اذا بلغ القطر ثمانية الاف ميل وصارت الكرة ارضاً حسرت قوتنا عن تصورها و ان كنا نراها و نمسها و نمشي عليها ولا نطيق على محوها عن ادراكنا و غاية ما يصنع في تحصيل تصورها هو تصور الكرة الصغيرة التي يمكن لنا علمها عيناً و الاضافة الى هذا العلم الاثري المتصرف بالقوة الى العين تصور كرة عظيمة قطرها ثمانية الاف ميل والعلم الاثري الذي نضيفه اثر لا يمكن رده الى العين في وقت واحد و كذلك اذا اردنا تصور الوف الوف رجل تصورنا جماعة من الرجال قابلة العلم اللعيني واضفنا اليها تصور العدد الكثير الذي لا يقبل الرد الى العين وتصور الا شياء التي لا يمكن لنا رويتها في وقت واحد دفعة لكثرة عددها او عظمها او صغرها او عدم الوقوف على بدايتها او نهايتها من تصور الاجناس والمادة والقوة والزمان والمكان والابد والغير المتناهي و غيرها اثر فقط *

(فصل)

تتفاوت مدركات الاقوام و مدركاتها وايضا مدركات الافراد و مدركاتها بالتفاوت في فطرتهم و في ما حولهم فمدركات الاقوام الساكنة تحت خط الاستواء و مدركاتها ممتازة من مدركات الاقوام الساكنة عند القطب الشمالي و مدركاتها و حواس العرب و محسوساتهم مغائرة لحواس العجم و محسوساتهم وما هذا الا المتفاوت في الاسباب الخارجية والباطنية *

العلم يحصل كما مر من علاقة خاصة بين الموثرات الخارجية والحواس والموثرات لتغيرها بالتغير في البلاد تحدث اولاً تغيراً في الحواس المتاثرة ثم في المحسوسات المدركة و من ثم اذا وضع قوم في المظاهر الخاصة من البر والبحر والمياه والجبال والحيوان والنبات والحر والبرد اثرت تلك المظاهر في الافراد بجملتها و بطائفات منها و بافرادها واحدثت اثاراً مختلفة نشاهدها في اختلاف الاقوام الساكنة في المقامات المختلفة في ابدانهم والوانهم

و قدود هم و صورهم و طبائعهم و قلوبهم و عقولهم و اخلاقهم و مذاهبهم و مطاعمهم و مشاربهم و علومهم والسنتهم وغيرها و من التفاوت في المؤثرات الخارجية والداخلية و من التفاوت في خلقة الافراد و من التفاوت في استعمال بعض الاعضاء دون البعض يحدث تفاوت عظيم في حواسهم الباطنة من الحافظة والمميزة والذهن والخيال وغيرها و في حواسهم الظاهرة من السمع والبصر والذوق والشم واللمس و في ادوات كلامهم و في قوة النقل والحكاية لما يسمعون من الاصوات لا يقدر العرب مثلاً على التلفظ بالراء الهندية ولا يقدر الانكليز على التلفظ بالضاد والخاء و ما يسمعه احدنا فاء يسمعه غيره باء فارسية و ما يسمعه احدنا راء يسمعه غيره لاماً و لذا ترى كثيراً من الالفاظ في الالسنة المختلفة مع كونها تمثيلاً لشي واحد و تعبيراً لصوت معين مختلفة في الاصوات ما يسمعه العربي عند التصادم دق يسمعه الهندي كهت والانكليزي ناك لاريب ان كلاً منهم سمع صوتاً حادثاً من وقوع يابس على آخر واراد حكايته الا انه للاختلاف في اسماعهم و ادوات كلامهم و قدرتهم على تطبيق الحاكي بالمحكي وقع الاختلاف في المسموع و في وصفه والتفاوت الموجود في المؤثرات الموجب للتفاوت في الاثر و في القدرة على تمثيل الاثر بالمؤثر هو السبب الاول في اختلاف الالسنة *

الانسان كما يوجد فيه قوة الادراك التي بها يميز بين اللذيذ والمولم والضار والنافع و يغتنم اللذيذ النافع و يتقى من المولم الضار لصيانة الحيوة الشخصية النوعية و تجويدهما و التي هي على راي حكماء هذا العصر ليست عرضا الحياة بل درجة عالية من الحياة المتكونة لتوفر الاسباب المفضية الى كما لها طولاً و عرضاً يراد بطول الحياة طول امتدادها في الزمان و بعرضها نفعها كذلك يوجد في الانسان قوة بها يخبر عما يجده و يستخبر عما يجده غيره و بها يتاجر في العلم الاثرى الذي ياخذه من الغير و يعطيه اياه و لولا تلك القوة لكانت معلوماتنا قليلة تعد بالانامل و لكنا مع الانعام كفرسي رهان و كما يحسب قوة الادراك درجة من الحياة كذلك

تحسب قوة الاخبار درجة منها اعلى رتبة من قوة الادراك تتكون لتيسير الاسباب الموصلة الى وقاية الحيوانين واكمالهما *

ثم قوة الاخبار بعد حدوثها تمتاز في اصناف عديدة كما تمتاز المدركة فاذا وضع انسان في محسوسات محيطة راها وسمع الاصوات منها و لمسها و شمها و ذاقها و اكلها و ادرك صفاتها الاخر اي جربها و حصل من كلواحد منها على كيف في النفس يسمى الادراك و ظاهر ان السبب التام للادراك كما مر مولف من سببين احدهما الموجود الخارجي الذي يسمى معلوماً والثاني المدركة الموجودة في جسم المدرك والاول من السببين او النصف من السبب شيء مادي موجود في الخارج ممكن لكل من اراد تجربته ان يحضره عند حواسه والنصف الثاني من سبب الادراك اعني القوة الموجودة في جسم المدرك شيء لاوجود له في الخارج ولا قدرة لاحد على ان يحضر تلك القوة عند حواسه فيلمسها او يذوقها او يشمها او ينظر اليها او يزنها او ياكلها او يدركها عين اليقين يعرف وجودها باخبار صاحبها و بالقياس على نفسه لان كل واحد منا عارف بوجود الحواس في ذاته و اذا اخبره مخبر يماثله في الاعضاء المشاهدة بان المخبر له حواس استنبط السامع استنباطاً يتاخم القطع ان الحواس موجودة في المخبر و كما ان السبب الثاني للادراك شيء لا يمكن احضاره عند الحواس كذلك المسبب الحادث من السبب التام اي العلم ايضاً شيء باطني لايمكن وجوده في الخارج اذا وضع السكر في فم رجال لا يعرف غيره هل حدثت في نفسه كيفية ذوقية ولا سبيل الى معرفة وجودها سوى الاعتماد على بيان الذائق كذلك اذا انفقت فارة مسك بمحضر من القوم لا يعرف من وجد طيبه و من لم يجد ولا سبيل الى الوقوف عليه سوى خبر الواجد والغير الواجد من الحاضرين *

ثم المدرك الذي حصل له العلم بالتجربة اذا اراد اعلام المخاطب بالعلم الحاصل له لا يمكن له وصف العلم بلا واسطة لانه امر ذهني لايقبل

الوصف و كذلك لا يمكن له وصف النصف الثاني من السبب التام لانه ايضاً شيء لا وجود له في الخارج فينحصر التوصل الى الاعلام انحصار اضطرار لاملتجي منه في ان يستعين بالنصف الاول من السبب اي المعلوم المادي الموجود في الخارج اما باحضار عين المعلوم عند المخاطب والاتكال عليه في الباقي من اضافة النصف الثاني من السبب التام للعلم و من حدوث العلم مع الاضافة ولا يمكن ان يستعين باحضار العين الا لكونه عارفاً بان المخاطب مماثل المدرك في قوة الادراك و بانه اذا وقع المخاطب من عين المعلوم موقعاً وقع فيه العالم يحدث فيه العلم فكان العالم بعد احضار المعلوم عينه عند المخاطب يقول له بلسان الحال هذا المادي الذي احضرته قد احدث في نفسي عند التجربة كيفية نفسانيه أريد ان نحدث فيك الا انه لاقدرة لي على احضارها فاحضر عندك نصف سببها *

و اعلم ان النصف الباقي لها موجود فيك نضف نصفك الى النصف الذي احضرته عندك و املك الكيفية النفسانية التي انا مالكها و يسمى هذا الاعلام دلالة و لها خصال سوف اتلوها عليك مثلا راي خالد اول مرة في عمره البطيخ النضيج و شمه و لمسه ووزنه و ذوقه و اكله و شبع منه يقال انه جرب البطيخ و حصلت من التجربة في نفسه كيفية تسمى ادراك البطيخ او علمه ثم اراد خالد ان تحدث تلك الكيفية في نفس عامر دله على البطيخ اما ذهب بعامر الى البطيخ او اتى به الى عامر وخلي بينهما قائلاً بلسان الحال ان هذ البطيخ الذي تراه ان اضفت اليه نصف السبب الداخلي الذي اعتقد وجوده فيك يحدث فيك كيف حدث منه في نفسي ولو كنت قادراً على القاء ذلك الكيف اليك بلا واسطة البطيخ الحاضر لفعلت ولكنه امر لاسبيل اليه ومن ثم اقنع باحضار البطيخ فاصطنع لنفسك ما ينتج مع البطيخ الحاضر العلم *

ويظهر ما ذكرت ان الدلالة تقريب بين المدلول والمدلول اليه بحيث يمكن الاول لتجربة الثاني و تحصيل العلم العهقي ومن خواص

امثلة الدلالة وضع السكر في فم الوضيع ليعرف انه لذيذ او تقريب اصابعه من السراج ليعرف انه حار مولم او وضع الطعام بين يدي الاصم الابكم ايا كله و للدلالة خصال منها انها تحتاج الى حركات جسمانية لاحضار المدلول اليه عند المدلول منها ان الحركات المحتاجة اليها ربما تكون ممتدة تطاء طويلاً من الزمان و قد تكون متعبة للنفس مجهودة للبدن منها ان الدلالة تنحصر فيما يمكن التقريب بينه و بين المخاطب المدلول منها ان الدال يضع فيها المدلول في مقامه ولا يعطيه شيا من علمه فان كان المخاطب مثلاً غير مماثل للدال في المدركة يكون العلم الحاصل له غير مطابق لعلم الدال منها انه لاينتقل في الدلالة علم من صدر العالم الى صدر المخاطب منها انّ العلم الحاصل من الدلالة يكون عين اليقين ويحتاج الى ان يرضى المخاطب لتحصيله الى تجربة ربما تكون مما لايطيقها منها ان الدلالة لا يمكن شيء منها في الاعلام بالتصورات والتعقلات والتصديقات ومع انحصارها في بعض المحسوسات ربما تكون محتاجة الى تعب و زمان لا يسع الدال اوالمدلول بذلهما *

ويتوصل الى المفاوضة بطريق اخر يسمى حكاية يحضر فيها الدال مقام عين المعلوم ما يمكن احضاره من اوصاف المعلوم *

و اعلم انه اذا اكتفى العالم باحضار الصفات الممكنة الاحضار من احضار عين المعلوم لا بد من مراعاة شروط منها ان تكون الصفة مما يقبل الاحضار البطيخ شامل على طائفة كثيرة من الصفات التي تدركها باللمس والشم والذوق والاكل والوزن و بمزجه باشياء اخر و غرس بذوره وغيرها ولا قدرة لاحد في العالم على احضار صفة منها بدون احضار البطيخ لا يسع لاحد ان يحضر حلاوة البطيخ او رائحته او خشونة ملمسه ان كان خشناً او وزنه او الاثر الحادث في جسم الانسان من اكله هذه صفات لا يدركها الا من جربها لنفسه وضابطها ان ما يدرك من صفات الاشياء بالحواس الوصالية الى اللامسة والذائقة والشامة

التي لابد فيها من اتصال بين الحاسة والمحسوس لا يمكن نصلها عليه واحضارها عند المخاطب وان رام احد احضار الحلاوة اوالخشونة او الثقل بلا واسطة عدم من يتخبطه الشيطان من المس *

وكما ان البطيخ شامل على صفات تدرك بالحواس الوصالية كذلك هو شامل على صفات تدرك بالحواس الفصالية الى السمع والبصر من الصوت المسموع عند سقوطه و شكله وقده هي صفات تمكن احضارها من غير احضار العين لان العين والاذن غير محتاجتان في الادراك الى الاتصال بالمبصر اوالمسموع *

و اعلم ان وسيلة احضار الصفات التي تدرك بالحاسة الفصالية منحصرة في التمثيل الصورة صفة واحدة من البطيخ فاذا اراد ان يحضر البطيخ عند المخاطب ولم يقدر عليه صور شكله على القرطاس او صنع مثله من الموم او الطين او بالاشارات فالتصوير تمثيل صفة موجودة في البطيخ مدركة بالعين و ممكنة الا حضار بدون احضار البطيخ بتصويره على قرطاس يراه المخاطب وكما يمكن تصوير الصورة التي هي احدى صفات المعلوم يمكن تمثيل الصوت المسموع منه اذا كان ذا صوت مثل القطا او الجد جدا وغيرهما باخراج العالم من فمه صوتاً يماثل الصوت المسموع منه منها ان تكون قابلة للتمثيل وهو ايضاً منحصر في الصورة المدركة بالعين والصوت المسموع بالاذن لا يقبل شيء من الصفات غير هما ان يمثل منها ان تكون المماثلة بين الحاكي من الصورة والصوت و بين المحكي منهما تامة لانه ان لم يكن الحاكي مطابقا للمحكي لايتبادر الذهن من الحاكي الى المحكي نعم اذا كان عين المعلوم حاضر بين يدى العالم والمخاطب وحكي العالم صورته او صوته بمحضر من المخاطب و عرف المخاطب ان المراد بالحاكي هوالمحكي لا يحتاج الحاكي الى كمال المطابقة بل يسد رضى المخاطب بقوله و اصطلاحه على اقامته مقام الحاكي مسد المطابقة و يصير المثال

الغير المطابق كافياً في الدلالة على المثل منها ان يكون المثل عما من شانه أن يدرك بواحد من الحاستين الفصاليتين فالمثل الغير المحسوس بالعين او الاذن و ان فرض كونه مثلاً غير نافع في المقصود *

ثم بعد كون التمثيل اصلاً يرجع اليه في احضار الصفات بحكايتها و بعد انحصار التمثيل في تمثيل الصورة او تمثيل الصوت لابد من شرح تغيرات يسير فيها التمثيل حتى يصير لسانا *

فاعلم ان التمثيل اما يكون تمثيل صورة الشيء الموجود في الخارج او تمثيل الصوت الحادث من ذلك الشيء اسمى الاول تصويراً والثاني تصويتا وكلو احد منهما يبتدفيه الامتياز و الانتظام كما يظهر ان في غيرة من الاشياء عند الكون يمتاز التصوير في فنون عديدة منها النحت أي عمل التماثيل المجسمة من الاصنام منها النقش اي عمل التصاوير الغير المجسمة من نقوش الرجال والنساء و الا نعام والقصور والرياض والملاحم و محافل السرور و مجالس العزاء و غيرها و منها الخط و لعلك تستغرب كون الخط من ولد التصوير و تقول ان نسل الخط من التصوير فقد استفوق الجمل الخط مولف من حروف هي علامات الاصوات الخارجة من فم الانسان المسموعة بالاذن و كيف يمكن ان تكون صوراً للمخلوقات المادية والمصنوعات قلت لاريب ان الحروف في كثيرة من الالسنة اليوم علامات لاصوات يحدثها الانسان الا انها كانت عند نشاتها الاولى تصاوير مما ثلة للماديات الموجودة خارجاً و كانت مرادة لان تدرك بالعين لا بالاذن ثم لغرائب التغيرات الطارية على هذه الدنيا التي سبق لك ذكر بعضها في نشاة الحيوانات من المادة الاولى قلب لها الكون ظهر المجن فصار ما كان مراداً الادراك بالعين مراداً للادراك بالاذن والعين رايت اصناماً كثيرة نحتت في قديم الزمان في مصر و عليها نقوش الحيوانات وغيرها و هذه النقوش صور تقوم مقام الحروف و تدل على معان مقررة كما تدل عليها الحروف قامت تلك الصور الحيوانية و غيرها

فمقام الاشياء المصورة فقط ثم مقام انواعها ثم مقام الاصوات التي تركبت منها اسماء تلك الاشياء فبقيت على اصلها من الصورة و انتقلت من دلالتها على تلك المصورات الى الدلالة على اسماء المصورات و على الصفات المخصوصة بتلك المصورات و صارت علامات الاصوات و اخذ قدماء السريانيين صنعة الخط بالصور من اهل مصر اسامي حروفهم اسامي ماديات موجودة في الخارج بائهم بيت و جيمهم جمل و دالهم يد و سينهم سن و عينهم عين و قافهم قحف ونونهم نون اي سمك وكذا الباقي من حروفهم كانت بائهم التي تسمى في السريانية بيت بمعني البيت تصويراً للبيت هكذا  اربع جدران و باب و كانها كانت في اول الامر دالة على بيت معين ثم على نوع البيت ثم لاسباب ذكرت في موضعها قامت مقام علامة تدل على الصوت الذي يبتدىء به اسم البيت كانت بيت عند حدوثها مماثلة للبيت كمال المماثلة ثم حكم على الصورة الاستعجال فاتى على كمال مماثلتها وجودة مشابهتها بالبيت المصور و صارت الصورة المفقودة غير مطابقة لصورة البيت الجيدة في الشكل ولكن الناظر اليها رضى بها مع قصورها و نقصانها لوقوفه على ان المراد بها الشى الخاص اوالصوت الخاص و رضى ايضاً بكونها علامة لما يسمع بالاذن مع ان المماثلة بين ما يدرك بالعين من الخطوط و بين ما يسمع بالاذن من الاصوات امر فرضي اصطلح عليها الكاتب المصور والناظر السامع الجيم في السريانية كمال الذي معناه الجمل و هو تصوير لراس الجمل و عنقه اذا جذب راسه الراكب و بعد ذلك لاسباب مذكورة في موضعها صار علامة لصوت يبتدىء به الجمل و زالت المماثلة بين الجيم والجمل للعجلة و رضي الناظر والاصطلاح فون السريانية في الواقع تصوير للنون اي السمك ثم صار بالاستعمال غير مطابق له في الصورة و دل على ما يبتدىء به النون بالاصطلاح وكذا حال باقي الحروف السريانية وقدماء السريانيين هم الذين وضعوا هذا الخط ثم اخذه منهم اليونانيون والروميون و الافرنجيون والجرمانيون و الانكليزيون

واهل العرب والعجم والهند والحروف الهجائية الرايجة في الاقوام المذكورة و فى الاقوام التي تعلموا منها كلها ماخوذة من الحروف السريانية كانت الحروف السريانية صور فوق و عشرين شياء محسوساً مبصراً بالعين ازا لها السريانيون عن المطابقة بينها و بين الا شياء المصورة اخذها منهم اقوام كثيرة و كل قوم عند استعارتها اياها ازالتها عن الصور السريانية و رسمتها في ما بينهم بعد الا زالة عن الصورة السريانية في صور عديدة و زادت فيها حروف اخر لم تكن موجودة في السريانية حتى بلغ عدد صورها و طرق مزجها الى الوف و بعد كونها في الابتداء موضوعة للدلالة على الصورة بواسطة العين انفكت عن موضوعها الاول و صارت دالة على صوت مسموع بالاذن مداول عليه بعلامة مبصرة بالعين و بلغ تصوتها بالاصوات مبلغاً لا يمكن معه لكثير من الناس ردها الى اصلها اوالاعتقاد بانها كانت في نفس الامر صوراً لاجسام لاعلاقة لها بالاذن و لايغرنك هذا الانقلاب فان الخط المستقيم تصور بالانحناء و الانحناء دائرة فيصير سطحاً بعد كونه خطاً و يطرى عليه صفات لا توجد في الخط المستقيم *

و كما ان الخط الشامل على الحروف كان عند حدوثه تصويراً للمجسمات الموجودة فى الخارج ثم حاد عنه و حاد حتى صار في عصرنا علامة للاصوات المسموعة بالاذن كذلك اللغة كانت عند حدوثها اصواتاً احدثها المتكلم حاكيا للاصوات المسموعة فى العالم و ممثلا تلك الاصوات الحاكية للاصوات المحكية ثم صارت تلك الاصوات الحاكية علامات لما لا يسمع بالاذن بل يبصر بالعين او يلمس باليد او يذاق باللسان اويشم بالانف اويتعقل بالعقل *

اللغة مولفة من الالفاظ و الفاظ مولفة من الاصوات وتقوم اليوم مقام علامات للاجسام المحسوسة المادية والمعقولات الغير المادية و لا يتصور ان يجعل جاعل في بدو الامر صوتاً يحدثه دليلاً الى تمثيل شى مجسم

من غير ان يكون المخاطب بين ذلك الصوت و بين ذلك الجسم مناسبة لان التمثيل بين ما يدرك بالسمع من الصوت و بين ما يدرك بالعين من الصورة و ما يدرك باليد من الجسمية من الممتنعات ان باح احد بان الصلوة كالحمرة او ان الدائرة كالخشونة او ان النغمة كالخفة عد من المجانين والمناسبة التي تبعث على جعل الصوت مثلاً للجسم هي وجود صوت مع ذلك الجسم الممثل فكما ان في التصوير يقنع المدرك ببيان صفة واحدة للجسم المصور و هي كونه محاطاً بخطوط مستقيمة او منحنية واقعة في مواقع مقررة كذلك يقنع في التمثيل بالتصويت ببيان صفة أخرى موجودة في الجسم الممثل ان كان ذا صوت او معه ان كان مما يحدث فيه صوت من حركة خارجية و كما ان بالصورة المشاهدة يستدل الناظر على ان مطلوب الدال هو ذوالصورة كذلك بالصوت المسموع المماثل لصوت ملازم للجسم يستدل السامع على ان مطلوب اللافظ هو ذوالصوت و هذ الصوت الحاكي يكون عند حدوثه دالاً على الصوت المحكي الملازم لجسم معين صادر منه اما بارادته او لمصادمته بشي آخر اولا و بالذات ثم بالاصطلاح يدل على معين يلزمه او يعرضه دلالة صفة واحدة موجودة مع الجسم على ذلك الجسم كما تدل الصورة مع كونها صفة واحدة للجسم عليه ثم بعلاقات شتى من الملازمة و المشارفة و السببية و المشاركة والعلية والمعلولية والمضادة على الصفات الموجودة في الجسم المعين المدركة بغير الاذن من ملمسه او مذاقه او وزنه و على الاجسام المحسوسة التي لا يصدر منها ذلك الصوت و على الصفات المدركة بالعين و بالحواس الوصالية الغير الموجودة في ذلك الجسم المعين و على القوى التي لا تدرك بالحواس و على المعقلات الكلية التي لا تدرك الا بالعقل و يصير ما وضع لان يكون مدركا بالسمع مستعملا فيما لا يدرك بالسمع بل بغيرها من الحواس و فيما لا تدرك بالحواس الخارجية مطلقا *

اعلم أن الاصوات الحاكية لاتكون كاملة في المماثلة بالاصوات المحكية لان ادوات الكلام البشرية وان كانت قادرة على حكاية صوت يسمع الا ان قدرتها غير تامة لا يصير الحاكي الذي يحدثه الانسان في الغالب مثلا للمحكي و من ثم يكون الصوت الحاكي اقصر دلالة على الاصل من الصورة الجيدة التي تكون مما ذلة للمصور الا ان تكرير هذا الصوت الحاكي القاصر عن المطابقة بالمحكي الصادر من الجسم المعين بمحضر من السامعين الذين يعرفون مراد المتكلم من الصوت يحكم الملازمة بين الصوت الحاكي والصوت المحكي و يتقبل السامعون من المتكلم هذا الحاكي لعلمهم بقصوره عن اكمال المماثلة و رضى السامعين بالقبول المسمى بالاصطلاح يجبر نقصان المطابقة بين الحاكي والمحكي *

واعلم ان الحكاية بالتصوير والحكاية بالتصويت مع كونهما متحدتين في المقصود فيهما فرقا عظيما يكون التصوير كاملا في المطابقة لصورة الجسم المعين و يدل عليه عيانا لا يحتاج الى معين له في الدلالة على المصور والتمثيل بالتصويت كما علمت يكون قاصرا عن المطابقة بالصوت المحكي من جهات عديدة و من ثم يستعين المتكلم في اوائل زمان اللسان اذا مثل شيئاً للمخاطب بالتصويت بوسائل شتى اغراقاً منه في اتمام ما قصر بالتصويت و في تعيين المراد بالصوت الحاكي والوسائل التي تستعمل في اتمام الصوت القاصر هي الحركات البدنية من الايماء و رفع اليد والعض عليه والطرق بالقدم و التمايل من جانب الى آخر واسميها الاشارات والحركات الوجهية من الرمز والايماض والتقطب والتهلل والتكلف والتعبس وغيرها التي سميتها الرمزات يغلب استعمال هذين النوعين في بيان الحالات الباطنية من الوجع والالم والسرور خصوصا اذا مالت الى الافراط لان الاصوات لا مناسبة لها بامثال هذه ولاريب ان المتكلمين في اول الامر اذا كانت اللغة حديثة العهد بالوجود كانوا يمزجون ها تين الذريعتين بالتصويت و يشاهد هذا المزج الى يومنا

هذا اذا تكلم جاهل من الاقوام السافلة او تكلم احد بهرة الوجد من الاقوام العالية ثم لا يخفى ان طول استعمال صوت للدلالة على جسم معين يحكم الملازمة بينهما و يوجب تبادر الذهن من الصوت القاصر في المطابقة الى الجسم المعين و مع استحكام الملازمة و كفايته للتبادر تهجر الاشارات والرمزات *

و من الاسباب التي تدعوا الى هجرانها امور منها طول الزمان المحتاج اليه في ادائها منها اللغوب الذي يعقبها منها احتياجها الى ان يكون السامع بمرء قريب من المتكلم فان كان السامع مثلا بحيث لايراه المتكلم لا تنفع الاشارات والرمزات منها قلة عددها بمقابلة الاصوات الحاكية و من ثم اضافة المعين من الاشارات بالافراد الكثيرة من الاصوات المفضية الى عدم التعيين منها عدم قبولها للتشخص التام في الوضع والهيئة بحيث تختص اشارة معينة في الوضع والهيئة او رمزة معينة كذلك بلفظ معين منها عدم لصوق فرد منها بلفظ معين بحيث لا يمكن الصاقها بلفظ آخر منها عدم قبولها للتدرج في الخفة والشدة حتى تكون مطابقة لما يقابلها من المفاهيم في الشدة والخفة منها عدم قبولها الصوغ الصر في الذي به يصير صوت واحد مستعملا في حالات كثيرة طارية على معنى واحد من اللزوم والتعدية و الاسمية والفعلية والفاعلية والمفعولية وغيرها و الاصوات بخلاف الاشارات والرمزات تكون موصوفة بصفات تدعوا الى بقائها بقاعدة خلافة الاوفق منها انها اي الاصوات اخف مونة وايسر اداء واهون حفظا واشد تعينا والصق لزوما بالمسمى منها انها تقبل الصوغ الصر في والتركيب النحوى والبقاء الطويل الذي يتاخم القدم بواسطة الكتابة *

وبالجملة الالفاظ التي تشتمل عليها اللغة حدثت في بدء امرها بحكاية الاصوات المسموعة من الاجسام و كانت الاصوات المسموعة مدلولاتها الاولية اي معانيها الاولية ثم دلت الاصوات الحاكية

على الاجسام التي كانت مصادر للاصوات دلالة الجزء على الكل ودلت على اجسام لم تكن مصادرا للاصوات مطلقا و على صفات لم تدرك بالاذن بل ادركت بغيرها من الحواس و على اشياء فهمت بالعقل و حيث تكون الاجسام مصادر للاصوات تارة بالحركات الا رادية ان كانت مما تحلها الروح و تارة بالحركات الغير الا رادية المشاهدة في هبوب الرياح و جريان المياه و تصادم الاجسام دلت الاصوات الحاكية مرة على الاجسام و مرة على الا فعال التي صارت عللاً لحدوث الاصوات المحكية و منه يظهر ان البحث في تقدم الاسم على الفعل او الفعل على الاسم وضعا كالبحث عن تقدم المادة على القوة او تقدم القوة على المادة والمناسبة التي تدعوا الى جعل الصوت ذريعة لبيان الاشياء هى وجود صوت مع الاشياء مماثل لصوت حاك لذلك الصوت *

و على هذا فالصوت هوالمادة الا ولى التي خلقت منها الا لفاظ ويمكن لنا في طائفة من الالفاظ ان ننسبها الى الصوت الحاكي ولكنه لا سبيل الى بيان هذالنسب في جميع الالفاظ لا مور منها المبائنة في اسماعنا واسماع الحاكين في قديم الزمان و في قوة تطبيق الصوت الحاكي بالصوت المسموع وتقتضي مبائنة الا سماع المبائنة في المسموع مثلا اذا ضرب رجل عدوه بسيف حدث من وقع السيف على اللحم وقطعه اياه صوت معين و لكن الاثر المسموع الحادث في السامعين الذين تتخالف اسماعهم يكون مختلفا ثم اذا اردوا حكاية ذلك الاثر المختلف يقع في حكاية كلواحد منهم اختلاف آخر للاختلاف في ادراك كلا منهم وبهذين الاختلافين يصير ما يحسبه احد منهم حاكيا مخالفا لما يحسبه الاخرحاكيا و لذا صار مثال الصوت المسموع عند وقع السيف على اللحم شق في العربية و چكا چاك في الفارسية وكچ في الهندية و تصور الحاكي في ثلث صور مع اتحاد المحكي ولاريب أن هذه المبائنة نمانع في صور كثيرة من رفع نسب الالفاظ الى الحكاية لان ما نحسبه

حاكيا من الالفاظ ربما يكون غير حاك وما نحسبه غير حاك ربما يكون حاكيا منها ان الالفاظ مع فرض اتحاد الحاكي منها بحاكي القدماء صارت مواضع لتغيرات عظيمة متواترة في صورها و معانيها و في عمرها و في اغترابها في البلدان و تداولها بالاقوام و في انتقالها الى معان كثيرة و في انفصالها عن المعنى الاولى واتصالها بالمعاني الثانية و في البدل في حروفها و في القلب فيها و في الزيادة في حروفها و في النقصان فيها و بعد هذه التغيرات العظيمة يمحو اثر المماثلة ولا يمكن اتهام نسبها الى الصوت منها انه بعد شيوع جعل الاصوات علامات للاشياء والصفات يمكن ان يوضع الفاظ الاشياء اوالصفات من غير مراعاة المناسبة الصوتية بين تلك الالفاظ و معانيها كما يمكن اليوم ان توجد خطا تكون حروفه خطوطاً مستقيمة لا علاقة لها بالتصوير الذي هو اصل الخط و تكون تلك الالفاظ الفاظ غير حاكية و اسميها الالفاظ العقلية *

وليكن ختم ما قلته من ان التمثيل هو الاصل الذي نبتت منه اللغة بالحكاية معنى ما قاله الحكيم اسبنسر وهو هذا *

الحاصل ان ادراك الاشياء و تقسيمها الى الانواع موقوف على ادراك المماثلة والمماثلة بين الوجدان السابق والوجدان الموجود كما ان تصنيف الاشياء الذي لايتم بدونه ادراكها موقوف على ادراك المماثلة بينها كذلك ادراك المماثلة بين اللفظ و المسمى هوالمرجع في وضع الالفاظ للمعاني و الالسنة كلها عند حدوثها تحتوي على علامات يجعلها اهل الالسنة مماثلة للاشياء المعلمة بها يقدو و سعهم في التمثيل و الاشارات كماترى تخبر عن الاشياء المرادة بحكاية الافعال الصادرة منها او بحكاية خصوصيات تلك الاشياء والاصوات كذلك تخبر عن المسميات و افعالها باصوات تحدثها تلك المسميات او تصدر عنه تلك الافعال و كلاهما اي الاشارات و الاصوات كانتا مستعملتين في ابتداء

حدوث اللسان لا لقاء ما كان يجده المتكلم الى المخاطب ان رأيت كافراً او بشمانا (قومان في افريقا) وجدته يشفع لسان قاله بلسان حاله اذا وصف مثلا كيفية قتل صيد لا يقتصر على اصوات اي الالفاظ بل ياتي بالحركات البدنية والاشارات حكاية الافعال التي صدرت منه في تعاقب الصيد من الكمون والدبيب و توتير القوس و تسديد السهم والوثوب على الصيد اذا أصاب السهم مقتله والذبح له و حمله الى المقام وان تفكرت في قلة عددا لالفاظ في الالسنة القديمة و جدتها موقوفة على قيام كثير من الاشارات مقام الالفاظ الموجودة في الالسنة الجديدة واستنبطت ان تلك الاشارات كانت شطرا من الالسنة القديمة و كان لها دخل عظيم في تكميل المماثلة بين المثل والممثل من الاشياء والحيوانات والاشخاص والواقعات و حيث صارت الاصوات لطول استعمالها في مسميات خاصة مغنية بدلالة الالتزام عن الاشارات رفضت تلك الاشارات و ان بقي شيء منها في ايدي اهل الطيش من الاقوام المهذبة و ان تامل متامل في كون الالفاظ المتداولة في الاقوام الوحشية اصواتا حاكية لاصوات الاشياء المرادة و في كون الالفاظ البسيطة المستعملة فينا ايضا اصواتا حاكية لاصوات الاشياء المرادة و في كون الالفاظ التي تضعها الصبيان ابدان ما يرونه من المحسوسات اصواتا تحكي اصوات الاشياء المرادة استيقن أن ادراك المماثلة بين الصوت الحاكي و بين الصوت المحكي الصادر عن الشيء هو الوسيل الاول في وضع اللغة *

اعلم انه بعد القول بان الالفاظ الاصلية من اللسان مع اختلاف اوزانها و دلالة بعض منها على المحسوس بالحواس الظاهرة والعين و على المعقول بالعقل و مع وجود معان كثيرة للفظ واحد والفاظ كثيرة لمعنى واحد تكونت من صوت حاكي لصوت مسموع ثم بالانضمام والامتياز والانتظام صارت ممتازة في صور كثيرة لابدلنا من بيان كيفية حدوث المادة الاولى للالفاظ و بيان اسباب عاملة في تصويرها بصور كثيرة ووضعها لمعان مختلفة *

(فصل فى المادة الاولى للغة)

اذا امتاز ما فى العالم فى المدرك والمدرك فان كان كل الادراك فى جوف اللمس لابدان يكون كل ما فى العالم سوى المدرك ملموسا لا يكون شى فيما سوى الذات غيرالملموس لا يكون فيه مذوق او مبصر او مشموم ثم اذا امتاز من اللمس الذوق يمتاز فى المحيط من الملموس المذوق كذلك اذا امتاز من المدرك الشم امتاز من العالم المشموم و اذا امتاز السمع فى المدرك امتاز المسموع فى العالم و اذا امتاز البصر فى المدرك امتاز المبصر فى العالم و اذا امتاز العقل فى المدرك امتاز المعقول فى العالم و اذا امتازت قوة الادراك للون فى المدرك امتاز اللون فى العالم و اذا امتازت قوة ادراك اللون فى قوة ادراك الوان المختلفة فى المدرك امتازت الالوان المختلفة فى العالم والسمع كذلك لا تمتاز الاصوات الحادثة فى العالم من الصيحة والنهق والعجة والضجة والوسوسة والدبدبة والصفير الا اذا حصلت فى الاذن قوة ادراكها الصوت الحادث من تصادم الجسمين يكون مادة اولى للغة ثم بحصول الجودة فى الاذن يصير الصوت الحادث من الصدمة ممتازا فى اصوات مختلفة و تصير تلك الاصوات بمنزلة القطرات من المادة الاولى لبناء الالفاظ *

كان اهل جزيرة العرب فى ابتداء هم من اهل البادية ترتحل اجيال منهم مع اموالهم من موضع الى موضع فى طلب الماء والكلاء ولدنو ارضهم من خط الاستواء كان اقليمهم حاراً و ما كانوا لحرارة اقليمهم مضطرين الى الاستقرار فى الكهوف والاختفاء بالبيوت فتحول بينهم و بين ما حولهم من العالم المحسوس بل كانوا فى اكثر اوقاتهم ملا بسون للعالم المحسوس يمسون الاشياء و يشاهدون التغيرات الحادثة فى الاشياء و يتاثرون بها و بتغيراتها و كانت تلك التغيرات (١) حركات سالمية كالنور والحرارة والكون والفساد (٢) حركات حجمية كسلسلة الماء و جلجلة السحاب وقعقعة السلاح و ذبذبة العلق و دبدبة الحوافر و عوعة الاسد و غطغطة

القدر و وسوسة الحلى و همس الاقدام و مس الايدي و نميمة الساعي و رغاء الابل و ثغاء الغنم و خوار البقر و قهقهة الانسان و هدير الحمام ورزمة الناقة و طنين الذباب و حنين القوس ورشق النبال و شق السيوف و خرط الغصون و دف الطير وصفه و صرير الباب و صريف الناب و نفار الفرس و نقر الطائر و شم الانف ورشف الشفة و نفس الصدر ما كان شي من النوع الاول عما يدرك بالسمع كان بعضه من شانه ان يدرك بالعين كالنور و بعضه عما من شانه ان يدرك باللمس كالحرارة و كانت افراد النوع الثاني محسوسة بالعين من جهة كونها حركات حجمية و محسوسا بالاذن من جهة كونها صدمة يصل اثرها بتموج الهواء الى الاذن و يترجم هناك صوتاً و من عجائب الصنع المتقن ان الحادث المتحد من جهة ادراكه بالبصر انتقال في المكان و من جهة ادراكه بالاذن صوت و كانت كما مر انحاء الاصوات منطوية في كيفية واحدة اذا كانت السامعة غير جيدة اي غير ممتازة وغير قابلة لادراك الاختلاف في الصدمة و لعل السامعة في الحيوانات السافلة كذلك لا تقدر على ادراك الفرق بين النغمة والانين والرعد والدف و اما سامعة الانسان فكانت قابلة لادراك الفروق البينة ثم بالمشق والاشتغال بالعمل صعدت و صعدت حتى صارت تدرك اليوم في الاقوام العالية الفرق بين السين والشين والحاء والهاء والزاء والذال والقاف والكاف وغيرها من الفروق الخفيفة التي يعسر على الاسماع الغير الماهرة ادراكها ثم بحصول الجودة في الاسماع صار ما كان منطويا في صوت واحد ممتازاً في اصوات مختلفة في الاتصال والانقطاع والتواتر والانسجام والترجيع والشدة والخفة والملائمة والخشونة وغيرها ٭

للاختلاف في طبع الصدمة وفي طبع المتصادمات يتخيل في بعض الصور صوت سيني ممتد متشابه الاجزاء كما يسمع عند التنفس والمس والحس والبحث والسعي و يتخيل في بعض الصور صوت رائي ممتد متشابه الاجزاء كما يسمع عند الجر والنشر والنثر والنجر والنخر والنقر والنفر

والبذر والذر والدر والفر ويتخيل في بعض الصور صوت نوني ممتد متشابه الاجزاء كما يسمع في حن وطن وسن و من و غن ورن و يتخيل في بعض الصور صوت قافي كما يسمع في دق و شق و طق و عق و طرق ورشق و نق و يتخيل في بعض الصور صوت فائي كما يسمع اف و تف و سف و صف و هف و يتخيل في بعض الصور صوت مكرر كما يسمع في جلجل و خلخل و سلسل و قلقل و قلقل و بقبق و ذبذب و دبدب و فدفد و جدجد و هدهد و تلك الاصوات المتخيلة سينية او رائية اوقافية او مكررة اوغيرها هي كالقطرات من المادة الاولى اللغوية كلواحد منها كانه مادة اولى لطائفة من الالفاظ و هذا الصوت السيني او الرائي الذي اسميه الصوت الغالب كان اما منقطعا اومتصلا اذا كان منقطعا بالسرعة حكي بصوت حرف واحد غير مكرر وصار صوتاً قافياً اوخائياً او غيرهما ثم لتسهيل التلفظ به بعد حكايته بالقاف اوالخاء اوغيرهما اضيف اليه صوت حرف آخر ماقبله اوما بعده واسمي الصوت المضاف معيناً و كانه كان المعين في الحقيقة جزء من الصوت الغالب وامتاز منه لتسهيل التلفظ و ينفصل اللفظ في صورة مركب من حرفين ولا يخفى عليك ان الالفاظ العربية المركبة من حرفين التي تسمى اصولا ثنائية قليلة جداً كطق وصه و اخ وكخ وهي كثير في الالسنة اليافثية و بعثت قلتها في الالسنة السامية و كثرتها في الالسنة اليافثية علماء اللسان من اهل اوربا على جعل ذلك الفرق فصلاً بين نوعي اللسان ولعل الداعي الى ندارة الاصول الثنائية في الساميات و كثرتها في اليافثيات هي خصوصية و موجودة في ادوات الكلام من اهلها التي هونت للعرب جعل مصادرها الاولية ثلاثية و كذلك كانت خصوصية فطرية في ادوات الكلام اهل اليافثيات التي زينت لهم جعل مصادرها الاولية ثنائية واذا كان الصوت المتخيل متصلاً فصار بالحكاية (رر رر ر رر ر رز) (سسسس) (ننننننن) وهذا الصوت الحاكي كان ممتداً متشابه الاجزاء مولفامن

إحاد صوت راثى اوسفى اونونى و مرتبة هذا الصوت الحاكي في التكون اللغوى هي مرتبة انضمام الاحاد المقتشرة من المادة الا ولى الذي لا امتياز فيه ولا انتظام و بعد انضمام المادة اللغوية في هذه الحالة يفرز منها مقدار معين وللخصوصيات الفطرية الموجود في العرب المقدار الذي يفرزونه من المادة المقضية هو بقدر ثلثة حروف و من هذا المقدار يبدلون بقدر الصوت الحرف الواحد بحرف آخر ليسهل التلفظ فكان ثلث الصوت يمتاز و يصير حرفاً آخر لصوغ اللفظ و يتركون الباقي اي ثلثي الصوت صوتاً مكرراً استدلالا بتكرير الصوت على ان الصوت المحكي كان متصلاً وبعد هذا يصير اللفظ ثلاثيا مضاعفا ثم تلحقه تغيرات آخر واذا كان الصوت متصلاً مكرراً حكي الجزء المكرر بحرفين "كما مر في المنقطع ثم ثني الحاكي الشامل على حرفين فصار سلسل وخلخل و دغدغ في صورة المصدر الرباعي المولف وبعد حدوث الثلاثي المضاعف والرباعي المولف يحصل الثلاثي الصحيح المجرد والمعتل والمزيدفيه والخماسي وغيرها *

و على هذا تتكون المادة الاولى اللغوية بنقل الاصوات المسموعة من المحسوسات الموجودة و يخلق من تلك المادة اللغوية كلمات عربية مختلفة في الصور والمعاني كما يخلق العظم واللحم والشحم والمخ والجلد والاعضاء الغير المتشابهة من المادة الاولى الحيوانية والمادة اللغوية تكون عند حدوثها متشابهة الاجزاء كما تكون المادة الاولى من الحيوان لا يكون فيها امتياز ولا انتظام يجوز تقدم الحرف المعين على الحرف الغالب كما في در و جر و رن و طن و نفر و صفر و رشق و يجوز تاخر المعين من الغالب كما في عب و قط و فح و سحق و ساخ و خجل و غاق و غراب و يجوز بدل المعين كنفر و نجر و نشر و بذر و نذر و نحر لان صوت الراء هو الصوت الغالب والفات و العينات في الامثلة هي الصور الممتازة الطارية على المعين و يجوز ايضاً بدل الصوت الغالب كالشم والنفس الصوت السيلى هو الغالب في النفس و حكي ايضاً بالشم الذي الغالب فيه

الشين و يجوز أن يكون الحاكي لعدم الامتياز والانتظام إما مضاعفاً او معتلاً كدق و شق و خر و رن و غلى و ذكى و جرى و هاع و رقى و خار و جار و ثلاثيا صحيحاً كقدر و خجل و رشق و رزم و بحث و مسح و قجس و خرط و من عدم الامتياز و الانتظام يكون رباعيا مولفا كوعوع و خفخف و جلجل و مضمض و مغمغ و جر جر و وسوس و من فقدان الامتياز والانتظام لا يفقد الصورة الثابتة فقط بل لا يكون تام اللصوق بالشى الذي يدل عليه فيكون مدلول الحاكي تارة الشى المثل كقطا و جد جد و هد هد و ساق حر و بومة و كركي عصفور و قرد وا قعى و جلجل و غراب لانها اسماء للماديات التي تسمع منها تلك الاصوات و يكون مدلول الحاكي تارة الفعل الذي يحدث معه ذلك الصوت كدر و جر و نفس و شم و مس و شق و نخل و صبغ و اصق لانها افعال تكونت عند صدورها اصوات شابهت تلك الالفاظ ولا ينتهي عدم الامتياز و الانتظام هنا بل تجد الفاظاً تدل على الماديات التي صدرت منها الاصوات و على الافعال التي صدرت عند حدوثها كسلسل و خلخل و غربل و قدر و ليس فقد ان الانتظام و الامتياز باديا مما حرفن تبدل الترتيب الصورى و من اطلاق الصوت الحاكي مرة على الاسم و مرة على الفعل و ثالثة عليهما بل هناك جهة أخرى تظهر فقدانهما و هي ان اللفظ الواحد المشخص لا يختص بحكاية مسمى معين او فعل معين بل يتذبذب بين هذا و ذاك نولف مثلاً مرة حرفين معينين في ترتيب معين للتعبير عن شى معين و نولف مرة أخرى حرفين أخرين مغايرين للاولين في الصوت والترتيب التعبير عن ذلك الشى معين الذي عبرناه بحرفين سابقين فالصوت السوني الغالب المسموع عند التنفس يحكي مرة باضافة النون والفاء قبل السين و صوغ الحاكي نفسا و ذلك الصوت المسموع بعينه عند النفس مرة أخرى يحكي نسما بجعل النون المضاف فاء و جعل الميم المضاف

لاما اذا رشف احدنا شيأ او مصة يحدث صوت معين يقصد حكايته فتارة يحسب الصوت الغالب فيه الشين و يضاف الى طرفيه الراء والفاء فيصير رشف وتارة يحسب الصوت الغالب فيه الصاد فيشدد و يضاف الى اوله الميم فيصير مص و اذا صيغت كلمة من المادة الاولى للغة و بعد عهد ها عنها وتداولها الاستعمال رسخت بالامتياز و الانتظام حروفها في مواضعها والتصقت الكلمة بطول المزاولة بما يراد منها من الاسم اوالفعل و تعينت صورتها الشخصية و تقررت دلالتها اي عملها و صارت مصدرا اوليا كجز وسل و خرط وسحق و قدر و تغلغل و ساخ و مس ورشف و غيرها مما ياتي تفصيلاً في القابل انشاء الله *

(فصل)

اعلم ان المادة الاولى اذا تصورت بصورة المصدر الا صلي لاينتهي تكونها بل يسير المصدر الاصلي في درجات من التغير الصوري الذي يعد اشتقاقا وهو على نوعين الاشتقاق الكبيرا واللغوي و الاشتقاق الصغير او الصرفي و يظهر الاول في المصادر الاصلية للاختلافات الفطرية الموجودة في المتكلمين والسامعين من غير قصد لان يتغير اللفظ او ان يدل التغير في اللفظ على تغير في معناه و حيث يحدث هذا التغير من غير ارادة و لاقصد و من غير ان يكون دليلا على تغير في معني اللفظ لاسبيل الى رده الى قاعدة اواصل غاية ما يمكن في الباب هوجمع امثال هذا التغير بالاستقراء والتتبع *

من التغير اللغوي التغير في حروف اللفظ من غير تغير في ترتيبها و يسمى بدلاً وهو شائع في الا لسنة كلها و الا ستقراء يدل الى ان البدل اشد شيوعا في العربية منه في غيرها من الا لسنة و من الاسباب المفضية الى هذه الكثرة هو اختلاط قبائل شتى من العرب لان العربي الموجود ليس بلسان قبيلة واحدة بل هو مولف من

السنة قبائل عديدة مختلفة ادوات كلامهم و اسماعهم و من الاسباب ايضا ان العربية تكلمت بها القبائل المتكاثرة لالاف الاف من السنين و لم يكن لاهلها خط يضبط حروف الكلمات و ترتيبها في كلمة واحدة ولا يذهبن عنك ان بدل الحروف في الالفاظ له مد خل عظيم في تكثيرا الالفاظ المترادفة و في تصحيف المعني المراد من المصدر الاصلي الى معان كثيرة *

لا يخفى على المتامل ان الصوت الحاكي اذا تلفظ به متكلم يمكن ان يسمعه المخاطب مغائراً لما قال القائل قد يقول احدنا سل فيسمع السامع انه قال سن والسامع الثاني انه قال زل و هذا التفاوت في الاسماع يفضى الى البدل في حروف الالفاظ الحاكية و هذا التفاوت هوالمراد بالاختلافات الفطرية و في المتكلمين والسامعين و من امثلة البدل في العربية ما اخذته من الجاسوس على القاموس الاحد العهد واحد اليه عهد اليه فيه بدل الالف بالعين والحاء بالهاء *

والطبء الطبع فيه بدل الهمزة بالعين *

دأم الحائط دعمه فيه بدل الهمزة *

عربت معدته اربت اي فسدت فيه بدل العين بالالف *

الست السدس فيه بدل الدال بالتاء ثم الادغام مع بدل السين *

اناه اليه اعطاه وانطاه فيه بدل العين بالالف و ايضاً بالنون *

سنفت يده سعفت اي تشققت و مثله شنقت فيه بدل السين والشين *

جاف جعف اي صرع و مثله جفاه و جفع و جعب انظر الى بدل و قلب و قعا في هذا اللفظ ولا غروان يعز على كثير من القارين توحيد جفع و جعب و لكنهما كما ترى من اصل واحد *

الاكة العكة شدة الحر و مثله الاجة *

اذج بالذال المعجم والجيم و هاج و ذاج اي شرب فيه بدل و قلب *

ابد عبد اي غضب و مثله اد و حمد و عمد اتحادا لمعنى دليل على انها ليست بمصادر مستقلة لا علاقة لواحد منها بالاخر بل واحد منها اصل و البواقي فروعه فان القول ببدل الحروف اقرب الى الفهم من القول بان الواضع وضع خمسة مصادر بفرق يسير في حروفها لمفهوم واحد *

تصأ صأ و تصعصع و تأثاء و تزء زأ و مثله تجأ جأ اقول و تاجج كلها كما ترى واحد منها اصل والبواقي فروعه والعلاقة في المصدر الاصلي و معناه الاولى حكاية صوت يسمع عند اشتعال النار *

اندرء اندرع انذرع فيه بدل الذال والدال ايضاً *

المأص المعص المغص والمغس فيه بدل العين والغين والسين والصاد ابطه هبطه و مثله هبته فيه بدل الهمزة بالهاء والطاء بالتاء *

اذ حذ حس حص حص حد حز حز او ما ترى غرائب البدل في هذه المادة و ما كدت ان او حد حص و اذ و سترى ان الاصل فيها حكاية صوت يحدث عند قطع شي بكيفية خاصة فواحد منها اصل والباقية فروعه تصورت بصور مختلفة ببدل الحروف *

آسبت الارض او سبت واعشبت تجد في هذا اللفظ ثلاثيا صحيحا و مثالا منه و مهموزاً *

شقاء راسه شقه فيه صيرورة المهموز مضاعفاً *

آبت الشمس غابت اراق الماء هراقه *

اضباء على الاسراضب فيه مبادلة المهموز والمضاعف و قريبان من المصدر اكب واطب *

اب ام حم اي قصدا *

الطعب الطعم *

اطبان اطمان طابن طامن اي خفي اقول القياس انها من بطن ان جعلناه مصدراً اوليا و كذلك تبن له و طبن اي فطن و فيه مع البدل صيرورة فاعل انشعر اجشبه اجشمه اي اغضبه *

ملأت الكاس الا اصبارها اي أصبارها *

حربة حرمة *

الاربش الارمش المختلف اللون *

الشكب الشكم اي العطاء اوّل والشكد قريب منه *

الصرب الصرم القطع *

ثلبه ثلمه *

اجم النار اجيجها من القاموس *

الجذم الجذع *

مكه مصه و مقه عندي مشتقة المصاص الخالص لانه يمص العرق و يترك السفل *

الكسم الكسب *

الشعم الشعب اي الاصلاح *

البحت المحت الخالص ومثله المحض والحتم واستقرى انه من حكاية الصوت الذي نجده عند الكسر التراكب والتراكم *

اللصوز اللصوص من القاموس *

كمح الدابة كبحها *

زحب زحف فيه حكاية الصوت الذي يحدث في السحب *

الجزا خروج الصدر و دخول الظهر و كذلك البزخ فيه قيام الهاء مقام الخاء عكبت الطير عكفت *

جعبه جعفه كبعه جرعه والسبل الجعاف كغراب جحاف بتقديم الجيم على الحاء نكب عنه نكف *

قذه قده قسه اي بته *

فلع النهار اي طلع *

مته مده و مثله مطه ومتوت الارض مطوت و تمتي و تمطى و تمدى ترى فيه صيرورة المضاعف ناقصا *

الكست الكسط و مثله القسط *

شترشطر قطع *

تاه طاح *

غمته غمطه غمده *

هرت هرد حرق و مثله هرمط ترى فيه حصول الرباعي من الثلاثي *

الا تحم الادحم الادهم اقول و كذلك الاسحم قريب منه *

مكت مكث اقول التمرة اصلها الثمرة و حيث كانت من خير ثمارهم و غالبها دخلها اللام كما في الورد والنجم و المدنية و استعملت للخاص من الثمار المبعوث المبعوث *

الخثيث الخسيس *

تب سب و بت فيه بدل و قلب *

تذرع الى الشر تسرع و تزرع *

تمشه قمشه اي جمعه *

الافت الافك تاق شاق *

الثلالة الضلالة بدل التاء والضاد *

التثلثل والتطلطل والتر تر والتقلقل والتلقلق اقول ذكر في القاموس طلطاه *

تعتعه سعسعه زعزعه حركه و كذلك زحزحه و تحتحه و قريب منه دغدغه *

اللص واللصت فيه صيرورة المضاعف ثلاثيا مجرداً او بالعكس *

خات خان *

النهود النهوض من القاموس النعوظ ايضا نوع منه *

جاء توا اذا جاء قاصداً لا يعرجه شي والاتو الاستقامة في المسير اقول انه ماخوذ من السواء *

جث جذ *

نعث دعس دحس *

النفث النفخ من القاموس اقول الاصل فى النفس حكاية صوت يحس عند التنفس ثم يستعمل المصدر في صورة النفث والنفخ والنفح في اخراج الريح ثم فى الاخراج *

ثاوره ساوره و اثبه *

بهش بهث بش فيه صيروة المضاعف ثلاثيا *

حنف حنث اقول و قريب منه جنف جنب كنف نكف نكب نجنح فتدبر *

شاكهه شاكله من القاموس *

الانلاج الافلاج و قريب منه عندي الافلاح بالحاء *

فحث فحص و قريب منه بحث و بعث و بث و بعثر و بحثر والاصل فيها حكاية صوت يسمع عند بعث الناقة اذا كانت باركة فى الوعث الدهس *

برث برج نعم *

علثه خلطه من القاموس والغلث كالعلث في معانيه منه العلقة ما يتبلغ به من العيش و كذلك العلثة هذا من القاموس *

الفلج والفرق والفلق بمعني والفرق بمعني الخوف لان الخائف ينفرق و ينتحي عن الشي المخوف و لعل الفرخ بمعني اولاد الطيور لانها تفرخ اي تفرق عن القشر *

الجلج القلق الجرج *

الاجاز الانجاز *

انبعج السحاب ابنعق *

اجنه اكنه ستره *

العت فى القول والعط فى الفعل يشعربان التفاوت فى اللفظ ربما يدل على تفاوت فى المعني من القاموس في مادة عط و المعطوط المغلوب قولا او فعلا اوالعت فى القول والعط فى الفعل *

ارتجم ارتكم ارتطم ارتجن اقول و قريب منه ارتكب ارتبك *

ارتعج ارتعس و مثله ارتعد *

ارتخش ارتهس ارتعص و قريب منه ارتج او ما ترى كيف يبدلون حروف المصادر حيث يشاؤن او تشاء المؤثرات الغير الاختيارية والقول بانها مصادر مترادفة اصلية وضعت لمعني واحد على حدة رجم لا يشفعه برهان ولا يقول به الا من اختار الصورة على المعنى ولا يضع واضع اري من التجاون مصادر شتى بتفاوت قليل في حروفها لمعني واحد *

الاجن الاسن *

عجفت عنه نفسي عزفت سدرى انهما من العف و قريب منه عافت نفسى *

اسجف الليل اسدف *

سفر جاسع شاسع *

جسعت الناقة دسعت *

الجوس الحوس قال في القاموس الجوس طلب الشي بالاستقصاء والتردد خلال الدور و نحوه جاس و حاس و حس *

الناصع الناصح *

البحر والبهر والبقر الشق اقول و قريب منه النهر *

جرمه صرمه خرمه *

خدش راسه شدخه و فدغه و فدخه و فضخه و فضغه و ثدغه و ثمغه و فلغه فيه حجة باهرة على ان مصدرا واحدا له معني واحد يأخذ اشكالا عديدة بتبدل حروفه الاصلية ثم تصير تلك المصادر الحادثة ما خذ لكلمات جمة فيها بون بائن في الصورة والمعني *

خمر غمر اى غطى اقول و منه غفر و كفر *

الخسوف والكسوف انظر الى فرق يسير في المصداق فان واحداً منهما خاص بالقمر و الاخر بالشمس و فيه اشعار بانهم اذا ارادوا

استعمال لفظ في مفهوم يتفاوت قليلاً من المفهوم الاولى بدلوا حرفا من حروف اللفظ المستعمل في المفهوم الاولى *

الشرخ الشرق الشق *

سحقه سهكه فيه حكاية الصوت صريحا *

ختر الرمح قتو *

محقه محاه و حمق مغدي بالقلب كان الاحمق محق عقله *

دره طره طلع اقول و قريب منه ذره *

دسم طسم طمس *

المبالدة بالسيوف المبالطة و البطل الشجاع والبدل كذلك اقول القياس انها من المبادلة كان القرنين اذا نازلا ضرب احدهما الاخر بسيفه فكانه اعطى سيفه اياه وفعل الاخر فعل الاول فكانه اخذ ضربة سيف قرنه واعطاه في البدل ضربة سيفه فسميت مبادلة السيوف بالقلب مبالدة و بالبدل بالطاء مبالطة و من ثم اخذ البطل بمعنى الشجاع *

ادهضت الناقة اجهضت *

هدبه هذبه اقول قريب منه اذبه *

الترذيم الذذيم *

الدبب الزبب الزغب اي صغار الشعر والتسمية به لما يرى لها دبيب و حركة بادنى الريح والدب من حكاية الصوت *

ذاهدة ذاهضة *

رجل مدرس مضرس *

الدلام و الظلام *

ذبر زبر سفر *

لذمه لثمه وخف ملذم موذوم تلفم بعمامته تلثم *

لذم بالمكان لزم اقول قريب منه رزم و هو من صوت الناقة *

ذرف اليه زرف وزلف و سرف و دلف و قريب منه سلف *

قعقع زعزع زازأ وسعسع *

ازمعت الامر و عليه اجمعت من القاموس *

ثربه ثلبه *

و طن عطن قطن *

الجرهة والجهلة الجهلة الجانب و الجهل لعله من قولهم هو في جهلة اي جانب لا يرى *

الطمر الطمل الثمل الثوب الخلق *

اخترق الكذب اختلقه اقول الخلق بمعني الايجاد و الابداع تعقل انتزاعي لاينصور عمله و كيفيه و تعبيره بلفظ لا يمكن رده الى معني حسي خلاف القياس و اهل العرب راو الطيور تخرق البيض و تخرج منها الفراخ فمثلوا خلق المخلوق و مسيره من العدم الى الوجود بخروج الفراخ من باطن البيض الى ظاهر الفضاء و سموه خلقا فعلى هذا الخلق والخرق في الاصل بمعني واحد و لكن اختص الخلق بالايجاد و بقي الخرق بمعني الشق ويؤيد هذا التوجيه قولهم فطر الخلق بمعني ابتدعهم حيث ان الاصل في الفطر الشق ولاريب في ان الاختراع في الاصل اختراق و اما بوء بمعني خلق فعلى الغالب مع بقي من مادة واحدة و كما ان الخلق من الخرق الذي هو مصدر اولى كذلك العدم من الهدم الذي هو مصدر اولى امكان صوت يسمع عند انهدام الجدار و يحكي في الهندية بدهم *

فالطه فارطه لافطه اي صادفه *

ارصق الصق اقول قريب منه ارتصع و كذلك ارتسع *

مارسه مارزه *

سكرت الريح سكنت *

ازدف اللبل اسدف *

زقع الديک صقع اقول و قريب منه صعق وكلها من حكاية الصوت كما سيجئ *

الفرزة الفرصة الفرسة و الرخصة كذلك *

الزدق الصدق *

نكز نكص و قريب منه نكس *

الحزة الحجزة معقد الازار فيه صيرورة المضاعف ثلاثيا مجرداً *

حرزة حرسة *

الدعس الدعص *

ساع الشى ضاع و اساعه اضاعه *

مسح في الارض مصح *

اسفقه اصفقه *

الصخب السخب و قريب منه الشغب *

مدة مدة مطة *

معطة مغطة *

الصدرة السدرة *

سفع صفع *

السقع الصقع اي الناحية *

الهسم الهشم و مثله الهصم و قريب منه الهضم والهتم والهثم والهجم والهدم يقال بيت مهجوم اي حلت اطنابه وانضمت اعمدته فكانه انكسر ويمكن ان يكون منه الهرم لان الشيخ سمى هرما لان العمر تهضمه و تهرمه و تهدمه ولاغرو ان تكون كلها من الهدم الذي هو المصدر الاولى *

الذميم التسمير *

نفشام المرض تقشا الاول بالفاء والثاني بالقاف *

الغبشة الغبسة اي الظلمة *

العسم العشم اي الطمع *

نهش نهس *

شما سما *

سم شم *

البهش البهس اي المقل مادام رطبا *

مشج مزج مشع مزع بمعني *

حرش حرث *

البصط والبسط *

سلطه صلطه صلط تصليطاً لغة في سلطه اي غلبه *

قالصة الطير قانصته *

الوصح محركة الوسخ *

الضبع السبع *

الاحتياص الاحتياط *

قاوصه و قاوشه مارسه *

الصفح السفح و قريب منه عندي الصفف و الصفو و النصف بالبدل لان نصف الشي من صفه *

و قطه كوعده و قذه *

حضرب الافاء حطربه ملئه و حضومه و حصرمه *

بهطه الامر بهضه *

و خضده الشيب و خطه اي خالطه *

الضرغم الضرغم و كذلك الضيغم من حكاية صوته و هذا الصوت مغائر اللزئرالذي هو ايضا حكاية *

حبض عمله حبط *

ارخس السعر ارخصه *

اوضفه او جفه *

هضم عليه هجم *

بطر بتر *

بط بت *

اسبطر اسبكر *

ازحف السكين كرهف *

المعاضة المعاظة و عظه الزمان أي عضه فيه صيرورة المضاعف مثالاً العض كما ترى حكاية صوت يحدث عند العض بالاسنان على فجل أو خرط غض ثم بمعني الوعظ المتالم به لان العض قلما يخلو من الم للمعضوض

تلف نفسه أي صرفها *

الباعة الباحة الساحة و مثلها الباعة *

الاقتراع الاقتراح *

ساع الماء ساح أي جرى على وجه الارض *

الترقيع الترقيح الاصل في الترقيع اصلاح الثوب بالرقاع ثم استعمل في الاصلاح تجريداً *

الهتل الهدل الهطل الهتن الهدو واحد الاصل الهدر من الصوت المسموع عند الانحطاط والحدور و كذلك المسموع عند هدر الفحل و هديل الحمام *

و عرصدرة و غر *

العوعاء الغوغاء *

علث غلث خلط *

تعسن اباه و تاسقه و تاسنه *

العص بالفتح الاص اي الاصل و مثله الاض والاس *

الغمة الخمة *

الغبن الخبن و مثله الكبن *

الدغل الدخل الدخن *

ذهب داخراً داغراً صاغراً *

اغضالت الشجرة اخضالت *

ساغت به الارض ساخت *

فاغت الرايحة فاخت و فاحت *

ماغت الهرة ماءت فيه حكاية صوت الهرة و اتخاذ الفعل منه و سوف ترى ان لهذا العمل اثر عظيم في صوغ الالفاظ *

همز راسه غمزه *

فغا الشي فشا *

احسست احسيت *

هبت الريح هفت *

الجدف الجدث اي القبر *

الدفيف الدبيب الدف حكاية صوت يسمع عند طيران الحمام وغيرها حال الدفيف *

قارفه قاربه اقتراف الجريمه الاقتراب منها والارتكاب والارتكاب قريبان منه *

حفاه حباه اي اعطاه *

الخسف الغسم *

قرع راسه بالعصا قرعه *

قعف ما في الاناء قحفه سيل قعاف كغراب قحاف جحاف *

سمق سمك اي علا *

الكح القح الكحط القحط فيه صيرورة المضاعف ثلاثيا مجرداً *

الدك الدق الطك الطق فيها حكاية الصوت *

عقل البعير عكل *

شكله فاب البعير شقله *

حشك القوم حشد و ناقة حشوك حشود اي جامعة للبنها *

المحتد المحفد و المحكد *

الانز في القاموس النبز النهز الهز و قريب منه اللمز والكز والوكز *

الشاخر الشاخص من القاموس *

الشكلة الشهلة *

ال المريض ان التابيل القابون *

الحتة نحتة *

ثافله ثافله اي جالسه اقول الاصل ثافنه كان الجلوسون لقف اخذ هما الكلام الى صاحبه و صار بالقلب ثافنه و بالبدل ثافله والقف من حكاية الصوت *

دمل الارض دمنها وكذلك دبلها *

لذ المذاع ورثده نضده *

دارت الايام دالت اقول هما من درالبن لحكاية الصوت المسموع عنده و حيث يحدث الدر دوراً استعمل في معناه بعد جعله معتلّا ثم صار بالبدل دال *

عاق القربة عرق القربة اي الشدة *

اختلط السيف اخترطها الخرط والخرد من حكاية صوت يسمع في خرط الاوراق من الاغصان او اخراج سيف قد طبع من غمده و اما السل بمعني اخراج السيف فهو اذا كان السيف مصقولا والغمد جديداً لا يلتصق بالسيف و من هذا قيل سيف الله المسلول لا سيف الله المخروط لان الكلام الاول يوذن بصفات المدح والثاني بصفات الذم *

استغلب عليه الضحك استغرب *

الصلم الصرم جبله على الشى جبره *

طامه على كذا طانه وقانه *

الماطع الناطع الناصح الناصع *

كمه كنه جنه غمه كلها من جره من حكاية صوت يسمع عند جر غصن يابس ذي شوك في ارض سهلة و حيث يفضي الجر الى محو آثار القدم ثم الى الكتم والستر استعمل بعد البدل في صورة جن بمعني الستر *

تمدحت خواصرُ الابل تمدحت اي اتسعت اقول من داب الذين يبيعون الابل والخيل السعي في ان ترى سمينة اذا اقيمت في السوق و لذلك يشربونها اكثر ما يكون قبل العرض لتمدح خواصرها فكانهم يمدحونها ثم يصفونها بالسمن فاستعمل المدح بمعني الوصف لانه يعقبه فكانه يمدح صاحب الفرس فرسه ثم يصفها فقيل لكل واصف انه مادح او لانه اذا وصف ممدوح انتفخ فرحا و نشاطا فقيل للواصف انه مادح والحمد قلب المدح ولكنه للفرق بين الافعال الاختيارية والصفات الخلقية خصوا الحمد بالاولى *

التفجع التوجع *

اللتم اللتب اي الطعن *

ادلهم ادلهن *

تلعلم في امره تلعثم اي تمكث و توقف *

العثرب بالضم السماق و ليس تصحيف عترب و عيرب البتة لكن الكل بمعني العبرب والعربرب السماق من القاموس *

مهج كفتح حسن و جهه و بهج ككرم اي صار ذابهجة *

المتر البتر *

ادمي على الخمسين اربى *

الخلم الخل فيه صيرورة المضاعف صحيحا *

سدن سدل *

الخامن الخامل الكامن *

اسود حالک حانک *

سراويل سراوين اقول هو معرب شلوار الهذلية والهزرية الخفة والسرعة من القاموس *

اذهله اذهله انساه *

الجرن الجرم والجسم *

ارتجن الشى ارتجم ارتكم ارتطم *

اصن على الامر اصر *

الجرائض كعلابط الثقيل الرخم الجرامض والجلاهض كذلك من القاموس

اعلم ان البدل ليس بمختص بالعربية بل هو شائع في الالسنة الكثيرة من السامية واليافثية ويتوسع فيه اذا سار لفظ من لسان الى لسان آخر مثلا من العربية الى السريانية او العبرانية او بالعكس وها انا اضرب لك امثلاً من الكلمات العبرانية والسريانية مقتصرا على الحروف منها و معرضا عن حركات تلك الحروف لان الحركات العبرانية والسريانية يعسر تعبيرها في العربية *

ازل فى العبرانية عزل فى السريانية عزل فى العربية *

بزو فزر بزر فى العبرانية *

بقع فى العبرانية فقع فى السريانية اي التصق *

وبرب فى العبرانية رو ربب فى السريانية اي العظيم *

بحن فى العبرانية محن فى العربية اي تفحص واختبر *

زمن فى العبرانية زبن فى السريانية *

كديس فى العبرانية جدس و كديس فى العربية اي الحب المحصود المجموع *

كبريت عبراني كفريت سرياني كبريت عربي *

كتن فى العبرانية كفن فى العبرانية جن فى العربية *

كنز فى العبرانية كنس فى العبرانية كفز فى العربية كبع فى العبرانية قبعة في العربية *

كدو فى العبرانية جد و قد فى العربية *

ديب في العبرانية طيب في العبرانية طفف في العبرانية *

يدل في العبرانية بتل فى العبرانية بتل في العربية *

گبه في العبرانية گبع في العبرانية *

بوس في العبرانية بهت في السريانية اي خجل *

دور في العبرانية دهر في العربية *

مول في العبرانية مهل في العبرانية اي الاختتان *

نور في العبرانية نهر في العبرانية اي التنوير و ترى من مناسبة النهار بالنور في العربية *

روص في العبرانية الرهس في السريانية اي العدو *

زبح في العبرانية — ذبح في العربية *

زرع في العبرانية ذرع في العربية *

زعق في العبرانية صعق في العبرانية اي صعق و صاح *

علز في العبرانية علص في العبرانية اي صاح با على صوته و كذلك عاس بالعبرانية *

زهب في العبرانية ذهب في العربية الصهب في العبرانية بمعني الاصفر *

زور في العبرانية سور في العبرانية اي المضى انظر الى قرب السير والزيارة منهما *

رصح في العبرانية رضخ و رضح في العربية *

خلق في العبرانية حلق في العربية *

حبل في العبرانية خبل في العربية *

حبط في العبرانية خبط في العربية ولاغروا ان حبط بمعني سقط منه لان حبط في العبرانية معناه هش الاوراق *

نطر في العبرانية نصر في العبرانية نطر في العبرانية بمعني حرس الكرم و حرس و حفظ في القلب و نصر حرس واختفي *

طهر في العبرانية صهر في العبرانية بمعني انور را طهر و مشترك فيهما و من ثم استعمل الطهارة والظهر *

طبع في العبرانية صبع في العبرانية صاد العبرانية كثيرا ما يكون طاء في السريانية *

حطف في العبرانية خطف فيها اي قبض *

قطل في العبرانية قتل في العربية *

دكك في العبرانية دقق في العبرانية *

ركك في العبرانية رقق في العبرانية *

تكن في العبرانية تقن في العبرانية *

بقر في العبرانية بكر في العبرانية *

لحص في العبرانية نحص في العبرانية لحص ولحز في العربية *

سلم في العبرانية صلم في العربية *

سر سرة في العبرانية سلسلة في العربية والكلدانية *

قرب في العبرانية قلب في العربية بمعنى الوسط *

المانه في العبرانية ارملة في العربية *

گرگلة في العبرانية جمجمة في العربية *

دشن في العبرانية دسم في العربية *

مورگ في العبرانية نورج في العربية *

شطم في العبرانية شطن في العبرانية اي المخالفة *

ياه في العبرانية ناه في العبرانية اي حسن *

يصب في العبرانية نصب في العبرانية اي نصب وقام *

يقش في العبرانية نقش في العبرانية اي بسط الفخ لعل النقش

منه لان النقوش تشابه الفخ *

سكن في العبرانية شكن في العبرانية *

سفح في العبرانية شفح في العبرانية *

مغط في العبرانية مرط في العبرانية *

ارص في العبرانية ارع في السريانية ارض في العربية

صمر في العبرانية عمر في السريانية اي الصوف *

حاص في العبرانية خلص وخلع في العربية *

صفن في العبرانية ادفن في العربية *

نطز في العبرانية نطص في العبرانية *

برق في العبرانية بزق في العبرانية اي بزغ *

حزم في العبرانية حسم في العبرانية *

ربما يبدلون احد الحرفين المشددين بالراء مثل بسا و برسا و دمشق در مشق و شبوط شربوط *

شذاه في العبرانية شذاه في العربية *

شكر في العبرانية شكر في العربية *

شكل في العبرانية شكل في العربية *

سله في العبرانية سلي في العربية هلك في العبرانية سلك في العربية *

شلم في العبرانية سلم في العربية *

شمس في العبرانية شمس في العربية *

رشم في العبرانية وسم في العربية بمعني الكتابة *

شمنه في العبرانية ثمان في العربية تمن في السريانية *

شلج في العبرانية ثلج في العربية تلگ في السريانية *

شول في العبرانية ذيل في العربية *

ركش في العبرانية ركض في العربية وها انا اترجم لك من ترجمة كتاب غسنيوس ما يشعربشيوع بدل الحروف الاصلية في العبرانية بعينها في الفاظ توجد فيها و في العربية و آخذ منها الحروف الاصلية بلا اعراب لانه عسير نسخها في الخط العربي اصر في العبرانية حصر

فيها ازر فيها اسر والسكس فيها المعنى الاولى في كلها الجمس و قابل بها اسر و حصر في العربية *

بحن في العبرانية بحن في الكلدانية بحن في السريانية محن في العربية *

بقه في العبرانية بقى في العربية بقا في السريانية *

بتر في السريانيه اي قطع بتر في العربية و قريب منه مقر و بطر في العربية و فطر و قتر في العبرانية اقول و كذلك فطر و قتر في العربية *

كمل في العبرانية الفتل اقول جبله قريب منه يمكن ان التبدل اليه *

كوف في العبرانية معناه صار خاليا قريب منه جاف و كوفة الجيفة كانها خالية من الروح *

كور في العبرانية بمعنى جار و صار بجانب و بمعنى خاف ايضاً لان الخائف يصير بجانب عن الشى المخوف و مثل كور في هذا المعنى يكر و وجر اقول و منه و جل فجار و وجل مع تفاوت كثير في صورتهما من اصل واحد و كور الجرو لانه يجور بامه اي يلوذ و الغالب انها كلها من جار بمعنى صاح حكاية الصوت ثم استعمل بمعنى تنكب و صار بجانب لان الخائف يصرخ اولاً ثم يتنكب ثم استعمل بمعنى لاذ ان كان من غير خوف ثم بمعنى المجاورة *

كامح مصدر لم يستعمل مجرداً العرى و انصلع قريب منه جلم وخم كامح من قرح *

كلل في العبرانية الدحرجة غلطيدن في الفارسية غسلوس يحسبه من حكاية صوت يحدث اذا دحرجت كرة بسرعة و من ثم استعمال مشتقاته في الاشياء المستديرة او المحركة او العظيمة التي لا تحمل بل تدحرج اذا نقلت و لذا كلال الصخرة العظيمة و قريب منه جلل في العربية بمعنى الامر العظيم *

و تعامل العربية السريانية في بدل الحروف كما يظهر مما ذكر *

قال يوسف داود الموصلي في اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية حيث قال الباب السادس في طبع الحروف السريانية قد ذكرنا في المقدمة ان اللغة والسريانية واللغة العربية هما من اصل واحد بل انهما كانا في الاصل لغة واحدة هي لغة سام بن نوح وذلك ظاهر الى الان من اتحادهما في الاصول اللغوية وفي صوغ الكلمات اشتقاقاً وتصريفاً كما سترى في مجال هذا الكتاب كله غير انه لما انفسخت اللغة السريانية من العربية في الزمان الذي لا يعلم به الا الله وصار كل منهما لغة مستقلة قائمة بنفسها اصاب اللغة السريانية تغيير ما في كلماتها كما في تصريفها وهو الذي جعلها لغة قائمة بذاتها مميزة من سائر اللغات السامية ونحن قد راينا ان نقابل في هذا الفصل الحروف والحركات السريانية مع الحروف والحركات العربية ليظهر جليا اتحاد اللغتين وفرقهما فنقول وبالله المستعان (ا) الالف السريانية الاصلية اي غير التي هي لاعانة الحركة تكون همزة في فاء الفعل وعينه نحو (اكل) اكل (شال) سال واما في لام الفعل فتكون في الغالب حرف علة ولوقابلها في العربية همزة نحو (قراء) قراء (براء) برء (يقا) بقي (صبا) صبا يصبو وقد تكون همزة نحو (طما) طمث راجع الواو *

(الباء) البيث لا يقابلها في العربية الا الباء وكذلك سائر الحروف التي لا نذكرها لا يقابل كلا منها الا الحرف الذي مثله وقد تكون البيث ميما في العربية نحو (زبن) زمن وهو بالميم اقدم لانه كذا في العبرانية وفي سريانية بابل القديمة المسماة الكلدانية *

(الجيم) الجمل لا يكون الا جيماً وقد يكون ضاداً نحو (جحع) ضحك وفي العبرانية سحق بقلب الضاد الى سين *

(الدال) الدالث يقابل تارة الدال وتارة الذال واذا قابل الذال كان في العبرانية بالزين ابداً فالدال نحو (دس) داس (ايدا) يد والثاني نحو (دهبا) ذهب (دايا) ذئب (دذا) هذه (دكر) ذكر

(عدر) عذر اي اعان و كل هذه الالفاظ و امثالها هي في العبرانية بالزين بدل الذال فترى من ذلك ان هذه الكلمات و امثالها كانت في الاصل بالذال فقلب ذالها الاراميون الى دال والعبرانيون الى زاي و قس على ذلك الضاد والظاء والثاء كما سياتي قد امكن *

(الواو) اعلم ان حروف العلة و هي الالف والواو والياء تتبدل بعضها ببعض بين اللغة العربية والسريانية و كذا العبرانية كما تتبدل في كل من هذه اللغات بنفسها و كثيرا ما تكون بدل الهمزة العربية لان العرب يحبون الهمزة اكثر من غير هم والعبرانيون كثيرا ما يستعملون الهاء مكان الالف او الهمزة فهي عندهم حرف علة *

(الزاء) فلما تكون الزين بدل الصاد نحو (زديقا) صديق (زعورا) صغير و في العبرانية ايضا هذه الكلمات و امثالها هي بالصاد *

(الحاء) الحيث تقابل تارة الحاء نحو (حبلا) حبل (حليا) حلو (حمورا) حمار (حوبا) حب و تارة الخاء نحو (حبولا) خبال (حلا) خل (سحينا) سخين (حمرا) خمر (حب) خاب *

(الطاء) الطيث تقابل الطاء والظاء العربيتين و كذلك في العبرانية فالاول نحو (بطل) بطل (حطف) خطف والثاني نحو (طبيا) ظبي (قيطا) قيظ (طهرا) ظهر (طلم) ظلم و اذا كانت الطيث في العربية ظاء فهي في العبرانية صادي غالبا و قد تكون طيثا ايضا و قد تقلب التاء العربية في السريانية الى طاء و كذلك العبراني نحو (قطل) قتل — و بالعكس قد تكون الطاء العربية تاوا في السريانية نحو (قوستا) قسط والكلدانية القديمة توافق العربية في هذه الكلمة *

٣٦ (الياء) راجع ما قلنا في الواو و اعتبر ان و او المثال العربي تقلب ابدا الى يود في السريانية والعبرانية نحو (يلد) ولد (يهب) وهب *

(الكاف) الكاف السريانية لا تكون الا بمقابلة الكاف العربية والتفشية والتركيخ في ذلك سواء و كذلك سائر حروف التركيخ *

(اللام) اللامذ قد تكون بدل النون العربية نحو (صلم) صنم *

(النون) النون السريانية تكون كثيرا بدل الميم العربية في الضمائر فامثالها نحو (انتون) انتم (قرانون) قراتم *

٣٨ (السين) السمكث تقابل الشين العربية كثيرا و بالعكس الشين تقابل السين العربية و هذا من عجائب الامور اللغوية والعبراني يوافق السرياني في ذلك غير ان السمكث العبرانية التي تقابل الشين العربية تكتب بصورة الشين و هذا دليل على ان السمكث المقابلة للشين العربية كان لها لفظ خصوصي غير السين العربية فمن الاول نحو (عسر) عشر (سهد) شهد (بسر) بشر (فرس) فرش (سعر) شعر و من الثاني نحو (شكن) سكن (شور) سور (شمع) سمع (فشر) فسر (خرش) خرس *

٣٩ (العين) العين السريانية تقابل ثلث احرف عربية اي العين والغين والضاد و كلما كانت الضاد عينا في السريانية كانت في العبرانية صادا لان الضاد مختصة بالعرب فقلبها الاراميون الى عين والعبرانيون الى صاد فمن الاول نحو (سعة) ساعة (عين) عين (عمل) عمل (رعى) رعى و من الثاني نحو (عيم) غيم (علب) غلب (بعا) بغى (عرب) غرب (عراب) غراب (معورة) مغارة *

و من الثالث نحو (عان) ضان (عورة) ضرة (ارع) ارض (بيعة) بيضة (رعيون) رضوان و هذه و امثالها في العبرانية لها صاد بدل الضاد فكل ضاد عربية تقلب الى عين في العبرانية الا ما ندر فاذا كان عين في الكلمة التي فيها ضاد قلب السريانيون تلك العين الى همزة لتسهيل اللفظ نحو (اعف) ضعف (الع) ضلع (ابع) ضبع (اوردع) ضفدع والاصل (ععف) و (علع) و (عبع) و (عوردع) و هذه الاسماء هي في العبرانية صلع و صبع و صفدوع و اما الضعف فلا اثر له فيها *

(الصاد) الصادي قد تكون بدل الضاد العربية نحو (عرص) عرض (عص) عض *

(الراء) قد تكون الريش بدل النون العربية نحو (تارين) اثنين (بر) بن (برت) بنت ولكن النون تظهر في الجمع نحو (بنين) بنون *

(الشين) قلما تكون الشين اصلها شينا عربية نحو (شمس) شمس بل غالبا اصلها سين كما سبق الكلام في السمكث *

(التاء) التاو تكون في الاصل تارة تاء عربية نحو (تانين) تنين (تانور) تنور و تارة تكون ثاء مثلثة وعلى ذلك تكون التاء شينا وهي العبرانية نحو (تلت) ثلاث (تاد) ثدي (تور) ثور (تقل) ثقل (حرت) حرث *

هذا اشهر ما يصيب الحروف العربية من التغير في السريانية وزد على ذلك على وجه العموم ان الافعال المبتدئة بالنون قد تحذف نونها فتحول الى الاجوف نحو (سق) بدل (نسق) نشق او الى مهموز الفاء نحو (ازل) نزل و حرف العلة من المثال يقلب الى نون (نقف) وقف لزم (ولزم) *

ثم ان النقل بين الحروف و قلب الحرف الواحد الى ما يقاربه في مخرج النطق كثير بين اللغتين نحو (سبر) بشر (اوردع) ضفدع (سمك) مسك (ترع) ثغر (حرك) حرق (شتق) سكت (قرا) قرع (الع) ظلع (اعف) ضعف (رهط) ركض (بوركو) ركبة *

و من قبيل ذلك نقل المعنى الى معنى يقاربه اي الى اعم واخص او ما اشبه حتى الى عكسه نحو (يثب) وثب قعد (هلك) هلك مشى (ازل) نزل ذهب (سهرا) شهر قمر (يرح) تاريخ شهر (عطم) عظم (عظم الفخذ) (كرس) كرش بطن (بطن) بطن حبلا (بهت) بهت (خجل) (قعد) قعد جثا (نطر) نظر حفظ (ابرة) ابرة ريشة (طن) ظن (فاريغار) (بعير) بعير بهيمة

﴿اف﴾ اصله (انف) انف وجه (مرح) مرح تجسر (هش) حس (وجع)
﴿ روا) روى (سكر) (حمس) حمس (صبر) (قل) قل (خف)
(شفر) سفر (حسن) (حلق) خلق (قدر او قضا) (طعن) ظعن
(حمل) (طعا) طعا (نسى) (شلح) سلخ (خلع) (امر) امر
(قال) (قول) قول (صوت) (طيب) طيب خير (بيس) بؤس
(شر) (شلا) سلا (هدام) (انثة) انثى (امراة) (حج) حج (عيد)
(عرس) عرش (سرير) (است) است (قعر او اسفل) (حسد)
حسد (عار) (جوز) جاز (زال) † *

(القلب)

التغير الثاني من التغيرات الصورية في اللغات هو القلب اي انتقال حرف من مقامه في لغة الى مقام اخر يصير فاء الكلمة عينها مثلا او عين الكلمة لامها مثلا و لعل الداعي الى هذا التغير هو مبادرة الحافظة الى ذكر ما هو حديث العهد من الصوت المخزون فيها و يكثر القلب في الالفاظ التي لا يعرفها السامع لان الالفاظ الذي سمعها السامع مرارا كثيرة تحفظ الحافظة ترتيب حروفها كما تحفظ جملتها والمعنى المراد منها واني قد وجدت العوام كثيرا ما يقلبون ترتيب الحروف في الفاظ غريبة اذا سمعوها اول مرة *

القلب في كلمات العرب شائع مثل البدل وهاك امثالا منه *

آكر ركاه اي حفر *

ابعزق الشى زعبقه اي فرقه و بدده *

المألكة الملئكة الرسالة *

انت نات اي حسد *

اشب شاب اي خلط الاوباش الو شاب *

---

† اللغات الواقعة فى الخطوط الهلالية سريانية والخارجة منها تلفظها في العربية ثم الواقعة فى الخطوط بمعانيها فى العربية *

وقضا بالمكان باض أي اقام *

كعاكع أي جبن و كذلك كاع انظر الى تصور مادة واحدة في صورة المضاعف والاجوف والناقص *

ضاره ضره فيه المضاعف و الا جوف *

ضحضحا الطريق وضح فيه الناقص والمثال *

البعض البضعة *

ماء السفور أسي *

جاف جفي صرع *

اعتامه اعتماه اختاره *

عاث يعيث عثى يعثو *

الوهف الهفو *

الوانك الراكن انظر الى قرب الوكر من الوكن ثم قرب البطان والعطان *

في لسان العرب في لغة برغ البرغ لغة في المرغ قال الازهرى اصل برغ ربغ *

الشاكي الشائك *

الشاعي الشائع *

قبض الماء نضب *

الودب الوبد سوء الحال *

وبت بالمكان وتب *

خابي خائب *

بغشت الارض بشغت مطرت قليلا *

بكل لبك خلط *

بج جب قطع و مثله بق وحب *

قوسوس الماء تسبسب و تصبصب من الحكاية *

قرّج عليه رتج اشكل عليه قرب تحتاج وحثحاث اي سريع ونحوه هذه ذ و حصحاص و حقحاق و تقتاق و صبصاب اقول اذا دنت الخيل دنوا سمع لحوافرها صوت يحكي تح تح اوتق تق ثم استعمل بمعنى قرب قريب يسمع عنده الصوت ثم البدل و القلب حكما عليه فاخذ صورا تلوتها و من هناك حصحص الحق تمثيلا بظهوره بخروج سبع من عقدة شجر مع صوت يحكي يحص حص *

جمجم في الكلام مجمج لم يبنه من الحكاية *

جلب اجب صاح *

احمشه اهشه اغضبه *

الحتم المحت اي الخالص والمحض والبحت *

الحمت المحت اليوم الحار اقول و قريب منه الاحتدام و الاحتماء *

الخشاف الخفاش *

خطار خرط *

ادرعبت الابل ارعبت مضت على وجوهها و ادرغفت و ادر عفت *

دسه دسا اي ذلله كدرسه و قريب منه ضرسه *

الغرضوف الغضروف *

ارمش ارشم ابرش ارش مكان اختلف الوانه *

شده دهش *

ساهف ساف شديد العطش *

خطيب مصقل مصلق القياس انه من ثلاثة المصقول *

تفشغ فيه الشيب تفشف اي فشا فيه هو الاصل *

ملق الطريق لقمه ونمقه اي وسطه والقمط غالبا منه *

الحت الحتم *

نكف عن الشي عدل مثل كنف *

اضهجت الناقة اجهضت اي ادهضت *

تقرفع تقبض كتقرعف من القاموس *

المهفوت المفهوت المبهوت *

هجوج السبع جهجهه أي صاح به من الحكاية *

درب دبر لا اذكر من اين اخذته و قريب منه حرب اقول الرضاع والضرع والرفع والفرع قريبان ففي الرفع و الفرع معنى الصعود سميت فروع الاشجار فروعا لترفعها على الاصل وكذلك الدعامة والعمود والجبذ والجذب *

المدلوج المدلوج من القاموس *

الفحش و الحفث والثحف بمعنى أي ذات الطرايق من الكرش الزبردج الزبرجد من القاموس *

عقاب عبنقاة و عقبناة و عبنقاة وقعبناة اذا كانت حديدة المخالب قال ابن العرابي و كل ذلك على المبالغة كما قالوا اسد اسد و كلب كلب *

الغماريد المغاريد من القاموس *

الفناثيد الفثاثيد الثفافيد اي السحائب البيض من القاموس *

الجذمور الجرموز *]

الخنفرف الخنطرف و الخنظوف اي العجوز الفانية الغالب انه معرب زن خرف *

النوعيق النعويق من القاموس و قال الحكحكم الذكر من الغيلان ويقال الكعنكع *

دفمشت في المشي ودهمشت و دمشقت اي اسرعت (لسان العرب) *

من التغيرات الصورية في المصدر التغيير الصرفي او الاشتقاق الصغير و تخالف العربية في هذا الباب الا لسنة اليافثية مخالفة عظيمة لصائغ المشتقات الصرفية في اليافثيات باضافة ما له معنى في نفسه او

ما كان له معنى في نفسه فيما مضى فزال عنه لعدم استعماله وحده لذلك المعنى وانفكاكه منه و استعماله في الاعانة على الصوغ قبل المصدر او بعده بدون ان يغير المصدر و يدخل في حروفه شي من الحروف و تصاغ المشتقات الصرفية في العربية بتبدل حركات حروف المصدر كما في الضَّرْب و ضَرَبَ و ضُرِبَ و باضافة الحروف الى المصدر كضربه و مَضْرِب و باضافة الحروف و ادخالها في ما بين حروف المصدر كمضروب و مضراب و مضطرب و تضارب و كما ان الحكاية هي المادة اللغوية الاولى كذلك ارتفاع الصوت وانخفاضه المادة الاولى للاشتقاق الصرفي و هذا الاجمال يدعو الى تفصيل اذا فتح احد فاه و اخرج شيأ من نفسه من غير ان يحرك حلقه او شفتيه او لسانه تسمع الفتحة فان اطال الاخراج تصير الفتحة بالاشباع الفا و ان حرك حلقه عند اخراج الريح من الصدر صارت الفتحة كسرة و ان اشبعها صارت ياء و ان استعان بالشفتين صارت الفتحة ضمة و بالاشباع تصير واوا و تلك الحركات الثلث ابسط الحركات و ما حروف العلة الا حركات مشبعة و من تقدم البسيط على غير البسيط يستنبط ان اللسان الذي حركاته اقل عددا و ابسط تكونا يكون اقدم زمانا من اللسان الذي ليس كذلك و تسمية الفتحة والكسرة والضمة بالحركات من احسن الوضع لانها في الحقيقة تحدث باخراج الريح من الصدر و حروف العلة وان كانت حركات مشبعة سميت كذلك لان من به وجع او علة يبوح بما يضمها اي و اي و هذه التسمية اصطلاح و بالمقابلة تسمى باقي الحروف صحيحة و ليست الا سدا يسد به خروج الهواء من الصدر باغلاق الفم كلا او بعضا يحصل بعض الحروف بالتقاء الشفتين والبعض بتضييق منفذ الهواء من الحنجرة والبعض بالصاق اللسان ببعض الاسنان والبعض باخراج الريح من الانف و من ثم تقسيم الحروف الى الشفاهية والحلقية والمهموسة وغيرها ✽

ثم اعلم ان حروف امان و تسهيل هيَ التي يستعانَ بها علىٰ صوغ المشتقات و على بناء الابواب التي هي فى الواقع انواع من الاشتقاق و اذا تامل متامل و جدها كلها صور الا عراب الذي هو المادة الاولى للاشتقاق الالف والياء والواو لاريب فى كونها حركات مشبعة والالف بتغيريسير يصيرها والهاء تاء و سينا و باشمام الغنة يضاف النون الى الالف و يبدل النون باللام و الميم و على هذا توضع الالفاظ هكذا يسمع صوت فيحكي بصوت حرف واحد مشدد كالسين اوالزاء او الدال ثم يضاف اليه صوت حرف آخر لامكان التلفظ و يصير ذلك المولف مصدرا اصليا يعبربه تارة عن شى صدر عنه الصوت و تارة عن فعل يقارن ذلك الصوت و يكون المولف مبتداء بالفتحة ثم السكون لكون هذا الحال اسهل تلفظا ثم تصاغ المشتقات الصرفية من ذلك المصدر بتغير في حركات حروفه و تلك الحركات تتصور في صورة حروف العلة بالاشباع ثم الالف تصير هاء و تاء و سينا و ايضا تاخذ الحركات صورة النون واللام والميم بعمل الانف والشفتين فالاصل في التعبير عن شى معين هوالنقل والحكاية والاصل في الاشتقاق الصرفي هو بدل حركات حروف المصدر الحاكي *

من راى صوغ المجهول والفاعل والمفعول والمونث و الابواب والمزيد فيها من الثلاثي من التفعيل والافعال والتفاعل و الاستفعال وغيرها وجدها كلها تصاغ من فَعَل ببدل الحركات او بالحاق حروف امان و تسهيل التي هي صور عالية للحركات استيقنت نفسه بما قلته من ان الا صل فى الاشتقاق الصر في هو بدل حركات فَعَل او اقامة الحروف الزائدة التي هى صور عالية للحركات مقام الحركات من فعل *

فصل

اعلم ان المادة الاولى بعد تصورها في صورة المصدر الاولى كما يكون محلا للاشتقاق اللغوي بالبدل في حروفه الاصلية و بالقلب في مواضعها

و كما يكون مثلا الاشتقاق الصرفي بحصول الصيغ المختلفة بتبدل الحركات و باضافة الحروف الموضوعة له و بالتصور في صور الابواب المزيد فيها باضافة الحروف المقررة لها مع الحركات الخاصة بها كذلك يكون مثلا لنوع آخر من الاشتقاق اللغوي الذي به يصير متصورا في صورة الخماسي والرباعي والمزيد فيه منهما *

قد اعتنى نحاتنا بالاشتقاق الصرفي و ضبط اصوله و تسديد قواعده و الكشف من الاغراض الحاصلة به والنتائج المتفرعة عليه والامتيازات المعنوية الحادثة منه اعتناءً تقصر دونه همم الطالبين و يفوق فاضله شرة الراغبين لا لانهم نقشوا خفيه و بعثروا دفينه بل لان افواده برقت في ابصارهم و رعدت في آذانهم و انثالت عليهم من كل جانب الا انهم اتخذوا الاشتقاق اللغوي وراءهم ظهريا و نهلوه ثم نهلوه حتى صار نسيا منسيا قد كانوا يعرفون ان المزيد فيه من الرباعي ماخوذ من مجرده و ان المزيد فيه من الخماسي ماخوذ من مجرده الا انه ما خطر في قلوبهم ان الثلاثي يصير رباعيا و ان الرباعي يصير خماسياً و بلغ عدم مبالاتهم بذلك الاشتقاق مبلغاً قال معه جمهور منهم ان الرباعي والخماسي ليسا ماخوذين من الثلاثي بل هما صنفان غير الثلاثي قال الرضي في شرحه على الشافية اعلم ان مذهب سيبويه و جمهور من النحاة ان الرباعي و الخماسي صنفان غير الثلاثي و قال الفراء و الكسائي بل اصلهما الثلاثي قال الفراء الزائد في الرباعي حرفه الاخير و في الخماسي الحرفان الاخيران و قال الكسائي الزائد في الرباعي الحرف الذي قبل آخره ولا دليل على ما قالا *

لاريب ان القول الذي عليه الجمهور من النحاة قول سهل لا يحتاج قائله الى تجشم مونة و ان ترك الابنية مهملة مرسلة لا يضمها سمط و لايجمعها اصل و يماثل قول السابقين من علماء علم الحياة بان لكلواحد من انواع الحيوان رب نوع على حدة و ليس تنوع الانواع الحيوانية

من افراد متماثلة في بدو امرها في الاحيان الماضية بل كان كلواحد من الاول من كل نوع حين بدو ظهور ذلك الاول مغائراً للاول من نوع اخر و ما كان لهم به من مثل هذا القول و اما القائلون بالنمو في ذوي الحياة و فيما يخترعه الانسان من المصنوعات و العلوم والا لسنة فمضطرون الى القول بان الابسط من الابنية اصل والباقي فرعه *

اضرب لك في هذا المقام شيئا من امثلة حصول الرباعي والخماسي من الثلاثي و اذكر الباقي مما عثرت عليه من امثاله انشاء الله في مطاوي اللغات *

دحرج ماخوذ من درج صار درّج بالاشتقاق الصرفي درج اظهارا لزيادة الشدة في المعني بتشديد الراء في التلفظ لان الزيادة في اللفظ يدل على اضافة امر جديد الى المفهوم الحقيقي للمصدر ثم بدل احدي الرائين بالحاء صار درج دحرج و وزنه فحعل والدليل على اتخاذ دحرج من درج قرب معني الاول من معني الثاني مع زيادة يسيرة في الصورة *

قرضب ماخوذ من قضب صار قضّب بالتفعيل لاظهار الشدة في معني القضب قضب ثم ابدلت احدي الضادين بالراء فصار قرضب و وجود القطع في معاني القرضبة كوجوده في معاني القضب مع امكان صيرورة قضّب قرضب بالشد والبدل يؤذن باتخاذه من قضب و وزنه فرعل و من الطريف ما قاله العلامة جار الله في الكشاف في اشتقاق قرضب من انه مركب من قرض و قضب! و لوكان كما قاله جارالله لكان قرضب زرافة في اللغات و كذلك قرصبه بالصاد *

عندم ماخوذ من الدم بدلوا الالف بالعين فصار علدم ثم بدلوا اللام بالنون فصار عندم و وزنه عنفع و سمي العندم عندما لحمرته و مماثلته للدم في اللون *

الحذافير اصله الا ظافير جمع ظفر ابدلت الالف بالهاء فصار هظافير ثم ابدلت الظاء بالذال فصار هذا فير ثم ابدلت الهاء بالحاء فصار حذافير ثم وضعوا له واحدا وهو حذ فور و حذفار اي الجانب *

قعطره صرعه و او ثقه و ملئه و اقعطر اقعطراراً ماخوذ من قطر قطوراً ذهب واسرع و فلانا صرعه صرعة شديدة صار قطر بالتشديد قطر ثم ببدل الطاء بالعين صار قعطر *

قعطر القوس و ترها ماخوذ من قطر القوس تقطيراً ولا اجد قطر بمعني وتر و لعله ضاع *

كعتر في مشيه تمايل كالسكران وعدا شديدا ماخوذ من الكتر و هو مشية كمشية السكران *

الخلاميس ان ترعي اربع ليال ثم تورد غدوة او عشية لا تتفق على ورد واحد و حينئذ نقول رعيت خلموسا بالضم لاريب في اخذه من الخمس من اظماء الابل و هو ان ترعى ثلثة ايام وترد والرابع و هى ابل خوامس زادت الياء بعد الميم با طالة الصوت فصار خواميس ثم بالتصحيف بدلوا الواو باللام فصار خلاميس *

الخرنوص كجرو دحل ولد الخنزير والخنوص كجرو دحل ولد الخنزير والصغير من كل شى ماخوذ ان من الخنس محركة بمعني تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة و هو اخنس وهى خنساء والاخنس القراد و الاسد كالخنوس كسنور اقول لاريب في أن الخنوص ماخوذ من الخنوس ببدل السين صادا والخرنوص ماخوذ من الخنوص ببدل احدي النونين راء و سمي ولد الخنزير خنوصا و خرنوصا لمكان التخنس فيه *

الاخرنماس السكوت كالاخرماس مدغمة النون و اخرمس ذل و خضع و اخرمص سكت اقول انها ماخوذة من خرس جعلوه خرس تخريسا ثم ببدل احدي الرائين بالميم صار خرمس و اخذ منه اخرمس و اخرمص و اخرنمس *

دهدمه هدمه و قلب بعضه على بعض كانه بالغ في هدمه جعلوا هدم لاظهار الشدة والاغراق في الهدم هدم ثم بالقلب الغريب جعلوا العين المشددة على طرفي الفاء و وزن دهدم عفعل *

دهسم الشی اخفاه ماخوذ من دسم صار بالشد دسم ثم ابدلوا احدی السینین هاء فوزنه علی هذا فهعل *

ادلهم الظلام كثف و اسود جعلوا دهم بالشد دهم ثم ابدلوا الهاء باللام فصار دلهم ثم جعلوه ادلهم فوزنه افلعل و یمکن ان یقال انه ماخوذ من دلم فیکون وزنه افعهل *

و انظر الی تغیرات اعتورت علی بعث قال في تاج العروس بعثر الرجل نظر وفتش و بعثر الشی فرقه و بدده قال الزجاج بعثر متاعه و بحثر اذا قلب بعضه علی بعض و بعثر الخبر بحثه و یقال بعثر الشی بحثره اذا استخرجه فکشفه و بعثره آثار ما فیه قال ابو عبیده في قوله تعالی اذا بعثر ما في القبور اثیر و اخرج و قال و بعثر حوضه هدمه و جعل اسفله اعلاه و قال الزجاج بعثرت اي قلب ترابها و بعث الموتی الذین فیها و قال الفراء اي خرج ما في بطنها من الذهب و الفضة و خروج الموتی بعد ذلک والبعثرة غثیان النفس و في حدیث ابي هریرة انی اذا لم ارک تبعثرت نفسی اي جاشت و انقلبت و غثت و قال ایضا فی التاج بعثه کمنعه یبعثه بعثا اي ارسله مع غیره کابتعثه ابتعاثا فانبعث یقال انبعث فلان لشانه اذا ثار و مضی ذاهبا لقضاء حاجته و بعث الناقة اثارها فانبعثت حل عقالها فارسلها و کانت بارکة فهاجها و بعث فلانا من منامه فانبعث ایقظه و اهبه *

اقول البعث مصدر اصلی اولی حادث من حکایة صوت یسمع عند قیام الناقة البارکة فی المبرک الدمث اذا انبعثت لبعث باعث و حیث تبعث بقول هیج هیج وضع منهما هاجها ثم لافضاء البعث و الاثارة الی فرار الناقة و ذهابها استعمل بعث فیما یتلوا البعث من الارسال و حیث کانوا یزعمون ان الروح تخرج من الجسد عند النوم فتحضر المقامات الشاسعة و تشهد الاشیاء النازحة ثم ترجع الیه اذا استیقظ النائم و من ایقظه قبل ان یستکمل نومه او تفرغ الروح من مسارحها فکانه بعث

اليه روحه المفارقة له ذهب من نومه و انبعث و استيقظ قال في التاج بعثه و بعثره والبعث ايضا الاحياء من الله تعالى للموتى و منه قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم اي احييناكم والبعث النشر وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث وبعث الله الخلق يبعثهم نشرهم اقول لاريب في ان استعمال البعث في معني احياء الله الموتى بعلاقة مشابهة الموت بالنوم و مشابهة ايقاظ النائم ببعث روحه الخارجة منه اليه باحياء الميت بنفخ الروح في جسد الميت يبعث الله تعالى مجددة الى الاجساد المقبورة المتماثلة عند دفنها بالقائمين الا رواح التي فارقت الاجساد عند الموت فتقوم الموتي كما يقوم النائم عند البعث وبعثرهم بمعني بعثهم ليس بلفظ موضوع لذلك المعني اقتضابا من غير علاقة ببعث بل هو ماخوذ منه صار بعث بعث بالشد ثم ببدل احدي العينين بالراء صار برعث كقرضب من قضب ثم بالقلب صار بعثر و بالبدل بعذر و من البديع ان اهل الكمال في العربية كالزجاج والفراء عزبت عنهم هذه العلاقة الجلية بين بعث وبعثر فلاذوا في شرح معني بعثر مافي القبور الى تاويلات بعدتهم عن الاصل ما الحاجة بعد وجود العلاقة بين بعث و بعثر الى قلب التراب في بعث الموتى او الى اخراج مافي بطون القبور من الذهب والفضة ثم احياء الموتى بعد ذلك الاخراج هل تراكمت قطع من الذهب والفضة على الاجساد البالية فاحتيج الى اخراجها قبل اخراج الاجساد من القبور كانهما استيقنا بان الحقيقة في البعثرة التفريق والتبديد و الاثارة فاضطرا الى تفسير البعثرة من القبور بمعني يوجد معه التفريق والاثارة عند بعث الموتى من القبور فقلبا التراب واخراجا الذهب والفضة و فعلا ما فعلا و ما اضلهما الا الجهل عن الاشتقاق اللغوي و مدهما في ضلالتهما استعمال ما في القبور فحسبا ان البعثرة تتعلق بما ليس من شانه ان

يكون حيا و ذهلا عن كمال البلاغة الموجود فى اطلاق ما على ما فى القبور من الاجساد البالية والعظام الرميمة *

المكفهر كمطمئن السحاب الغليظ الاسود و كل متراكب و من الوجوه القليل اللحم الغليظ الذي لايستحيي والضارب لونه الى الغبرة مع غلظ والمتعبس و من الجبال الصلب المنيع واكفهر النجم بدا وجهه وضوءه في شدة الظلمة والمكرهف كمشمعل سحاب يغلظ و يركب بعضه بعضا ومن الشعر المرتفع الجافل والمقلحف كمشمعل مرتفع جافل اقول لاريب في ان المكفهر ماخوذ من الكفر لان الكفر والغفران والتكور الحقيقي في معانيها هوالستر و حيث يفضي الستر الى ماتقضي اليه الظلمة من منع الروية قالوا ليل كافر و الكافر كافرا لانه يستر الحق والغفران غفر ان استر الذنوب و وزن اكفهر افعهل ثم صار اكفهر بالقلب اكرهف و سمي القليل الحياء مكفهرا لان الوقاحة تسود الوجه طبعا او اخلاقا و قالوا جبل مكفهر لان حجارة الجبال الصلبة ربما تكون سودا واكفهر النجم من قبيل اصبح و هجر اي دخل في ليل كافر مكفهر و تكور و غفر وغبر و غمر و قبر و كهر و كفر كلها من سنخ التكور فيه استتار النور والمغفرة فيها استتار الذنوب والغبرة فيها استتار الراكب في الغبار والقبر فيه استتار الميت والكهر فيه ايضا استتار والكفر فيه استتار الحق والغمر فيه ايضا استتار *

كنهف عنا مضى و اسرع والنون زائدة كذا فى القاموس اقول كنهف ماخوذ من كنف لان معني كنف عنه عدل وهذا بعينه موجود في كنهف والقول بان النون زائدة يشير الى ان اصله كهف و هذا وهم لانه لايوجد العدول عن شي في معاني كهف و ايضا لايستعمل كهف عنا *

الهرشفة كار دبة العجوز و قطعة خرقة ينشف بها ماء المطر ثم يعصر في الجف لقلة الماء وصوفة الدواة اذا يبست وقد هر شفت واهر شفت و تهر شف تحسى قليلا *

الرشف كما في القاموس الماء القليل يبقى في الحوض و هو وجه الماء الذي ترشفه الابل بافواهها والرشيف كامير تناول الماء بالشفتين و رشفه يرشفه كنصره و ضربه و سمعه رشفا مصه كارتشفه و ترشفه و رشفه اقول لاريب في ان الهر شفة ماخوذة من الرشف الذي هو مصدر اصلي وضع بحكاية صوت يسمع عند الرشف و اشتقاق الهرشفة من الرشف من غرائب آثار البدل و القلب الا انه ليس باشد غرابة من حدوث الانسان من المادة الحيوانية الاولى اصل الهرشفة الخرقة الراشفة صار تلفظها بالادغام ار اشفة على وزن افا علة ثم بتبدل الالف بالهاء صارت هر اشفة على وزن هفاعلة ثم بتغيير الحركات و سقوط الالف و نقل الشدة من الفاء الى اللام صارت هر شفة على وزن هفعلة وغير خاف على الناقد المتامل ان القول بان الهر شفة ماخوذة من الرشف خير من ان يقال بانها كلمة موضوعة على حدة غير مشتقة من الثلاثي و اما اطلاق الهرشفة على العجوز فتشبيه لجلدها المتقشف بهذه الخرقة البالية *

الدلهمس كسفرجل الجرى الماضي والاسد والامر المغمض الغير المبين و من الليالي الشديد الظلمة والرجل الجلد الضخم والدلمس كعلابط الداهية كالدلمس بالكسر و الشديد الظلمة كالدلامس فيهما وادلمس الليل اشتدت ظلمته والدماحس كعلابط الاسد الدمحسي بالضم الاسود من الرجال و السمين الشديد و امر مدعمس مدغمس مدخمس مدمس منهمس مستور و درمس سكت والشى ستره و الدحمس كجعفر وزبرج و برقع الاسود من كل شى و ليلة دحمسة مظلمة والدحامس الشجاع و بالفتح ليال بعد الظلم و هى الحنادس اقول كلها ماخوذة من دمس الظلام يدمس و يدمس و يدمس دموسا اشتد و ليل دامس و ادموس مظلم و دمسه في الارض دفنه حيا كان او ميتا و علي الخبر كتمه والاهاب غطاه ليمرط شعره و قريب من دمس طمس و دلس و دس — دس اصل والباقي فرعه الدس الاخفاء و دفن الشى تحت الشى لمكان صوت يسمع

ذلك العمل في الارض الرخوة صار بالبدل دلس و دمس و طمس و قالوا الليل الدامس لاخفائه الاشياء عن النظر و لتوالي اللامات وقع فيه التصحيف في التلفظ فصار ليل دلامس و اللام التي كانت للتعريف اختلطت بحروف الكلمة و صارت جزأً منها و وزن دلامس فلاعل ثم بالبدل صار دلهمس و ايضا صار دحامس و دعمس و دمحسي و دماحس و مدخمس و مذهمس والحقيقة في معانيها الاخفاء ثم الظلمة و استعمال البعض في معني الداهية من تشبيهها بالليل المظلم في الهيبة والمخافة و استعمال البعض في معني الاسد لشجاعته و هجومه بالخوف مثل هجوم الليل المظلم و استعمال دلهمس في معني الامر المغمض تشبيهه له بالليل في الالتباس و عدم التبيين و القول بان كلواحدة منها كلمة و ضعها الواضع على حدة للمعاني المتعددة والمتقاربة بلا داعية الى اعتبار الكلمات الكثيرة الحروف التي لا تقبل التصريف الواسع قول يا باه الذوق السليم و يرده مايشاهد في الالسنة الرائجة من امثال هذه التغيرات *

الزحلوقة اثار تزلج الصبيان من فوق تل الى اسفله ماخوذة من زحف اليه كمنع مشي والصبي يزحف قبل ان يمشي والبعير اذا اعيي فجر فرسنه و مزاحف الحيات مواضع مدابها والسحاب حيث يقع قطره اقول المعني الاولى الحسي للزحف هو المرور ملاصقا بالارض حيث يسمع له صوت و يبقى له اثر حكوا ذلك الصوت الحادث عند المرور ملاصقا بزف و صار زف بعد كونه مضاعفا بالبدل ثلاثيا مجردا صحيحا في صورة زحف و كانت الزحلوقة في الاصل الزحوقة على وزن فعولة فاختلطت لام التعريف بحروف الكلمة فتصورت ز لحوقة على وزن فلعوله ثم بالقلب و تغير الحركات صارت زحلوقة و استعمال المزاحف بمعني الاثار الباقية في مداب الحيات يؤيد القول باشتقاق الزحلوقة من الزحف *

الزحنقف كجحنفل الزاحف على استه قال في القاموس والقياس من جهة الاشتقاق ان يكون بفائين و قد تقدم اقول قال في زحف

الزحلفة الذي يكاد عرقوباه يصطكان و من يزحف على الارض فتامل بالتحاد زحلفف و زحلقف ان كان صحيحا من الزحف *

حرجم الابل رد بعضها على بعض و احرنجم اراد الامر ثم رجع عنه والقوم او الابل اجتمع بعضها على بعض احجم كف ونكص وحجم تحجيما نظر شديدا وجود الكف اقول حجم صار بالتضعيف حجم ثم بالبدل حرجم و كان حرجم متعديا فلما ارادوا ان يتخذوا منه لازما اضافوا اليه نون الانفعال فصار انحرجم و صار بالقلب احرنجم *

علهض راس القارورة عالج صمامها ليستخرجه والعين استخرجها من الراس اقول هو ماخوذ من عاضه يعانة حركه لينزعه تحراوته صار علض بالتضعيف عاض ثم بالبدل علهض و وزنه فعهل و ان فلنا ان علهض رباعي وضع لمعني الاستخراج مع وجود علض لذلك المعني رميناا الواضع بالسفاهة والجنون *

العظلم كز برج الليل المظلم و تعظلم اظلم و اسود جدا والعظلمة الظلمة اقول صارت الظلمة بالبدل لخطاء المتكلم او السامع علظمة ثم بالتغييرات العديدة عظلمة و كونها كلمة اخرى موضوعة على حدة مع اتحاد معناها بالظلمة ظلم عظيم *

البعثقة خروج الماء من تابل حوض اور خابية و تبعثق الماء من الحوض اذا انكسرت منه ناحية فخرج منها ماخوذ من بثق النهر بثقاو بثقا و تبثاقا كسرشطه لينبثق الماء تبثقه صار بثق بالتضعيف بثق ثم بالبدل بعثق *

القعموط كعصفور خرقة طويلة يلف فيها الصبي و بياء و دحدوجة الجعل المقوطة كالقعموطة زنة و معني اقول هو ماخوذ من قمط يقمطه ويقمط شديديه و رجليه كما يفعل بالصبي في المهد و الاسير جمع بين يديه و رجليه كقمطه والقماط ككتاب ذلك الحبل اوالخرقة الذي تلفها على الصبي *

يلكعه و بركعه قطعه اقول كلواحد منهما ماخوذ من بكعه استقبله بما يكرهه و قطعه وبكته الاصل في البكع القطع و استعماله في الاستقبال بالمكروه لانه يسكت المخاطب و يقطع كلامه *

ختلع ظهر و خرج الى البدو ماخوذ من ختع كمنع ختعاً و ختوعاً ركب الظلمة بالليل و مضى فيها على القصد و عليهم هجم و هرب واسرع و خدع بمعني اسرع صورة اخرى لختلع *

سرهفت الصبي احسنت غذاه و نعمته ماخوذ من سرفت الام ولدها افسدته بسرف اللبن وهو ضد القصد كان السرف شاملا على الاكثار و الافساد فاذا جعلوه سوهف جردوه من الافساد و خصوه بالاكثار المنجر الى النعمة والخفض *

الطعسفة لغة مرغوب عنها و مرّ يطعسف في الارض اذا مرّ يخبطها ماخوذة من عسف عن الطريق يعسف مال و عدل فاعتسف وتعسف بدلوا تاء تعسف فصار طعسف ثم جعلوه على وزن دحرج والطعسة عدو في تعسف صورة اخرى للطعسفة *

الهزروف كزنبور و علابط و قرطاس وبرذون الظليم السريع الخفيف والهذروف كعصفور السريع جمع هذاريف والهذرفة السرعة والهزف كخدب الهجف السريع كل منها ماخوذ من هذف يهذف اسرع والهذاف كشداد و محسن و خجل السريع العدّاء و يمكن اتخاذها من زرف بمعني تقدم واسرع كانهم قالوا الزروف للمبالغة فصار ببدل الالف بالهاء هزروف ثم هزروف على وزن صندوق *

المغلندف الشديد الظلمة كالمغلنطف ماخوذ من الغداف بمعني غراب القيظ لسواده كانهم قالوا اغدف اي اسود ثم بنوا صفة الفاعل فقالوا مثلا الليل المُغدفّ اي المظلم ثم بلحن القائل اختلطت اللام بحروف اللفظ فصار مغلندف ثم بالبدل مغلنطف و وزنه مفلنعف *

الطاهيس كسفرجل العسكر الكثير كالطلهيس كقنديل و ظلمة الليل والطهلس بالكسر العسكر الكثير كالطلهوس بتقديم اللام ماخوذ من الطلس لمكان الغبرة المشربة بالسواد في مشتقات الطلس و الطليس كسكيت الاعمى كان الدنيا اسودت في عينه ولا غروان يكون طلس فرعا لدس جعلوا طلهس طلهيس و اطلقوه على ظلمة الليل ثم على الجيش الكثير لسواده *

اضمحل و امضحل و اضمحن ذهب و انحل والسحاب تقشع لعله ماخوذ من مذلت رجله مذرت كمذلت و كل فترة و خدر مذل و امذلال الممذئل كمشعل الخاثر النفس تجوزوا من الفتور الى الزوال و اما صيرورة ممذئل في صورة مضمحل ثم مضمحن ثم اتخاذ الفعل منه فامر قد الفه القاري بعد ما وقف على ماتلوته من الامثال *

و بالجملة فالرباعي والخماسي المجرد منهما والمزيد فرع لما هو ابسط منه من الثلاثي قد يحدث الرباعي بالتكرير كجلجل و سلسل و قهقه و دبدب و بصبص و قلقل و غطغط و شفشن و نشنش وغيرها من المضاعف و قد يحصل بصيرورة لام التعريف مخلوطة بحروف الكلمة و قد يحصل بواسطة التضعيف او غيره من الابواب المزيد فيها و ينجر الرباعي الى الخماسي و قد يحصل لكلواحد من الرباعي والخماسي بالتعريب *

كسجل معرب سجلا الرومية بمعني الخاتم وخندق معرب كندة الفارسية و فستق معرب پسته وهفتق معرب هفته و يلمق معرب يلمه و انجيل المعرب من كلمتين يونانتين معنا هما الالوكة الطيبة و زنجبيل معرب سرنگ ويرمن سنسكرت بمعني اصل يماثل القرن في الاعوجاج و قرنفل معرب كرن پهول و قفشليل معرب كفچه گير و دعكسه معرب ده كسه و سراويل معرب شلوار و مثله سربال و سجيل و سجين معرب سنگين و جربان معرب گريبان و دهورج مشددة الراء معرب ده پره عشر ريشات * بختج معرب پخته و فنزجه معرب پنجه و زند بيل معرب زند پيل والدمهكر معرب دمه گير و قد يحدث الخماسي بالحكاية مثل جلنبلق *

فصل

اعلم ان الامتياز الصوري الذي يطرى على المادة الاولى بالأشتقاق الصرفي يلازمه امتياز معنوي حادث في مدلول المادة الاولى و يكون التغير فى المشتقات الصرفية مبنيا على اصول موضوعة و منحصرا في اوزان معلومة و موقوفا على الارادة والاختيار فى الجملة يكون التغير الحادث في مدلو لاتها مضبوطا بالقواعد المقررة الا ان الامتياز الصوري الحادث بالاشتقاق اللغوي امتياز يحدث من غير قصد ولا اختيار لمكان الاختلافات الموجودة في اودات الكلام و الاذان لايكون للقياس فيه مدخل و لاتكون التغيرات المعنوية الحادثة بالتغيرات الصورية الغير المرادة قياسية معلومة من قبل ولحدوث المشتقات اللغوية من الرباعي والخماسي من غير قصد ولا اختيار لا يبقى مشتق منها على وزن واحد مخصوص به بل يكون على اوزان عديدة يختار المتكلم ماشاء منها واذكرلك في هذا المقام بعضا من الكلمات الموزونة باوزان عديدة *

صلخد كجعفر و حضجر و جردحل و قرطاس وسبنتي و علابط الصلب القوى *

العشزب والعشزب الشديد من الاسود والعشزب كعملس الاسد والعشازب الجري الماضي *

الكنثب كجعفر وقنفذ و علابط الصلب الشديد *

السبروت كزنبور القفر لانبات فيه والشي القليل الفاقه والفقير كالسبروته والسبرات بكسرهما والسبرت والغلام الامرد *

الصفتيت والصفتات بكسرهما والصفت كفلز والصفتان كطرماح و صليان الجم الشديد اوالتار أو التار اللحيم المكتنز او القوى الجافي تامل في انفكاك اللفظ بعد الغرابة و قلة الاستعمال التالية لها من الوزن المعين و من الدلالة على المعنى المعين *

الدلهث كجعفر و علابط و جلاب الاسد *

الكلبث كجعفر و قنفذ وعلبط و علابط البخيل المتقبض *

الكنبث كقنفذ و علابط و زنبور الصلب والمتقبض البخيل و كلبثة و تكنبث تقبض اقول الكلبث والكنبث واحد ابدلت اللام بالنون *

الحفضج كزبرج و درباس و علابط الكثير اللحم المسترخي البطن كالحفضاج والعفضج كجعفر وهلقام و علابط السمين الرخو و كجعفر الصلب الشديد و هو معصوب ما عفضج بالضم ما سمن و كذا هو معصوب ما حفضج بالضم ماسمن و قريب منه العفشج والعضافج *

الخرفج و الخرافج بضمهما والخرفاج والخرفيج بكسرهما رغد العيش *

الزنفيلجة بكسر الزاء و فتح اللام والزنفالجة والزنفليجة كقسطبيلة شبيه بالكنف معرب زنبيلة *

الاسكف بالفتح والاسكاف بالكسر والاسكوف بالضم والسكاف كشداد والسيكف كصيقل الخفاف *

نعم لابد للمعاني الحادثة بالاشتقاق اللغوي من علاقة بمدلول المادة الاولى ليمكن معها للذهن الانساني الانتقال من الحقيقة الى المجاز و حيث تكون تلك العلاقة علاقة حسبها المتكلم بالمشتق في بدو حدوثه كافية للتجوز من الحقيقة الى المجاز لاتدرك قبل ظهورها بل تعرف العلاقة بين المعنى المجازي والحقيقي بعد حدوث المعنى المجازي *

و اصول العلاقات التي تسلك بها العقول البشرية من مفهوم الى آخر هذه — العموم والخصوص والسببية والمسببية والكلية والجزئية والمشارفة والتشبيهة واللزوم والمشاركة في الاتصاف بموصوف او في المصداق والمجاورة والمعاصرة والمضادة والعروض وغيرها من العلاقات الداعية الى المرور من معنى الى معنى آخر *

فصل

المعروف من داب من يعتني بتصنيف في اللغة العربية ان يجمع تحت مصدر ثلاثي او قريبا منه كل مايوجد فيه حروف المصدر الاصلية

بزيادة او بلا زيادة يذكرون في ذيل ذلك المصدر مشتقاته الصرفية والكلمات التي توجد فيها حروف المصدر سواء كانت في نفس الامر مشتقة منه او متشابهة بصورة مشتقاته بالبدل والقلب مع كونها ماخوذة من مصدر آخر يذكرون الشيطان مثلا في ذيل شطن و سجل و سجيل و سجين في ذيل سجل و اساطير في ذيل سطر كفت عند النحاة من السلف الصورة في الحكم بكون الكلمات ماخوذة من مصدر واحد و ما كان لهم بد من ذلك لان القدماء كانوا يعتنون بالمظاهر والعبارات اكثر مما كانوا يحتفلون بالبطون والمعاني معاذ الله ان اريد بهذا كسرا من شانهم و حطا من قدرهم و كيف يسوغ مثل هذا مع ان جملة ما يمكن لنا علمه اليوم فهو ربح تجاراتهم النافعة و حاصل مساعيهم المشكورة اريد به بيان انهم كانوا مضطرين اليه لتقدم المحسوس المشاهد على المعقول المستور و لحدوث قوة الاحساس قبل قوة التعقل ولاحتياج درك الباطن الى اجتماع جم غفير من المعلومات في العلوم الجديدة و الى امتياز فرقة من القوم قادرة على الاشتغال بامر واحد صنفوا مثلا الحيوانات فاكتفوا بما يشاهد من سكني الماء و تماثل الصورة و جعلوا الوهيل صنفا من السمك ثم اذا وجد المتاخرون الفرصة للاشتغال بتشريح الحيوانات المختلفة و لمقابلة الاعضاء العديدة الموجودة في كل نوع من الانواع علموا انه من ذوات الثدي كالخيل والبقر و ليس بسمك ارادوا توجيه الحركة المشاهدة في الاجرام السماوية و قد شاهدوا ان الحركة من غير محرك محسوس لاتوجد على الارض الا فيمن له نفس و ارادة فابدعوا للافلاك نفوسا و ارادات و اقاموا على ما اعتقدوا براهين تعتمد على شفا جرف هار و ما كان ذلك الا لما غرتهم التمثيل ثم ثبت بعد ذلك ان الجذب هو الداعي للاجرام السماوية الى الحركة و انها ليست بذات الانفس والارادات و انها موات كالارض ارادوا تقسيم نوع الانسان في الاقوام فجعلوا مدار القسمة على بلاد كانت الاقوام ساكنة فيها و قسمت الاقوام بعد ذلك

على اصول التشريح والقوام كان البائع في قانون الروم القديم مامورا بان يبيع بطريق خاص مشاهد و يتلفظ بكلمات معلومة يمكن احساسها و ان اخل بشئ منها كان البيع فاسدا غير ناقل للمبيع من ملك البائع الى ملك المشتري والمدار في قانون هذا الزمان على النية اذا وقع الايجاب المعنوي والقبول كذلك على اي نحو و باي قول او فعل كان يحكم القانون بلزوم البيع و لايبالي بالالفاظ فشاهد في الاول الاعتنا بالالفاظ دون المعني و فى الثاني الاعتناء بالمعني دون اللفظ كان المدعي في القديم من القانون الانجريزي مامورا بان يرفع دعواه في عبارة خاصة و ان اخل بها خاب مع صحة الدعوى كان الكلمات المعلومة كانت من ذاتيات المرافعة ولا يحتاج اليوم في بيان الدعوى الى عبارة خاصة او لغة معينة او طريق مرسوم بل يتوقف الفصل على الواقعية ٭

ثم اعلم ان الجمع المكاني الذي يشاهد في كتب اللغة مما لابد منه لان يكون الطالب على بصيرة من مقام يرجع اليه في التفحص عن الكلمات ولولا هذا الجمع لافضي العثور على كلمة الى لغوب حال بين الطالب و طلبه و زمان عز عليه بذاله ولكنه لاينبغي ان يغتر الطالب بالجمع و يتخذه دايلا على اتحاد جملة الكلمات المسرودة تحت مصدر معين في الاصل و عليه ان يعرف ان هذا الجمع قاصر في امور منها انه لايميز بين المصدر الاولي والمصدر الفرعي منها انه لا يذكر جميع المشتقات الحادثة من مصدر اذا تصورت تلك المشتقات بالبدل والقلب والتربيع والتخميس في صور ممتازة و اذا صارت حروف المصدر الاصلية مبدلة باخواتها و زائلة من مواضعها لايذكر ان خفو ماخوذ من حذر او ان جبذ ماخوذ من جذب او ان دحرج ماخوذ من درج او ان دلهمس ماخوذ من دمس ولا يكون المصدر جامعا لتام المشتقات منه سواء كانت باقية على مايحكم بكونها مشتقة او فاقدة للتماثل الصوري القاضي بكونها فرعا المصدر منها انه لا يذكر الكلمات التي هي في نفس الامر مشتقة من مصدر آخر

ولكنها صارت بالبدل والقلب على حروف المصدر التي سردت تحته فيذكر مثلا نارت نورا و نواراً بالكسر والفتح نفرت في النور ولا يذكر انه مشتق من نفر ابدلت الفاء واواً و من ثم ذكر في النور منها انه لا يذكر معني المحسوس للمصدر قبل المعني المعقول ولا يفسر العلاقة التي بها صارت الكلمة من محسوس الى المعقول منها انه لا ينسب اللغات حق نسبها ولا يذكر ترجمتها و اعمارها و سيرها من لغة الى أخرى والتغيرات الصورية والمعنوية الطارية عليها في عمرها و مراحلها منها انه لا يبذل المجهود في رد المصادر الى اصل اصول علاقات الاصوات بالمعاني اي الحكاية منها انه لايذكر اللغات المذكورة في ذيل كل مصدر على منوال واحد منها انه لايذكر المعاني الحادثة لامة واحدة في الترتيب الزماني*

فصل

ان اسامرفي مصنف في اللغة لقلت له عليك أن تفهرس اولا جملة الاوزان التي توجد في اللسان و تصوغ من فعل صيغا على اوزان وجدتها ثم تقسم تلك الصيغ المصنوعة الى قسمين اي المشتقات الصرفية والمشتقات اللغوية و تصنف المشتقات الصرفية الى الافعال والاسماء و ترتب الافعال في ترتيب خاص مقدما الثلاثي على الرباعي والمجرد على المزيد فيه و تاليا ترتيبا رتب فيه الابواب في المنشعب و معلما كل باب منه بالعدد المعين في الترتيب العددي و ترتب الاسماء ايضا على منوال واحد مقدما الثلاثي المجرد و مرتبا اياها في ترتيب عددي و تصنع كذلك بالمشتقات اللغوية منتقيا ترتيبا خاصا باديا من الابسط و خاتما بالاكثر تاليفا و معلما كلامنها بالعدد المعلوم الواقع في الترتيب العددي فيكون هذا الفهرس جامعا لكل مايوجد في اللسان من الاوزان مرتبا في ترتيب عددي ثم عليك اذا ذكرت مصدرا في الكتاب ان تقول جاءت من ذلك المصدر المشتقات التي عددها كذا و كذا في الفهرس استغنيت بذكر العدد عن ذكر المشتق و عليك ان تذكر المعني الاولي

للمصدر واصلا الى الحكاية التي هي اصل اصول علاقات اللفظ بالمعني ان استطعت و ان تذكر المعاني الحادثة لذلك المصدر مرتبا اياها في الترتيب الزماني و كاشفا عن العلاقات التي بها صار المصدر من معني الى معني آخر مراعيا لتقدم المعاني المحسوسة على المعاني المعقولة و عليك ان تذكر المعاني المهجورة للمصدر و عليك ان تذكر كيفية حدوث المشتقات اللغوية من المصدر بالبدل والقلب والتوزيع والتخصيص و كيفية تغيرات معنوية حدثت في تلك المشتقات مع التغيرات الصورية و عليك ان تشير الى مشتقات دخلت في مشتقات المصدر للتشابه الصوري مع كونها في نفس الامر مشتقة من مصدر آخر و ان تشير الى مشتقات خرجت من مشتقات المصدر بالبدل والقلب وعليك ان تذكر لكل معني استعملت فيه كلمة شاهدا من كلام فصيح من العرب و ان وجدت كلمة دالة على ما يدرك بالعين عرفته بتعريف يمكن به التصور و تصوير المداول لتأييد التعريف و ان وجدتها دالة على معقول لايدرك بالحواس فعليك ان تحده بحد جامع و مانع و تعين على ادراكه بالتمثيلات والاكتفاء على انه حيوان او نبت او معروف لايجدي نفعا و ان اطاعني المصنف في تصحيحي لكان كتابه تاريخا طبعيا للكلمات يخبر عن حديث ولادتها و نسبها و قواعها والتغيرات الطارية عليهافي صورها و في عملها اي معانيها و اعمارها وتراجمها و لصار امرالوضع شيئا ناميا ينمو بالنمو الانساني ※

وها انا ذاكر بعض المصادر مع حديث نشائها والتغيرات الطارية عليها في الصورة والمعني كاشفا عن العلاقات الداعية الى تلك التغيرات ليكون دليلا لمن استهدني و يرشدني الى ما اقوله امور منها انه اذا وجدت مصادر عديدة من الثلاثي المجرد الصحيح والغير الصحيح متوادفة المعني و كان حدوث تلك المصادر من واحد منها ممكنا بالبدل اوالقلب حكمت ان واحدا منها اصل والبواقي فروعه لان وضع لغات عديدة من الثلاثي المجرد شاملة على حروف اصلية تتبادل اميا

قاله العقل السليم ولا ينكره واضع الا اذا كان عابثا بالكلمات اعلم ان كون واحد منها اصليا امر مقطوع به عندي الا ان تعيين ذلك الواحد بعينه امر ظني يعين عدم وجوده او وجود مايضارعه في العبرانية او السريانية او غيرها من اخوات العربية او كونه حاكيا او قريبا منه او كونه مستعملا في المعاني المحسوسة اكثر من فروعه او كونه دثر المشتقات *

اذا وجدت مصادر عديدة من الثلاثي المجرد ووجدتها شاملة على حروف تتبادل و وجدت المعني الاولى او واحد منها حادثا بالحكاية ووجدت معاني الباقية مما يمكن المرور اليها بعلاقة من العلاقات المعهودة ثم حكمت بان المصدر الحاكي اصل و ان المصادر الباقية فروعها حدثت بالبدل والقلب من غير قصد ولا ارادة ماوضعها واضع بالقصد للدلالة على معانيها بل خلقتها الالسنة والاسماع والاذهان لعدم اصابتها المقصود الاصلي عند التكلم والاستماع والفهم وقع خطاء يسير من المتكلم فاقام الراء مثلا مقام اللام فحدثت كلمة جديدة او وقع خطاء يسير من السامع فسمع الذال ما كانت زايا فحدثت كلمة جديدة و كذلك استعمل متكلم لفظا في مفهوم معلوم ففهم السامع مفهوما قريبا منه فحدث معني جديد *

اذا وجدت رباعيا او خماسيا مرادفا للثلاثي او قريبا منه في المعني و كان حدوث ذلك الرباعي او الخماسي ممكنا من ذلك الثلاثي حكمت بان الثلاثي اصل و بان الرباعي والخماسي فرعاه *

اذا وجدت لكلمة معاني عديدة رتبتها في الترتيب الآتي الا ان يقوم دليل قاطع على خلافه (١) المسموع بالاذن (٢) المبصر بالعين (٣) المحسوس بباقي الحواس الخارجية (٤) المعقول *

هنا حين انتهاء الغاية في تمهيد ماوردت تمهيده من الفصول المعينة على ادراك النمو في اللغات و اوان الاخذ في المطلوب من بيان بعض اللغات الحاكية و بيان حديث نشاة المصادر الفرعية والمشتقات اللغوية

منها الا انه يتحول بهذي و بيانه فصل في العلة والمعلول و عندي ان الحالة سباق ذلك المبحث في حلبة مباحث الفلسفة الجديدة و تلالؤ دراري مضامينه في الحكمة الرايجة ولو تركته لبقيت فقيات البيض من خرائد المسائل الحكمية خالية من اشرفها *

فصل في العلة والمعلول

و فيه مباحث و قسمت الفصل فيها لان موضوع الفصل من اغلق المسائل الحكمية و اعضلها و تعقل العلية من التعقلات المشتجرة المرتبكة التي تدعوا الى معرفة امور لاسبيل الى ذكرها في فصل منفصل من غير اختلاط و نكث فتل *

مبحث العالم متغير

ليس عالمنا بعالم الثبات والقرار بحيث امضي عنه التوالي و خلا المعاورة ليس بعالم دامت اشياءه على ما هي عليه و ثبتت امورة كما هي شجرة الاخضر اخضر لا تحدث فيه التغيرات ولا يعتوره الربيع ولا الخريف لايزهر ولايثمر ولا ينمو ولا يسقط ورقه ولا يبلي بل يدوم على حالة واحدة و يساوي امسه و يومه و غده بل لا يوجد هناك الامس واليوم والغداة مع زوال التوالي عنه زال الزمان ان فرضناه ثابتا دايما ثم اتفق احدنا فيه وجدانه لايتحرك فيه شي ولا يمضي فيه زمان ثبتت حجرة في مكانه و استقر شجرة في مغرسه كالحجر لا تحركه الرياح ولا تصل اليه المياه ولا يجذب الغذاء من الارض اوالهواء ان وجد فيه الالوان المختلفة وجدها ثابتة لا يصفر اخضره ولا يسود ابيضه و صادف بيوتها على حالها لا يبتني فيه القصور الجديدة ولا يخرب فيها البيوت المبنية ان وجد فيها الثياب وجدها قديمة باقية على هيئتها ليس فيها انمال او مالم يتم نسجها ان وجد فيه بطيخا نيا وجده نيا ابداً لا ينضج ولا يفسد ان اكل فيه شيا وجده راسيا في معدته لاينهضم ولا يصير دما ان شم فيه طيباً وجده يلصق بانفه لا يفارق، ولا يزول عنه

و بالجملة وجدة خاليا عن الحركة و فارغا من التوالي دائمة شروره و خيراته والوانه و مطاعمه و ملموساته و مطعوماته و مشموماته و مسموعاته و مبصراته على حالة واحدة بل العالم بخلاف المفروض من الثبات والقرار جل ما فيه من المعدنيات والحيوانات والنباتات والمصنوعات من البيوت الرفيعة والقصور المشيدة والثياب الفاخرة والظروف النفيسة زائل لم يومن الفساد والاختلال *

كل ما يحدث فيه من الملموسات والمذوقات والمشمومات والمسموعات والمبصرات من اللين والخشونة والحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة والطيب والنتن والصبحة والنغمة والصباحة والدمامة والاستواء والانحناء والخضرة والصفرة لا يبقي منها شي على حاله بل جملتها تطير و تغيب و تروح و تغدو ليس بعالم يدوم صباحه و ربيعه ومائه و كلاه ليس بعالم لا ياكل حسنه التراب ولا يدرك عامره الخراب ليس دار المقام التي ثبت فيها كل نعيم على ماهو عليه عكفت فيها صور معينة على سالمات معينة لا تذرها ولا تختار غيرها ولاتتحول عن زيها وهيئتها امسها وغدها سيان واولها و اخرها متشابهان و استدامت فيها علاقات مقررة موضوعة بين اشياء مقررة موضوعة لايعروها ارق الترحال ولايروعها نارات الزوال طابع كون تلك الاشياء في تلك العلاقات فلا الاشياء تستاثر غيرها ولاالعلاقات تستبدلها خلقت تلك العلاقات لتلك الاشياء و خلقت هي لها كل ما فيها من الشي والطعم والعرف واللون والشكل والحالة دايم قديم ازلي ابدي سرمدي ليس له بداية ولانهاية لا يتكون فيها شي فيفسد و لايحدث فيها امر فيزول موجوداتها كلها معاصرة بعضها لبعض لايخلف فيها شي شيا ولايلحق فيها امر امرا ولا يتلو فيها حال حالا ولا يقفو فيها اثر اثرا لايتقدم فيها شي على اخيه ولا يتاخر فيها امر عن صنوه *

ان كان العالم كذلك ثابتا دايما لانعرف اكان فيه حي ام لا لان الحياة انما اسم يطلق على تغيرات داخلية تطابق مطابقة ما بتغيرات خارجية حادثة في العالم او هي علة لتلك التغيرات و اذا فرضنا عالمنا غار غاما من التغيرات الحادثة فكيف يمكن فرض الحياة فيه واذا لايسوغ لنا فرض الحياة فيه لا يسوغ لنا فرض العلم ايضا لان العلم درجة عالية من الحيوة واذا لم توجد فيه الحياة فكيف يوجد فيه العلم *

*حدث العالم ليس بعالم الاتفاق.

كما ان العالم ليس بدايم مستقر منزه عن التغير والتوالي معصوم من الحدوث والزوال كذلك ليس بعالم الاتفاق الذي يسنح فيه الاشيا متى شأت و اني شأت و كيف شأت والذي يلد فيه الحيوان متى شاء و حيث شاء رضيعا او شابا او مسنا من غير احتياج الى اسباب تصير علة لولادته اوالذي تنمو فيه شجرة كلما شائت و اينما شأت في اي صورة شأت نخلة او بشاما اويقطينا او خروعا من غير ان تسبقها طايفة من علل توجبها و تدعوا الى وجودها او الذي يحدث فيه حادث سار او ضار من نعمة محبوبة او نقمة مردية او صاعقة مخوفة او سالفة محبوبة من غير ان يوجد قبلها طايفة من اسباب تصير علة لحدوثها ليس بعالم لا ينظم كايناته سمط ولا يضم حادثاته اصل ليس بعالم تنمو فيه نخلة مرة من نواة و مرة من خردل و مرة من بيضة دجاج و من مرة من نطفة حمار ليس بعالم تطلع فيه الشمس يوما من المشرق و يوما من المغرب و يوما من الشمال و يوما من الجنوب و يوما من الفوق و يوما من التحت ليس بعالم تحرق تارة الناس و تسقي الانعام وتسيل بالاشجار او تسخن حولا وتبرد حولا ليس بعالم يغرق مادة السفهاء ويطفوا بالعلماء يجري شهرا الى ما سفل ويفرع شهرا الى ماعلا يروي الانعام ويعطش الاقوام ليس بعالم تدور فيه الارض ليلة حول الشمس وتدور الشمس يومها حولها و بعد هذا الاختلاف لاسوع تنفر كل منها عن

صاحبها فتذهب الشمس يمنة والارض يسرة ليس بعالم يستذوق فيه الجمل و يستأسد فيه الغزال و ان كان العالم كذلك عالم الاتفاق تحدث فيه الاشياء من غير علل و تمحو عنه الآثار بلا اسباب ينبت الحرث الزرع و يهدو و يرفع البناء البيوت و يهدم و تنسج الحياكة الثوب و تخرق و تجلب التجارة المال و تتلف و يفلح التعامل القوم و يدفع و يدفع التعاون العدو و يغري لكنا كالحيارى في الصحاري ليس لنا تجربة و استقراء و قياس لا نعرف لشى صفة ولا نستنبط من حالة لا نرجو خيرا فنجلبه الينا ولا نخاف شرا فنصرفه عن انفسنا وما عدمنا التجربة والاستقراء والقياس والعلم الحاصل منها بل فقدنا معها الحياة لانه لابد للحياة من موافقة كافية بين ما نجده في انفسنا من الخوف والرجاء و بين ما يقع فى العالم من الاشياء والامور ولا سبيل الى مثل هذه المطابقة اذا كانت الاشياء تحدث ضد ما رجوناه من تجربتنا الماضية او اذا كانت الامور تسنح خلاف ما اطعمتنا فيه الخبرة الغابرة *

مبحث العالم عالم الاسباب

و ليطب العارف نفسا حيث لم يخلق في عالم الشبهات او في عالم الاتفاق بل خلق في عالم الاسباب و هو حادث متغير تردف فيه الاشياء الاشياء لعلل موضوعة و تتلو فيه الامور الامور لاسباب مقدورة لا يحدث فيه حادث من غير علة او من علة غير تامة ولا يقع فيه واقع لاحق اقتضابا من غير اتصال بما قبله من الواقعات التي سبقته و مهدت لحدوث ما يلحقها لا تبسق نخلتنا بلا نواة او من خردل ولا يشتار عسلنا بلا نحل او من حنظل لا ينشاء سحابنا بلا بحر تصعد منه البخارات لحر الشمس ولا يتكون ماءنا الا بامتزاج الحار والرطب كل ما يشاهد هاهنا من وارد الاشياء و صادرها و كل ما يدرک من حاضر الامور و غابرها لها علل و اسباب لا يمكن وجود تلك الاشياء والامور الا بعد وجود تلک العلل و الاسباب و كما لايمكن حدوث الاشياء والامور بدون وجود العلل والاسباب

كذلك لايمكن التراخي في وجودها بعد وجود عللها و اسبابها والقول بامكان التراخي بين العلة التامة و بين معلولها سلب لتمام العلية منها لان العلة مالها دخل في وجود المعلول و تسمي نا قصة ان افتقرت الى مظهر آخر في وجود المعلول و تامة ان لم تفتقر كذلك هذا و اذا فرضنا ان العلة التامة موجودة و ان معلولها ليس بموجود بل سيوجد بعد يوم او شهر او حول او قرن او ماشاء الله فرضنا ان طايفة من العلل التي تحتوي عليها ما نسميه بالعلة التامة ليست بكافية في ذاتها للوجود الفوري المعلول بل محتاجة الى مضى زمان معين و اذا افتقرت الى زمان و هو من المظاهر في ايجاد المعلول صارت ناقصة بعد فرضها تامة تمضى هاهنا الاشياء والامور على صراط مستقيم لا عوج فيه وتدين في عالمنا التغيرات والتارات بشرع قويم لا محيص عنه لكل سابق من الاسباب فينا لاحق من النتايج و لكل متاخر من الحوادث فينا مقدم من الواقعات *

خلقنا لهذا العالم الحادث المتغير و خلق لنا بغي على ان تحدث فيه الحادثات و تتغير فيه المتغيرات و اعطينا حواس قادرة على ادراك التغيرات وغير قادرة على غير التغيرات فتمت المطابقة بين حواسنا و بين ما تحس و كملت الموافقة بين مشاعرنا و بين ما تشعر وانحصر حصول العلم لنا على وقوع التغير في عالمنا مثل ما امتنع الحكم بحصول العلم لنا في عالم سرمدي لا تغير فيه و مثل ما امتنع لنا التجربة في عالم الاتفاق الذي لا تعود فيه الفطرة الى مثل ما صنعت مرة *

و بعد ان قلنا شيئا مما يطبع عليه العالم من الدوام والاتفاق ومما طبع عليه من الحدوث والسنن حان لنا ان نتفكر فيما يعرضه العالم علينا من اشيائه و اموره و ننشر علمنا الى ما يحتوي عليه من احساس الماديات و ادراك الغير الماديات فنقول يعرض علينا العالم مظاهر و اريد بالمظاهر ما يعم الجواهر و الاعراض والحالات والجوهر هنا ما

يدرك وجوده باللامسة فقط والعرض ما يدرك بغيرها من الحواس في الجوهر الواحد عرفا والحالة ما تدرك من العلاقة بين شيئين او اشياء والاثر مرادف للمظهر *

الاول — اللمس اريد به كلّ ما يدرك باللامسة بالمعنى الاعم الشامل لحس اللحم — يكون في الخارج مايتصل باللامسة و تكون في انفسنا اللامسة و يحدث من اتصالهما مع شروط عديدة في انفسنا كيف معين ممتاز من كيف الطعم والشم والسمع والبصر حري بان يسمى بالوجدان الحادث من اتصال معين بين اللامسة والملموس و لكن الاختصار يطمعني في ان اسميه باللمس و فينا قوة بها نذكر الوجدان الحادث فينا من اتصال الملموس المشخص باللامسة بعد زوال الاتصال فاذا لمسنا الدمقس و وجدنا لينه قدرنا على ذكر ذلك اللين المشخص بعينه و اذا لمسناه مرة اخرى حدث فينا وجدان نعرفه مماثلا لوجدان قد حدث فينا من قبل وتوجب هذه المماثلة بين الوجدان السابق والوجدان اللاحق الحكم بان العلة الخارجية لهذين الوجدانين متحدة ولولا اتحاد العلة لما اتحد المعلول *

و اعلم ان جنس اللمس يشمل على انواع منها المزاحمة اذا كانت في الخارج مادة و باشرتها اللامسة زاحمت المادة اللامسة و عاقتها عونا عن المضي في جهة وقعت فيها المادة و ما خلّت سبيل اليد تمضي في تلك الجهة بلا مزاحمة ولا صدود كما تمضي في جهة فارغة عن المادة و بهذه المزاحمة تمتاز المادة من الخلاء المحض والفراغ الصرف بعد اشتراكهما في وجود الابعاد الثلثة و الامتداد ولا يكفي الامتداد في الاقطار الثلثة من غير مزاحمة ولا صدود في تعريف المادة المشتقة من المدبل لابد ان يضاف الى تصور الامتداد تصور المزاحمة ليحصل تصور ما يسمى مادة ولا يخفى ان المزاحمة صفة ذاتية للمس لاتفارقه ابدا لا يمكن ان يحدث في انفسنا وجدان اللمس من غير ان

تحدث كيفية المزاحمة و حيث لاتفارق المزاحمة اللمس فى الوجود لا يمكن لنا تصور اللمس من غير تصور المزاحمة و اعلم ان اللين والخشونة من اصناف المزاحمة و اسمي القدر المشترك بين اللين والخشونة وغيرهما من اصناف المزاحمة باللمس *

منها الجذب الذي به تميل - سالمات المادة الى اخواتها و به تصير القطعة المفرزة من المادة مظهرا للثقل وهو وصف اضافي يعرض الطايفة المجتمعة من سالمات المادة بجذب الارض اياها الى مركزها و ان قابل جذب الارض جذب آخر في جهة مقابلة بطل الثقل ان حملنا رطلا من الحديد باليد احسسناه ثقيلا لان الارض تجذبه الى المركز ثم ان اتينا بمقناطيس كبير من الفوق وجذب هذا المقناطيس الحديد بجذب يساوي جذب الارض زال احساس الثقل كذلك اذا وقعت كرة صغيرة من المادة و قطرها اصبع بحيث تماس كرة جذبها الارض كرة جذب القمر و وقع مركز الكرة الصغيرة على نقطة التماس بين الكرتين زال الثقل من الكرة الصغيرة لا تميل الكرة الصغيرة لا الى الارض ولا الى القمر لتساوى الجذبين و بالجذب ايضا تمتاز المادة من الخلاء الممتد ليس للخلاء سالمات تتجاذب بل هو اسم لما يضاد المادة في المزاحمة والجذب وغيرهما من الذاتيات المختصة بما يلمس بعد الاشتراك في الامتداد و لو سمينا المادة بالصادة لسميز ناها من الخلاء ولوقينا الوقوع في الخطاء الا ان طول استعمال المادة لبيان ماتسمي مادة ولدلالتها على المفهوم المطلوب بيانه دلالة كافية بعد شرح ما فيه من المسامحة يمنعني عن هجر اللفظ المتعارف و وضع الاسم الجديد موضعه اعلم ان الثقل والاتصال صنفان من الجذب الثقل جذب مع بعد السالمات بعدا بينا كتجاذب الشمس والارض بعدما حال بينهما ٩٥٠٠٠٠٠٠٠ ميلا او جذب الارض الاثمار والاتصال جذب مع قرب عظيم في السالمات بعد ان يصير القرب مساسات كتجاذب سالمات قطعة من الزجاج او الحديد

او غيرهما بعضها بعضا ولولا الاتصال بين السالمات لما احتاج كسر شى من الاشياء الى قوة تختلف باختلاف الجذب الموجود في الاشياء المختلفة *

منها الحركة و هي لا تلازم كل ما يدرك باللمس لا نجدها في جميع المحسوسات باليد بل تعرض بعضها ولا تعرض البعض و تعرض الشى المشخص بعينه في بعض الاوقات و يمكن لنا فرض ان تعرض جملة ما يطلق عليه اسم المادة ولا جل المفارقة والعروض لا تحسب من ذاتيات المادة المحسوسة باليدوان كان الراي اليوم انها من ذاتيات السالمات وما يشاهد من سكون الاشياء فهو امر يعرض لها بتناحر الجواذب في الجهات المتقابلة و ليست الحركة مما يختص ادراكه باللامسة بل تدرك بالعين ايضا *

منها الحجم فان امرّ رنا يدنا على عصفور و على فرس حكمنا بان الثاني اكبر حجما من الاول و تقدر العين على ادراك الحجم مثل اليد الا ان بين الادراكين فرقا اليد تدركه بالاجمال من غير تحديد ولا تعيين والعين تدركه بالتحديد والتعيين *

منها الحرارة — قد ثبت انها نوع من الحركة اي هى حركة السالمات سواء تحرك الحجم من حيث الكل ام لا ولا ندرك الحرارة الا اذا كانت اقل او اكثر من حرارة اللامس فاذا تساوت حرارة الملموس في الدرجة بحرارة اللامسة لا يجد اللامس مس الحرارة اما اذا كانت اقل او اكثر من حرارة اللامس وجدها ان كانت حرارة الملموس اعلى درجة من اللامس وجد اللامس الملموس حاراً و ان كانت حرارة الملموس ادنى درجة من اللامس وجد اللامس الملموس باردا والبرودة على هذا ليست بامر وجودي بل هى اسم لقلة الحرارة و ليس لنا اسم يشمل درجات الحرارة والبرودة و اسمي المشترك في الحرارة والبرودة بالملمس فاذا علي الملمس سمي حاراً و اذا سفل سمي باردا *

منها المقناطيس و به بنجاذب الحديد الذي ظهر فيه ذلك الجذب الحديد الاخرا و هو ايضا لا يلازم كلما يدرك باللمس بل قد يوجد و قد لا يوجد *

منها البرق — و هو ايضا غير لازم للمس قد يظهر و قد لا يظهر و يتفاوت الاشيا تفاوتا عظيما في كونها مظهرا له و يحسب في هذا الزمان ان البرق يوجد في كل شي مختفيا و باثر موثر خاص يظهر ممتازاً في فرقتين فرقة تسمي ثبوتية و فرقة تسمي سلبية تظهر الثبوتية في طرف من الشي و تنقص و تنقص حتى لا يبقي لها اثر في الوسط و تظهر الفرقة السلبية في الطرف المقابل و تنقص و تنقص حتى لا يبقي لها ايضا اثر في الوسط *

منها المعاصرة — بين شيئين او اشياء — فانا ندرك بالملامسة وجرد شيئين او اشياء اذا كان بينها فصل خاص ولمسناها في زمان واحد ولا امكان لادراك المعاصرة بالذائقة والانف والاذن لانه اذا لاقي شي بالذايقة وله طعم خاص لايمكن ان يلاقيه في ذلك الوقت بعينه شي آخر له طعم مغاير لطعم الاول و ان مزجنا المطعومين كان الطعم ايضا ممزوجاً والشامة كالذايقة في فقدها ادراك المعاصرة لا سبيل الى شم الورد و الياسمين معا و ادراك الامتياز بين جزي العبقة المولفة من الرايحتين و السامعة ايضا قاصرة عن سمع الاصوات المختلفة في زمان واحد لايقدر احد على ان يسمع كلام جماعة في وقت واحد و يفهمه ان حدثت صيحات ورنات ونغمات في ان واحد لايمكن لاحد ان يسمعها كلها و يفرق بينها و بين غيرها *

منها التوالي في درجات مختلفة من صنف واحد و في انواع مختلفة من جنس اللمس و يدرك التوالي بجميع الحواس وله غرايب سوف يذكر *

ان كانت للانسان اللامسة فقط ولم تكن له الحواس الباقية من الذائقة والشامة والسامعة والباصرة ولم يكن مدركا الا للوجدان الحادث من اتصال اللامسة والملموس انحصرت معلوماته في المحسوسات اللمسية ولذا انحصر عالمه في الاشياء التي تكون علة خارجة للمس تالف علمه من درجات متفاوتة من المزاحمة والجذب والحركة والحرارة والمقناطيس والبرق والمعاصرة بين تلك المحسوسات والتوالي فيها ولم يكن في معلوماته شي سوي ما يحس باليد و تنوعت عنده الاشياء بدرجات الانواع المختلفة من جنس اللمس كان ملمس الذهب المحمي عنده شيا و ملمس الثلج شيا آخر و لين الحرير شيا ثالثا و خشونة المنسفة شيا رابعا والطلق المتشاقل المتحرك شيا خامسا – والقطن المنفوش شيا سادسا وكذلك ساير افراد علمه لم يكد ليشعر الحلاوة والمرارة والطيب والنتن والصراخ والحديث والصورة واللون *

الثاني مما يعرض عليه العالم الطعم

وهو الوجدان الحادث من اتصال سالمات مما يذوب في الريق بالعصب الذائق ولا يكفي في حصول الطعم محض الاتصال كما يكفي في اللمس بل لابد ان يكون الشي المتصل مما يذوب في الريق و من ثم لاطعم لمالا يذوب في الريق ولا انواع تحت الطعم ان الذائقة لا تدرك الا نوعا واحدا من المحسوسات و كما لا تدرك نوعا آخر من المحسوسات كذلك لا تدرك المعاصرة بين اصناف عديدة من النوع او افراد كثيرة من الصنف نعم تدرك التوالي بين الاصناف والافراد ولا يخفى انا نجد اصنافا كثيرة لنوع الطعم من الحلاوة والحموضة والبشاعة والعفوصة وغيرها من الاصناف *

و ان كانت للانسان الذايقة فقط تالفت معلوماته من الصفات الطعمية فقط و انحصر عالمه فيما يحدث بالاتصال بالذائقة من الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة و لم يكن ليعرف مالا طعم له و ان اعطي

اللامسة والذايقة كان مجموع معلوماته مساويا لمعلومات اللامس فقط والذايق فقط و كان عدد الاشياء الموجودة له في الخارج مولفا من عددے الاشياء الموجودة في الخارج للامس والذائق و انقسمت الاشياء عند من له اللمس والذوق الى ما يذوب في الريق فتكون ذات طعم و مالا يذوب فيه فتكون غير ذات الطعم *

الثالث مما يعرض العالم عليها الشم

وهو الوجدان الحادث من اتصال سالمات منفصلة من شيء موجود في الخارج بعصب منبسط في قعر الانف و حيث يحتاج الشم الى انفصال سالمات من الشي واتصالها بعصب شام لانجد عرفا لاشياء لاتنفصل منها السالمات و كما لا انواع تحت الطعم كذلك لا انواع تحت الشم نعم له اصناف مختلفة مشمومة من العطريات المتعددة والازهار المتنوعة والاطعمة والفواكه و غيرها ولا تدرك الشامة المعاصرة بين الروايح و بين درجاتها لا كنها تدرك التوالي وتتالف معلومات من كذت له الشامة فقط من العبقات الطيبة والروايح المتننة وياحصر عالمه في اصناف الطيب والنتن و اذا ضمت الشامة الى الذايقة واللامسة تكثرت المعلومات و تنوع العالم بالتركيب العددي الحاصل من ضم المحسوسات مثنى وثلاث و رباع الى غير ذلك *

الرابع مما يعرض عليها العالم السمع

و هو الوجدان الحادث من تموج الريح المتصلة بالشي المتصادم المتعدي الى الريح المتصلة بالعصب السامع وكما ان من شرط الطعم ذوبان الشي في الريق كذلك من شرط السمع التصادم و وجود الريح بين المتصادم وبين الاذن ولا سبيل الى السمع من غير ان يقع تصادم وتتخلل ريح و ان كانت للانسان السامعة فقط تالفت معلوماته من الاصوات الهايلة والصيحات المفزعة والكلمات الحالية والنغمات المطربة و اذا تربعت

الحواس ازدادت المعلومات واتسع نطاق العالم و اشتمل على اشياء كثيرة يبهر العقل عددها و يفوت الادراک حسابها *

الخامس مما يعرض عليها العالم الأنظار

و هو الوجدان. الحادث من علاقة خاصة بين المنظور الموجود في الخارج و بين العين والرائي في هذا العصران تموج الاثير الذي تعوم فيه الكائنات كلها سبب لحصول الرؤية كما ان تموج الريح سبب لسماع الصوت يقولون ان هذا الفضاء الواسع مملو من اثير لاوزن له و يحدث في ذلک الاثير المحيط بسالمات الاشياء المرئية تموج و يتعدي التموج الحادث حول الشی الی الاثير الملاصق بالعصب النوراني فيحصل وجدان النظر والروية *

و اعلم ان لجنس النظر انواعا كما ان لجنس اللمس انواعا منها الصورة وهي ذاتية لاتفارق المبصرات لا ينظر شی الاوله صورة و دوام الصورة للنظر كدوام المزاحمة للمس والصورة من ذاتيات النظر كما ان المزاحمة من ذاتيات اللمس لا تدرک الصورة الا بالعين ولا يشارک العين في ادراک الصورة غيرها من الحواس *

منها اللون و هو ايضا من ذاتيات النظر لا يبصر شی بدون ان يكون له لون ولا يدرک ايضا بغير العين أريد باللون مفهومه الاعم *

منها الحجم ان رأينا سمكا و ضفدعا لا نفرق فقط بين صورتهما و لونهما بل نفرق في قدهما و حجمهما ايضا و ليس ادراک الحجم من مختصات العين بل تدركه اليد في الجملة كما مر *

منها الحركة الحجمية التي بها ينتقل المتحرک من مكان الى آخر و هي تدرک باليد ايضا *

منها النور و هو نوع من الحركة السالمية و ادراكه من مختصات العين لا تدركه حاسة اخرى *

منها البعد باعانة اللمس لا يدرك البعد باللامسة فقط اذ الاشياء الغير اللاصقة لا وجود لها عند من له اللامسة فقط و لا يدرك البعد ايضا بالعين فقط و لكنه اذا اعانت اليد العين ادركنا البعد ولا تعين اليد العين في ادراک البعد فقط بل تعين ايضا في استواء الاشياء بعد ارتسامها منقلبة على العصب النوراني في العين *

منها المعاصرة في الاشياء التي تكون متقاربة البعد من العينين والمعاصرة كما تدرک بالعين تدرک بالجملة باليد *

منها التوالي في الاثار و يدرک التوالي بالحواس كلها و قد يكون بين الجواهر و قد يكون بين الاعراض و قد يكون بين الاحوال و من التوالي ما يكون ذاتيا و منه ما يكون عرضيا من العرضي ما يشاهد القاعد في سوق من تتابع المارة من الانسان والحيوان والراكب والراجل و من العثور على دفينة بعد عثرة و من التوالي الذاتي ما يدرک بين وضع الاصبع في النار و بين احتراقه او بين مزج الحار والرطب بتدر و حدوث الماء و سوف نرجع الى التوالي فيما ياتي *

و بالجملة قلنا من الحواس خمس بها نجد الوجدانات اللمسية والطعمية والشمية والسمعية والنظرية و لحدوث تلک الوجدانات نحكم بان هناک في العالم الخارج ما يكون سببا لحدوث هذه الوجدانات و هذه الوجدانات الحسية هي العمدة في حكمنا بان للشئ وجودا خارجيا و عليها المدار في صدق العلم و كذبه و اذا باشرنا شيا مشخصاً بعينه و وجدنا منه طائفة من الوجدانات اللمسية والطعمية والشمية والسمعية والنظرية سميناه باسم خاص هذا اذا توجهنا اليه وحده اما اذا وضعناه في علاقات شتى من اشياء اخر كاكلناه مثلا و طليناه الحلو و مزجناه بعرق الليمون و جربنا افعاله و خواصه تكثرت منه الوجدانات الحسية و كلما زادت تلک الوجدانات عددا زادت الاشياء المجربة تعينا — ال كر سكر لان طايفة الوجدانات اللمسية والطعمية والنظرية الحادثة منه مختصة

لا يوجدها الملح او الدقيق والماء ماء لان طايفة من الوجدانات الملمسية والطعمية والنظرية الحادثة منه مختصة به لايحدث كلها الطين او الخمر او الطلق والفرس فرس لان الطايفة من الوجدانات الحادثة من لمسه والنظر اليه و سماع صوته و اكل لحمه وركوبه و عدوه لا تحدث فينا من غيره من ذوي الحياة من الابل والبقر والغنم و بعد حصول تصور الاشياء الجزئية المعينة يمكن ان نقول *

السادس مما يعرضه العالم علينا الاشياء

الجزئية الموجودة في الخارج من زيد و هند و عقاب و خرانق وغيرها من المخلوقات والمصنوعات *

مبحث

و اعلم انه كما نقدر على ضم طايفة من الصفات الحسية الحادثة من شي واحد و نسميها بذلك الشي كذلك نقدر على مقابلة الافراد المختلفة من صنف واحد من الوجدان و على تجريد القدر المشترك في الافراد و تمحيضه من الدرجات المختصة بالافراد المحسوسة و نسميه بوصف خاص كالحمرة والحلاوة و نقدر على مقابلة الاصناف المختلفة من نوع واحد من الوجدانات الحسية و على تجريد القدر المشترك في الاصناف و تمحيضه من خصوصيات افراد الاصناف و نسمي القدر المشترك بين الاصناف بوصف خاص كاللون والطعم و نقدر ايضا على مقابلة الانواع المختلفة من جنس واحد من الوجدانات الحسية و على تجريد القدر المشترك بين افراد الانواع المختلفة المحسوسة و تمحيضه من الخصوصيات الموجودة في افراد الانواع و نسمي القدر المشترك بين افراد الانواع بوصف خاص كاللمس و كذلك نقدر على مقابلة افراد الاجناس المختلفة وتجريد القدر المشترك بين افراد الاجناس وتمحيضه من الخصوصيات الفردية و تسميه باسم خاص ولا اريد ان ترتيب العمل يطابق ترتيب البيان الذي ذكرته في هذا المقام بل يجوز ان يكون

مقابلة افراد الاجناس سابقا على مقابلة افراد الاصناف ولا حقا لمقابلة افراد الانواع او يتويب بترتيب آخر *

ان وضع مثقال من ملح على يداحدنا وجد لهذا المثقال ثقلا معينا ثم اذا وضع نهقدار مثقالين من ذلك الملح على يده وجد ثقلا معينا و قدر على ان يقابل الثقل الحاضر بذكر الثقل السابق و على ان يحكم بان السابق واللاحق من الوجد انين مشتركان في امر ومختلفان في امر اخر يشتركان في صنف الوجدان الحادث من غمز الملح اليد و يختلفان في درجة الغمز حيث ان غمز المثقالين اكثر من غمز المثقال ثم اذا وضعت على يده مقادير مختلفة من الملح بالفترات اليسيرة بحيث لايمحو من قلبه ذكر الغمزات الحادثة من تلك المقادير و قابل تلك الغمزات المتدرجة وجدها متشاركة في صفة الغمز و متخالفة في درجات الغمز و بالمقابلة لابدونها يجدان كلواحدة من تلك الغمزات المتدرجة مولفة من اثنين واحد منهما دائم يوجد في جملة الغمزات والاخر لايوجد الا في واحدة من تلك الغمزات و بعد الامتياز بين القدر المشترك في الغمزات و بين القدر المختص بالدرجات يقدر على تجريد ذلك القدر المشترك و تمحيضه من المختص بالدرجات ويسميه بالغمز – وكما يمكن له الوصول الى تعقل الغمز بمقابلة المقادير المختلفة من الملح كذلك يمكن الوصول اليه بمقابلة الاشياء المختلفة من الملح والسكر والماء والياقوت وغير ذلك *

واعلم ان هذالقدر المشترك اي تعقل الغمز مع كونه موجودا في الخارج في جملة درجات الغمز التي قابلناها و مع كونه ممحضا منها لايمكن ان يوجد منفردا من الدرجات في الخارج لانه الجزء الدايم فقط و يحتاج الشي المحسوس في تقومه الى جزئين جزء دايم جزء زايل فالقول بان الجزء الدايم يمكن ان يوجد في الخارج وحده

قول بان يتقوم الشي بجزء واحد فقط و هو خلف و على هذا فقولنا ان التعقل الانتزاعي الذي يحدث من التجريد والتمحيض لا وجود له في الخارج حق من جهة و باطل من اخرى ان اردنا ان ذلك المجرد المنتزع فقط من غير اضافة الجزء الزايل غير كاف في احداث الوجدان الذي هوالمدار عليه في الحكم بالوجود الخارجي فهو حق و ان اردنا انه لامدخل لهذالمجرد المنتزع الذي هوالجزء الدايم في الوجدانات الحسية بل تحدث الوجدانات الحسية من غير دخل له بالجزء الزايل فقط فهو باطل *

و نجرد سائر الوجدانات اللمسية كما جردنا الغمز بمقابلة الاشياء الغامزة. نجردالمزاحمة بمقابلة الاشياء التي تزاحم نعرض عن درجات المزاحمة التي هي الاجزاء الزايلة ونعكف على صفةالمزاحمة التي هي الجزء الدايم في درجات المزاحمة و نجرد الجذب بمقابلة الاشياء الجاذبة معرضين عن الدرجات الزايلة و متوجهين الى القدر الدايم وبمقابلة الافرادالكثيرة من الجذب والمزاحمة والملمس والممس والمقناطيس والبرق من انواع الصفات اللمسية نجردالقدر المشترك ونمحضه من مختصات الجذب والملمس والبرق وغيرها وهذالقدر المشترك الممحض من خصوصيات انواع اللمس هوالذي تسمي مادة فهي علة موجودة في الخارج تصير بالاضافة الى اللامسة علة تامة لجنس اللمس و هي الجنس الاعلى للعلل الخارجية التي تحدث مع اللامسة انواع الاحساسات اللمسية التي جردناها من المختصات و محضناها من الدرجات و هي الجزء الثابت الدائم الذي تنضاف اليها اجزاء زائلة فتصير علة تامة للمس لا يمكن وجود احساس لمسي من غير وجودها نعم يحتاج في الحكم بالوجودالخارجي الى ان تنضاف اليها مختصات زائلة و ان اردنا حد المادة قلنا المادة جنس الاجناس للعلل الخارجية التي تصير مع اللامسة علة تامة لجنس اللمس لمس = المادة + اللامسة *

او حيث لا نجد وجدانا لمسيا و الا لوجدان المادة هي علتها الخارجية نحكم بان المادة قديمة لا نعرف بدايتها ولانهايتها هي الازلية الابدية التي يمتنع لنا تصور تكونها من العدم البحت أو انقلابها الى الفناء الصرف و كيف يمكن لنا مثل هذا التصور بعد أن سلمنا ان الوجدان يحصل من المادة واللامسة ولا يمكن أن يحدث من غير أن يكون في الخارج مادة و اذا فرضنا عدم المادة لابد من أن نفرض عدم الوجدان و من ثم عدم التصور أو ببيان اخر اذا سلمنا ان العلة التامة لحدوث الوجدان اللمسي هي اتصال المادة واللامسة و بعد ذلك ان فرضنا امكان حدوث الوجدان اللمسي بوجود اللامسة فقط بدون وجود المادة فرضنا وجود المعلول من غير وجود علته التامة و هو ممتنع عقلا *

و كما قابلنا افرادا كثيرة من جنس الوجدانات اللمسية و جردنا القدر المشترك فيها من الدرجات والتعينات وسمينا ذلك القدر المشترك مادة كذلك قابلنا افراداً كثيرة من نوع واحد من جنس الوجدان البصري اي قابلنا صورة الرمان و صورة العنب وصورة التمر و صورة البطيخ و صورة اللوز و صورة العدس و صورة الديك و صورة السمك و صورة الانسان و صورة البرج و صورة البيت وغيرها من المخلوقات والمصنوعات و وجدنا كل واحدة من الصور الغير الواقفة عند حد مماثلة على جزء ثابت لاتوجد صورة الاويوجد فيها مع جزء زائل يوجد في صورة واحدة فقط ولا يوجد في غيرها و جردنا ذلك الجزء الثابت الدائم من الاجزاء الزائلة التي تختص بالصور الجزئية سمينا ذلك القدر المشترك بالصورة الجسمية و قلنا أن الصورة الجسمية موجودة في جملة الصور الجزئية التي هي ترتيب قطعة من سالمات المادة في ترتيب معين و هذا الترتيب هو القدر المشترك والكروية والمخروطية والعدسية والبطيخية وغيرها من التعينات الزائلة و على هذا فالصورة الجسمية تعقل انتزاعي كالمادة جردناها من مقابلة افراد كثيرة من نوع واحد من جنس

الوجدان البصري و لكونها تعقلا لا يمكن تحقق الجسم في الخارج بدونها حسبت جوهراً كالمادة *

و اعلم ان المادة والصورة بعد كونهما مشتركتين في الانتزاعية والتجريد متضادتان في أمور منها ان المادة منتزعة من اللمس والصورة منتزعة من النظر منها ان المادة المشخصة جوهر بمعني انهاتلمس باليد والصورة الشخصية عرض لا تلمس باليد بل تدرك بالعين و اما قولنا المادة قديمة والصورة حديثة والمادة محل للتغيرات والصور من قبيل التغيرات فهو مبني على تجوز و على ترجيح اليد على العين اما بيان التجوز فهو انه اذا قلنا المادة قديمة والصورة حديثة اردنا بالمادة جنس العلة الخارجية للمس و اردنا بالصورة واحدة من الصور الجزئية الطارية على طائفة من سالمات المادة و قابلنا تعقلا انتزاعيا جردناه من اللمس بتصور محسوس نجده بالعين و بالحرى ان نقابل التعقل الانتزاعي المجرد عن اللمس بالتعقل الانتزاعي المجرد عن النظر و ان قابلنا هما وجدنا هما مساويين في القدم او ان نقابل المحسوس من المادة بالمحسوس من الصورة و ان فعلنا ذلك وجدنا هما مساويين في الحدوث والتحقيق ان جنس اجناس العلل الخارجية الموجد ان النظري و جنس اجناس العلل الخارجية الثلاث الباقية من الحواس كلها اثارعين لا نعرفه الا بواسطتها و تلك الاجناس العالية موجودة بوجود هذا العين و حيث لا توجد الوجدنات الحسية بدون تلك الاجناس و بدون ذلك العين لتحكم بقدمها و قدمه اضطراراً و اما بيان ترجيح اليد على العين فبيان من اعتقادنا بان ما يدرك باليد من المادة هو افضل تحققا و وجوداً مما يدرك بالعين من الصورة و ان كان ممتنعا ان يوجد مايدرك باليد بغير ان يوجد معه ما يدرك بالعين و اذا تحقق انه لا يمكن ان يوجد احدهما بغيرالاخر لما لا يجوز ان نقول بان ما يشاهد بالعين من الصورة هي محل التغير والمادة المدركة باليد هي من قبيل التغير

اذا احتاج شئ في تقومه الى شيئين لا يوجد ان الا معا و استحال أن يسبق احدهما الاخر فالقول بان الواحد منهما اكثر اثراً في تقوم الشئ من اخيه فاسد *

و كما نقابل افرادنوع واحد من الوجدان النظري اي الصور المختلفة المشاهدة فى الحيوانات والنباتات والمعدنيات وغيرها من المخلوقات والمصنوعات ونجرد منها تعقل الصورة كذلك نقابل الافراد المختلفة من اللون من الحمرة والخضرة والصفرة والزرقة والكدرة و غيرها و نجرد القدر باشترك فيها ونمحضه من تشخصات الدرجة و تعيناتها و نسميه اللون والقول فى اللون كالقول في الصورة من كونه حديثاً او قديماً ثم نقدر على ان نقابل الافراد المختلفة من الانواع المختلفة من الوجدان النظري و نجرد القدر المشترك فيها و نسميه النظر كما سمينا القدر المشترك في انواع وجدانات اللمسية و سميناه مادة و يكون بين المادة والنظر عموم وخصوص من جهة يكون بعض افراد المادة التي لاتدرك بالعين كالثقل لانظراً و يكون بعض افراد النظر التي لاتدرك باليد لا مادة كالصورة او اللون ولا يذهبن عنك اني اقتصرهنا على بيان ما يدرك من الموجودات الخارجية و اعرض عن بيان ما يجده الانسان من المحبة والبغضة والجوع والحمية و غيرها *

بحث

ولعلك استيقنت مماسلف ان مافي العالم باعتبار كونه سببا خارجيا لما نجده من الوجدانات الحسية منحصر في (١) المادة (٢) المطعوم (٣) المشموم (٤) المسموع (٥) المنظور (٦) التعاصر (٧) التوالي و بانضمام هذه في انحاء شتى وطرق كثيرة نشاهد مانشاهد فى العالم من الجواهر والاعراض والحالات والكون والفساد نشاهد الشمس و طلوعها والنجوم افوله والبرق واضائته والرعد و جلجلته والسحاب و ظلمته والمطر

و نزوله والثلج و تراكمه على ذرى الجبال الشاهقة والانهار و انفجارها من الجبال وسيلانها الى البحار و به نشاهد من ولادة الحيوانات و موتها و من نمو الاشجار و بليها و من خلق الاشياء و عدمها و من بداية الواقعات و نهايتها و مما نشاهد من الكون والفساد والحدوث والعدم تحصل على ثلج اليقين من ان كل ما في العالم من المادة والصورة حادث غايته الفناء و ان كل ما يصير سببا خارجيا للوجدان من الجوهر والعرض غرضه الزوال اذا ولد الانسان حسبنا انه خلق من العدم المحض خلقت المادة الموجودة فيه و صورت تلك المادة المخلوقة في الصورة الانسانية اذا ولد حيوان حسبنا انه ولد من العدم البحت خلقت المادة الموجودة فيه ولم تكن موجودة من قبل و مثلت تلك المادة في الصورة الحيوانية المختصة به و كذلك اذا نمى شجر حسبنا انه نمي من مادة لم تكن موجودة من قبل بل كانت عدما محضا ثم خلقت و بعد خلق المادة صيغت في الصورة الشجرية كما يصوغ الطفل الموم في الصورة السرطانية و اذا نشاء سحاب حسبنا انه خلق من العدم الصرف اذا احترق الثوب حسبنا انه صار عدما صرفا انعدمت مادته كما انعدمت صورته وما بقى لمادته عين ولا اثر كما لم يبق لصورته و جود اذا نضب غدير حسبنا ان ماءه عاد عدما محضا كما كان قبل ان يصير ماء ولم يبق له مادة كما لم تبق له صورة اذا مات الانسان حسبنا ان المادة الموجودة فيه صارت معدومة بحتا كما انعدمت الصورة التي كانت طارية على تلك المادة و اذا احترق الشجر حسبنا انه ما بقى من المادة الموجودة فيه شيء كما لم يبق من الصورة الطارية على مادته وجود و بالجملة فما نجده محسوسا من الموات والناميات بعد ان لم يكن محسوسا نحكم انه خلق من العدم المحض والفناء البحت و ما يصير غير محسوس بعد ان كان محسوسا من الناميات والموات نحكم بانه صار عدما محضا و فناء مطلقا *

ثم تزيد التجربة و تنمو العلوم العقلية من الرياضي والطبيعي فيثبت ان ما يشاهد الانسان في العالم من الخلق والفناء والحدوث والزوال والكون والفساد محله الصورة الاجتماعية و الحالات الاضافية فقط تثبت الطبيعيات الشاملة على الكمياء انه اذا نشاء سحاب لاينشاء من العدم المحض بل تكون في الهواء سالمات في صورة الاجزاء المائية و بالبرودة تا تلف فتطري عليها الصورة السحابية فالمتكون والحادث الصورة السحابية فقط و اما المادة السحابية فقد كانت موجودة من قبل في صورة اخرى و كذلك اذا ولد الحيوان من اجتماع مادة موجودة من قبل في نطفة الاب و بيضة الام و في الغذاء الموجود في الخارج الماكول بالام والمنقلب الى الاجزاء الحيوانية ولا يولد من العدم المحض فقط اذا نمى شجر لاينموا من محض العدم بل تكون هناك عجمة وتنضم اليها بعد اجتماع الحرارة والرطوبة اغذية موجودة في الارض والهواء وبانضمام هذه الاشياء الموجودة من قبل تصير العجمة شجرة *

اذا احترق زيت لا يصير عدما محضا بل تبطل الصورة الزيتية التي كانت حادثة ولانعدم المادة بل تنقلب المادة الموجودة في الزيت الى صورة اخرى وبالجملة فتثبت التجربة العلمية ثبوتا قطعيا لايحوم حوله ريب ولاشك ان ما يشاهد من انعدام الماديات و فنائها هو فناء الصور المجموعية وزوالها من غير ان يمس العدم اوالفناء المادة التي كانت محلا لتلك الصور المشاهدة بل يبقى مقدار المادة معينة لاينقص منه شى ولا يزيد فيه شى نعم اذا زالت الصورة الطارية على مقدار معين من المادة يرفل ذلك المقدار المعين في صورة اخري واحدة اوصور عديدة *

وكما تثبت التجربة العلمية ان المادة لا تفني ولا تنعدم بل في كل ما نسميه بالعدم والفناء تاخذ صورة اخرى و انه لا تحدث سالمة واحدة من المادة ولا تخلق بل ما يشاهد من خلق شى معلوم هو صيرورة طائفة من سالمات المادة المتصورة بصورة مغائرة لذلك الشى في صورة ذلك

الشي ثم قل المادة متى عند مانسميه بالخلق في صورة جديدة حادثة غير قديمة لها ابتداء وانتهاء نشاهدها موجودة بعد ان لم تكن و ندركها فانية بعد ان كانت كذلك يثبت علم النفس انه يفوق الطاقة البشرية ان يدرك العدم المحض و يحكم بان شيا كان عدما محضاً ثم صار بعده شيأ محسوساً و ان شيأ محسوساً كان موجوداً ثم صار بعده عدما محضاً والحاصل ان نموالطبيعيات و علم النفس يغير عقيدتنا و يضطرنا الى الحكم بان فى العالم مادة قديمة ازلية ابدية لا بداية لها ولا نهاية يمتنع ان نحكم بانها خلقت من العدم البحت او بانها تصير صرف العدم و ان تلك المادة القديمة هى محل التغيرات الصورية ترد اليها و تصدر عنها و ان تلك الصور المتغيرة الحادثة هى الباعثة على نشاة عقيدة الحدوث والفناء والداعية الى الاذعان بالكون والفساد * * *

بحث

اعلم انه كما ينشاء فينا بمشاهدة الكون والفساد فى العالم تعقل حدوث العالم و حدوث جميع ما فيه من المادة والصور ثم يثبت خلافه يثبت ان المادة قديمة و ان الصور حادثة كذلك ينشاء فينا من مشاهدة صدور الافعال من الفاعلين وعدم وجود الافعال والمصنوعات من غير الصانعين و من القياس على انفسنا تعقل علاقة العلة والمعلول والاعتقاد الراسخ في ان لكل شي سواء كان مخلوقا او مصنوعاً قديما او حادثا جوهر او عرضاً علة لا يمكن ان يوجد ذلك الشي من غير ان يوجد علته التامة الا ان العلوم العقلية تقيد هذا الاطلاق كما قيدت اطلاق عقيدة الحدوث و تخصص عموم عقيدة العلة كما خصصت عموم عقيدة الحدوث و اريد ان ابين ههنا (١) حديث نشاة عقيدة العلة (٢) حديث بلوغها الى كمال الاطلاق (٣) حديث رجوعها من كمال الاطلاق و سعة نطاقها بعد الرجوع *

يجد كل منا من حين ولادته اثاراً لا تظهر الا بالموثرات يرتضع امه فيشبع و كلما رضع شبع و عرف ان بين الارتضاع والشبع علاقة اذا

سبق الاول لحق الثاني و يخر على الارض فيدنا لم و كلما خر على الارض تالم و عرف ان بين الخرور و الالم علاقة يتلوا الثاني الاول يشاهد اشيا موضوعة في مواضعها من حجرته و يراها ساكنة لا تتحرك و كلما حرك منها شيا تحرك او حرك شيا منها غيره تحرك و عرف ان بين تحريكه او تحريك غيره و بين حركة المتحرك علاقة كلما وقع التحريك وقع التحرك ولا يقع التحرك من غير ان يكون محرك ثم بعد القدرة على تجربة ما في العالم و مشاهدة حوادثه و مباشرة الاعمال فيه يجد في حوادثه علاقة كما كان يجد في حركاته و آثارها فيقيس ما في العالم على نفسه و يعرف ان المطر لا ينزل بدون ان يكون في السماء سحاب و يستيقن ان الصيد لا يقتل من غير ان يقتله قاتل و يعلم ان الزرع لا ينبت بدون ان تحرث الارض و يبذر فيها البذر و ان الطعام لا يطبخ من غير ان يطبخه طابخ و ان البناء لا يرتفع من غير ان يكون له بان و ان الفعل لا يقع بدون ان يكون له فاعل و بالجملة يشاهد جما غفيراً من الآثار و يشاهد ايضا انها لا تحدث من غير ان يكون لها محدث و تزيد تجربته في هذه الجهة و تزيد حتى يصل بالاستقراء الى الاعتقاد بان لكل اثر مؤثراً و لكل مسبب سبباً و لكل معلول علة و يحكم بانه يمتنع ان يصير شي موجوداً ولا يسبقه سبب موجد و يجعل كليته شاملة على القديم والحادث والمادة والصورة و جملة ما يدرك بالحواس و بعد نشأة تلك العقيدة من مشاهدة التوالي بين الحادثات السابقة والحادثات اللاحقة يبلغ في كمال اطلاقها غاية لا ينفلت شي من ربقتها و يحسب وجود شي بلا سبب ممتنعا *

مبحث

بينما هو كذلك مشغوف بكلية عقيدته آمن بكمال اطلاقها اذ تدعوه العلوم العقلية فتقلق وضينه و تشق يقينه و تكشف له اموراً *

منها ان ما يعرضه العالم علينا من محسوساته من المخلوق والمصنوع كالانسان والفرس والديك والسمك والنخلة والبشام واليقطين والماء والطين والزيت والفضة والرخام والزجاج و كالمسجد والبيعة و النمرقة والقميص والدملج والخلخال و كالحر والبرد والخسوف والكسوف والزلزلة و تقاذف الامواج و تراكم السحاب و نزول الغيث و لمعان البرق كل منها مولف من جزئين واحد منهما على ما احاط به علمنا ازلي جل عن الفناء وانحسر دون ذاته المحو والعدم ثابت قديم لا يزول ولا يحول و ثانيهما هالك حادث يأوي و يرتحل و يتبدد و يختم يبرز مع كل دفعة و يغيب مع كل حركة لا نعرف للاول خلقاً ولا حدوثا ولا بداية ولا نهاية و نشاهد للثاني الخلق والحدوث والبداية والنهاية نجد الاول باقيا على حالة لا يزيد فيه شي ولا ينقص منه شي و نجد الثاني رايحا غاديا ينعدم بعد ما كان موجوداً و يتكون بعد ما كان معدوما ماشا هدنا قط جديداً من الاول قد فرع منابر الظهور او قديما منه قد قبع في كسر الفناء و شاهدنا الثاني و نشاهده قد خلق من العدم و قد اهلك بعد الخلق نجد الاول محلاً و نجد الثاني حالاً و لعلك فطنت بما اريد بالجزء الثابت القديم والجزء الزائل الحادث المادة المزاحمة الجاذبة هي القديمة التى لا نعرف لها بداية او نهاية والصور الحادثة والحالات السانحة الحالة بالمادة هي الحادثات التي تروح و تغدو وتحل و ترتحل ففى العالم جزء هو الحادث المتغير و جزء اخر هو الثابت القديم و قولنا العالم حادث صحيح ان اردنا بالعالم ذلك الجزء المتغير الحادث اي الصور المجموعية الحالة بالمادة والناشئة عنه والحالات التاليفية العارضة للماديات والزائلة عنها و ان اردنا بالعالم الجزء الثابت فقط او المولف منه و من الزائل فهو باطل *

ولا يذهبن عنك ان الحادث فيما جربناه شي غير مستقل يمتنع أن يوجد فى الخارج مستقلا بنفسه من غير ان يكون محله قديم تميزه

في الذهن فقط و اما في الخارج فهو محتاج الى القديم مثل احتياج العرض الى الجوهر و اذا كان الحادث الصرف مما لا وجود له الا في الذهن فقط لا يجوز ان يكون العالم الموجود في الخارج حادثا فقط *

منها ان العلة تطلق على معنيين تارة يراد بها موجود خارجي في العالم و محسوس بالحواس يتوقف على وجوده في العالم حدوث معلول حادث في العالم ذاتا وضرورة و تارة يراد بها خالق يخلق المخلوق من محض العدم و يكون سببا لتوقف حدوث المعلول الحادث على وجود علة الحدوث و باعثا لوجود الخواص والذاتيات في الذات ان قلنا ان البخارات صعدت من البحر لحرارة الشمس فسارت الى جو بارد فاجتمعت ثم نزلت لجذب الارض اياها في صورة المطر كنا باحثين عن علة الحدوث للمطر لانا ذكرنا اثاراً يتوقف حدوث المطر و وجوده على وجود تلك الاثار من الشمس والبحر والارض والحرارة والبرودة والصعود و الاجتماع والنزول و ان سئلنا من خلق البحر من العدم او من اعطى الشمس الحرارة او من جعل الحرارة علة لصيرورة الماء بخاراً كنا طالبين لعلة الخلق ان قلنا ان جما غفيراً من سالمات المادة كانت موجودة في الاثير في حالة الانتشار ثم انضمت فصارت شمسا كنا ايضاً باحثين عن علة الحدوث للشمس حيث ذكرنا اثاراً كانت موجودة من قبل وكان حدوث الشمس منها و ان سئلنا من خلق تلك السالمات المنتشرة في الاثير كنا فاحصين لعلة الخلق او سئلنا من الذي اعطى تلك السالمات قوة الانضمام كنا ايضاً طالبين لعلة الخلق ان قلنا ان النخلة حدثت من نواة غرست في الارض وتغذت على العناصر الموجودة في الارض بانحلالها في الماء واستمدت بالحرارة والرطوبة والريح في نموها كنا ذاكرين لعلل الحدوث للنخلة و ان سئلنا من خلق الارض من محض العدم او من جعل العجم والرطب غذاءً للنخلة او من جعل الحرارة معينة في النمو كنا طالبين لادراك علة

الخلق ان قلنا ان النعامة تكونت من بيضة وضعتها نعامة بعد لقاح بيضتها بنطفة الذكر ثم بوصول الحرارة المقدرة الى البيضة ومرور الايام المعلومة عليها كنا شارحين للعلل الحدوث للنعامة وان سألنا لما تلقح البيضة بملاقاة النطفة او لما تعين الحرارة على النمو فى البيضة او لما تحتاج البيضة الى قدر معلوم من الزمان لصيرورتها فرخا كنا طالبين لادراك علة الخلق وبالجملة ان بحثنا عن كيفية حدوث حادث معلول ومضينا منه الى ماسبقه فى الوجود الخارجي وانقلب الى المعلول وقلنا ان السابق سبب كنا باحثين عن علة الحدوث وان سألنا من الذي جاء بمعلول معين من محض العدم الى الوجود او من الذي منح خاصة موضوعة لموصوف معين كان بحثنا من علة الخلق *

اعلم ان علة الحدوث وعلة الخلق شيئان بينهما بون بائن وبعد شاحط ليسا بنوعين من جنس او فردين من نوع لا يشتركان في شي من اجزاء يتقوم بها مفهومهما بل تطلق العلة عليهما بالتشكيك كل ما يكون علة الحدوث يكون موجوداً فى الخارج محسوسا بالحواس الشمس والارض والحرارة والنور والعناصر تكون من علل الحدوث للمواليد الثلثة من الحيوانات والنباتات والمعدنيات وكلواحد من تلك الاسباب موجود فى الخارج محسوس بحواسنا وعلة الخلق مفهوم لاتمسه حواسنا ومن ثم لابد لنا من ان نقول انه ليس بمدرك بالحواس على ما احاط به علمنا كل مايكون علة الحدوث يكون اما من الاشياء المادية او الحالات الغير المادية ومن ثم يكون مولفا من قديم وحادث الفحم والحار والرطب والمليح مع شى من الكبريت والنور بخواصها علل الحدوث للنباتات والحيوانات وكلها ماديات مولفة من مادة قديمة وصورة مجموعية حادثة ووقوع الارض والشمس والقمر في اماكن خاصة علة الحدوث للخسوف اوالكسوف وهي حالات غير مادية تلازم الماديات وعلة الخلق ماوجدناها قط بالحواس ومن ثم لا ندري أ هي مولفة من القديم والحادث اوهي

مصاص القديم او صراح الحدوث كل ما يكون علة الحدوث يكون سابقا على معلوله ولا ندري هل تسبق علة الخلق ام لا علة الحدوث تكون مما يتوقف على وجودها الخارجي حدوث المعلول و وجوده و لعدم قدرتنا على وجدان علة الخلق بالحواس لا يسوغ لنا ان نقول ان معلولها يتوقف عليها اولا يتوقف علل الحدوث تكون شاملة على مادة قديمة و على صورة حديثة و حالات سانحة ثم بعينها تصير معلولات تبقى في تلك المعلولات عدد سالمات المادة الموجودة في عللها على حالة لا تزيد فيها سالمة ولا تنقص منه سالمة و تزول الصور الحديثة التي كانت موجودة في العلل و تقوم مقامها صورة حديثة اخرى في المعلولات الحادثة و اما علة الخلق فلا نعرف هل تنقلب بعينها معلولاتها او هل تبقى ممتازة من معلولاتها كامتياز النجار من السرير الذي يصنعه لا ندري هل تكون علة الخلق علة مادية للمعلول المخلوق فقط او علة فاعلية فقط او مولفة من المادية والفاعلية و قدم المادة يمنع ان تكون مادية و قدم القوة يمنع ان تكون فاعلية و ان فرضنا كونها مادية او فاعلية او مولفة منهما كانت مشاركة لعلة الحدوث في كونها محسوسة بالحواس علل الحدوث مختصة بما يتغير و يحدث و يكون له ابتداء و انتهاء و يمتنع ان تكون هناك علل الحدوث للقديم الثابت الازلي لان الازلي لا يسوغ ان يسبقه سابق والازال كونه ازليا و اذا لا يجوز ان يسبقه سابق لا يجوز ان تكون له علة الحدوث ولا ندرى هل تكون علة الخلق للحادث فقط او تكون للحادث والقديم كليهما علل الحدوث تمتاز من معلولاتها في الصور والحالات فقط و تتحد مع المعلولات في المادة والقوة و مقدارهما ولا نعرف هل تمتاز علة الخلق من المعلول مطلقاً او تتحد معه مطلقا او تمتاز من جهة و تتحد من اخرى *

و بالجملة علة الحدوث مفهوم نجد مصداقه بالحواس و نصادفه موجوداً في الخارج مولفا من القديم والحادث كغيرهما في العالم سابقا

على معلوله ممتازاً منه في الصورة والحالة وائلا الى معلوله في صورة جديدة و علة الخلق مفهوم لا نعرف مصداقه ولا شيئا من صفاته *

منها ان القديم سواء اعتقدنا فيما نعتقد احتياجه اليها لايحتاج قطعا الى علة الحدوث لان القدم والاحتياج الى سابق بالذات نقيضان لا يجتمعان اذا فرضناه قديما يمتنع ان يكون له سابق و ان فرضنا له سابقا استحال ان يكون قديما و ان الحادث سواء كانت له علة الخلق اولم تكن يفتقر في وجوده في كلتي الصورتين الى علة الحدوث يمتنع ان يكون حادث من علة الخلق فقط من غير ان يكون هناك علة الحدوث التي تسبقه و تؤول اليه *

تجتزي العلوم الطبيعة بالبحث عن علل الحدوث للاثار المشاهدة في العالم ولا يعنيها البحث عن علة الخلق فبحث من المراد بعلة الحدوث و عن الذاتيات التي تقوم ماهيتها *

اعلم ان لتعقل العلة المحدثة اجزاء بها يتقوم ذلك التعقل الاول التقدم على المعلول اذا شاهدنا اثرا في العالم من حيوان قد ولد او شجر قد نبت او بحر قد مد او عين قد نبعت او دار قد بنيت او حطب القيناه في النار فصار رمادا او ماء وضعناه في مكان شديد البرد فصار ثلجا و طلبنا علة الحدوث له ما طلبنا تلك العلة قط في الآثار التي تتبع المعلول او في الاشياء التي تعاصره لان تعقل علة الحدوث تعقل لا يتقوم بدون ان يكون تعقل التقدم جزا له و اعلم ان الاثار باعتبار وجودها في الزمان اما تعاصر او تتوالي نقول انها معاصرة اذا كانت الاطراف البادية فيها في الوجود محدودة بالان الواحد لا بالانات المتوالية مثل وجود النار والحرارة او وجود السكر والحلاوة يمتنع ان نتصور ان السكر له تقدم على الحلاوة او النار لها سباق على الحرارة والمعاصرة في الزمان كالتساوي في جهة في المكان و نقول ان الاثار متوالية اذا كانت اطرافها محدودة بانات متوالية و التوالي في الزمان يماثل التفاوت في المكان واعلم ان التقدم

والتاخر يشمل تعقل كل واحد منهما على تعقل التوالي و تعقل التوالي من خصائص الزمان اولا و ذاتا و من صفات المكان ثانيا و عرضا الزمان سلسلة واحدة فقط لا يتعقل فيه الرجوع من التالي الى المقدم او من الحال الى الماضي او من المستقبل الى الحال والمكان سلاسل عديدة يمكن فيها الرجعة من المؤخر الى المقدم او اللاحق الى السابق تعاصر اجزاء المكان ولا تعاصر اجزاء الزمان كان الزمان خيط مستقيم نراه مرة فقط ثم يحرق المقدار الذي رايناه فيستحيل ان نرى ما قد رايناه مرة اخرى

واعلم ان تقسيم التقدم الى التقدم الذاتي و تقدم الشرف بحيث لا يوجد في القسمين المذكورين تعقل الزمان كتقسيم البياض الى الحمرة والسواد او كتقسيم الحلاوة الى حلاوة الليمون و حلاوة الحنظل و اما الذي ذاقها و عرف انه لا حلاوة فيها يعدل صبره ويضيق صدره اذا سمع بحلاوة الليمون و حلاوة الحنظل وكذلك من لا يعرف ان تعقل الزمان والتوالي من ذاتيات التقدم لعله يرضى بالتقدم الغير الزماني او بالتقدم الذاتي الذي ليس معه تقدم خفي في الزمان و اما العارف بماهية التقدم فيقشعر جلده من امثال هذه القسمة ان قال احدنا ان للابن تقدما ذاتيا على الاب او ان للسرير المصنوع من الخشب تقدما ذاتيا على الخشب رمي بالسفاهة والجنون و منه يظهر ان التقدم الذاتي لا يجتمع بالتاخر الزماني و ان قيل في المثالين المذكورين بان للابن والسرير تاخرا ذاتيا سلم لان التاخر الذاتي يجتمع بالتاخر الزماني و ان قيل ان للجوهر تقدما زمانيا على العرض اللازم لم يسلم حيث لم يشاهد قط وجود الجوهر فقط قبل العرض اللازم اما لو قيل ان للجوهر تقدما ذاتيا سلم فعلى هذا اذا كانت بين الاثنين معاصرة و حسب ان واحدا منهما علة للاخر او محل له قيل ان للعلة تقدما و اذا فقدنا التقدم الزماني لمكان المعاصرة قلنا تقدمها تقدم ذاتي والحق ان الاشياء المعاصرة لا يكون واحد منها علة للاخرى فلا يحتاج الى فرض التقدم الذاتي له بعد فقد التقدم الزماني القول بان الشمس علة للحرارة وللاولى تقدم ذاتي

على الثانية أو بان المادة علة للمزاحمة ولها تقدم ذاتي عليها افراز بعض الذاتيات من الشي في الذهن ثم لامتناع وجود ذلك البعض في الخارج بغير وجود الشي المعلوم كله و لتوقف وجود ذلك البعض في الخارج على وجود الشي الذي هو من ذاتياته نزعم ان الموقوف عليه علة و ان الموقوف معلول و نحكم بان الشي المعين علة و بان الذاتيات التي لاتنفك منه الا في الذهن فقط معلولات له ولو صح مثل هذا لصار مفهوم شي معين خال من جميع الذاتيات علة لجميعها والمفهوم الخالي من جملة الذاتيات لا يكون الا لفظا صرفا فارغا من معاني موجود في الخارج ويصير صادقا على محض العدم و على هذا فزعم ان ماهية الشي مغائر لذاتياته و ان تلك الماهية علة لهذه الذاتيات هو الزعم الباطل الذي قسرهم على القول بان للماهية تقدما على الذاتيات والتقدم ذاتي ليس بزماني و ليت شعري لو عرفنا ان الحمامة تجل عن تدليس الماشطة اذا كان في جسم مرض و دسسناه فقط من غير علاج ظهر في صورة اخرى اصلحتم عقيدتكم الفاسدة في علية الذات للذاتيات بايجاد التقدم الذاتي لها على الذاتيات الا انكم افسدتم مفهوم التقدم بسلب ما هو ذاتي له منه *

الثاني ان يتوقف حدوث المعلول و وجوده على وجود العلة المتقدمة فما كل سابق مقدم بعلة الحدوث لكل لاحق تال وجود الاسكندر مقدم على وجود محمود الغزنوي الا ان وجود الاول ليس في شي من علة الحدوث للثاني وجود القطب الشمالي مقدم على وجود (الكينو) الا انه لا مدخل له على ما احاط به علمنا في بناء تلك البلدة و من الضروري ايضا ان يكون التوقف ذاتيا و ضروريا وجوداً و عدماً يوجد المعلول اذا وجدت العلة و ينعدم اذا انعدمت اذا وجد مع وجودها من غير تراخ ولافترة سميناها تامة و ان احتاج الى شي آخر و ان كان الزمان فقط كانت ناقصة و قد يسمى التوقف الضروري الذاتي ملازمة *

الثالث ان تكون الملازمة ذاتية للعلة والمعلول غير موجودة لشي مغائر لهمافان الملازمة توجد في الليل والنهار و ليس احد هما علة للاخر بل هما معلولان لشي ثالث اي وقوع الارض والشمس والناظر في مواضع معينة *

فعلة الحدوث سابق يتوقف على وجوده وجود اللاحق ثبوتاً و سلباً ذاتاً و ضرورة و جملة ما يتوقف عليه حدوث حادث معلول سواء كان الموقوف عليه شيأ مادياً او حالة غير مادية فهو جز من علة الحدوث اذا نزل المطر و بحثنا عن علة حدوثه وجدنا نزوله موقوفاً على وجود الشمس مع خواصها و على وجود الارض مع خواصها و على وجود البحر مع خواصه و على وقوع اشعة الشمس على البحر بحرارة كافية لصعود البخارات و على وصولها الى جو ذي برودة كافية لضم البخارات في صورة القطرات وعلى نزول تلك القطرات على الارض بجذبها اياها و على غيرها من الحالات التي لاحاجة الى شرحها فجملة تلك الماديات من الشمس والارض والبحر والريح والغير الماديات من الحرارة والصعود والنزول والجذب لها دخل في حدوث المطر والعلة التامة للمطر مولفة من تلك الاجزاء التي كلواحد منها علة ناقصة للمطر اذا غرسنا نواة في الارض فنبتت نخلة فالنخلة معلول و كل ما سبقها مما يتوقف عليه نباتها من النواة والارض والحرارة والرطوبة والريح علة الحدوث لها والطائفة المولفة من جميع تلك الاجزاء التي حدثت النخلة مع وجودها من غير تراخ ولافترة هي العلة التامة لها *

و اعلم ان العلة اذا كانت مولفة من اجزاء عديدة لكلواحد من تلك الاجزاء مدخل في حدوث المعلول و وجوده بحيث لا يصير موجوداً بدونه حسبت تلك الاجزاء متساوية في العلية و ان كانت متباينة في غيرها من الاوصاف فالشمس والبحر والارض والجو والصعود مع تباين عظيم فيها من الصفات تعدمتساوية في العلية ان كانت العلة

التامة لحدوث معلول معين مثلا مولفة من عشرة اجزاء حسب كل جزء عشر العلة و كان مساويا لغيره من هذه الجهة و ان كان غير مساو او مضارع له في المادية والحالية و المقدار والحركة او غيرها من الصفات المحسوسة والحالات المنتزعة تكون علة الحدوث كما ذكرت فيما مضى اولاً من الاثار المشاهدة في العالم اما من الماديات كالشمس والارض والهواء والفحم والرطب او من قوى غير مادية كالحركة والحرارة والنور والبرق والمقناطيس او من علاقات مكانية كالمشاهدة عند الخسوف والكسوف والهلالية والبدرية والطلوع و والغروب *

منها ان الكلام المركب من الالفاظ العديدة يدل على مفهوم مولف من مفاهيم تلك الالفاظ ولاملازمة بين تاليف الالفاظ و تاليف المفاهيم فستطيع ان نضم لفظاً الى اخر و نتفوه به و لكن لانستطيع ان نضم مفهوم كل لفظ الى مفهوم لفظ اخر و نعطي المولف وجوداً خارجياً فرس خالد كلام مولف من لفظين و مدلوله مما يتحقق في الخارج واما القديم المعلول بعلة الحدوث فكلام لا وجود لمدلوله الا في الذهن و هو مماثل لقولنا المكان اللامكاني او الزمان اللازماني او المادة الغير المادية *

منها ان اعتقادنا ان لكل شي علة عقيدة نشات من الاستقراء فلابد ان ينحصر الحكم بوجود علة الحدوث لما يماثل ما استقريناه لاريب في انه شاهدنا الحدوث والتغير في الصور الطارية والحالات السانحة ماخلق حيوان الا طريان صورة جديدة على سالمات من المادة موجودة من قبل اذا خلق حيوان لا تخلق المادة التي خلق منها عند حدوث الصورة الشخصية الخاصة بذلك الحيوان بل تكون السالمات موجودة في صور اخرى فتهجر تلك الصور الموجودة و تقبل الصورة الشخصية المختصة بالمخلوق اذا نبتت نخلة لا تحدث المادة التي نبتت منها بل تحدث الصورة النخلية فقط و تقبلها سالمات من المادة الموجودة من قبل و ان خلقت مع كل خلق جديدة مادة جديدة خاصة بذلك الخلق كما حدثت

صورته الجديدة لا متلاء الفضاء من المادة و لضاق الجو من ان يسعها و ما شهدنا قط حدوثاً و خلقاً في المادة بمعني حدوثها من محض العدم و بحت الفناء و ايضاً ما شهدنا قط حدوث قوة و وجودها من صرف العدم فاذا انحصر مشاهدة التغير والحدوث في الصور والحالات و اذا انحصر الحادث فيهما انحصر الاحتياج الى علة الحدوث فيها يسوغ لنا ان نقول ان المجهول من الصور والحالات يفتقر الى علة الحدوث كما افتقر اليها ما شاهدناه من الصور والحالات ولا يجوز لنا ان نقول ان المشاهد من الصور الحادثة والحالات السانحة نجده محتاجاً الى علة الحدوث فلذا لابد ان يكون المشاهد و الغير المشاهد من القديم الثابت محتاجا الى علة الحدوث كذلك ان وجدنا المشاهد من المصنوعات البشرية كالبيت والسكين والقارورة والكرسي والقدر والقميص والفتحة وغيرها محتاجا في وجودها الى صانع بشرى يسوغ لنا الحكم بالاستقراء بان كلشيء من المصنوعات البشرية محتاج الى صانع بشرى الا انه لا يجوز لنا ان نقول ان كل شى من الموجودات سواء كان مصنوعاً بشرياً او مخلوقا الهيا محتاج الى صانع كصانع بشرى ثم نكفر منكر كليتها و نقتل من قال ان الزهرة لم يصنعها صانع يماثل الانسان او ان الشمس لم تصنع كالقدر و لوجاز بالاستقراء اطلاق حكم مشاهد فيه افراد معينة على ما لا يشارك تلك الافراد في الذاتيات التي عليها مدار الحكم لفشى الفساد و استناض العمى و بادت التجربة و اذن العلم بوداع لصح لمن اراد ان يفعل ان يشاهد النوم في افراد كثيرة من الانسان ثم يقول كلشيء ينام و ان يشاهد جما غفيراً من اهل العلم يخطب و يعظ ثم يقول ان كل حى حماراً كان او ضفدعاً و دودا كان او جد جداً يخطب و يعظ لاريب في ان من الاستقراء صحيحاً و باطلا الاستقراء صحيح اذ كان الحكم من المشاهد في الافراد الى كل ما يماثل تلك الافراد في الذاتيات التي

هي مدار ذلك الحكم والاستقراء باطل اذا كان الحكم من المشاهدة في الافراد الى ما لا يماثل تلك الافراد في الذاتيات التي هي مدار ذلك الحكم اليس من البديع ان نجد انما نشاهد من الصور والحالات فقط محتاجاً الى علة الحدوث ثم نؤول الى الظنون و نساجل في غياهب المجهول حتى نصل الى غاية الجهل عندها خير مما نحسبه علماً و نقول ان للشي قديما كان او حادثا و جوهرا كان او عرضا علة الحدوث و على هذا فما الفرق في قولنا ان لكل شي علة و ان لكل شي مسغبة و ان لكل شي جناحا و ان لكل شي منقاراً و ان لكل شي ذنبا و ان لكل شي ضحكا و ان لكل شي بطنا فسبحان الاشياء عما يصفون *

منها انه ان تبينا تعقل علة الخلق وجدناه اعجب من مطاعمة الغراب اهي موجودة ام معدومة عدما محضا لا سبيل الى الثاني لان المعدوم بالعدم المحض لا طاقة لنا بادراكه فكيف بالحكم عليه بانه علة الخلق لمعلول ولا سبيل الى الاول ايضا لانه ان فرضناها موجودة لزم ان نفرض لوجودها علة بحكم الكلية التي حصلناها بالاستقراء من ان لكل شي علة و ان قلتم ان علة الخلق قديمة لا يحتاج في وجودها الى علة قلنا ان سلمتم ذلك تركتم شطراً من كليتكم و اضطررتم الى ما عيرتمونا به من العجز من فحص العلة للقديم و بعد اللتيا والتي كيف عرفتم قدمها و لم تباشروها ولن تقدروا على ان تباشروها حتى يخالطها زائل حادث تفتقر اليه في ظهورها لحواسكم و مع فرض المحال من قدمها و قدرتكم على معرفتها كيف توصلتم الى الحكم بانها علة لمعلولها هل هي علة مادية له او فاعلية او صورية او غائية او الاثنتان منها او الثلث او الكل ليست الصورية والغائية من العلة في شي كما مر بيانه في الفصل السابق فبقي ان تكون مادية فقط او فاعلية فقط او كلتيهما لا سبيل الى ان تكون احديهما فقط لانها ان كانت واحدة كانت علة ناقصة او افتقرت

الى الاخرى و ان كانت كلتيهما لم تكن الا ما سميناها مادة ذات خواص و بعد نزولها الى المادية المشفوعة بالخواص زالت منها الوحدة* التي هي قصارى المشتقين لها و ما زالت الوحدة فقط بل افتقرت لكونها معلومة لنا الى تعينات حادثة التي ان منخصناها منها لصارت تعقلا انتزاعيا لاوجودله في الخارج كتعقل الصورة واللون و الانسان والحيوان وغيرها *

و ان قلتم نعتقد ان للعالم علة خالقة لانعرفها ولانعرف عددها ولانعرف كيف خلقت تلك العلة العالم قلنا هذه عبارة اخرى لبيان الجهل الذي نحن و انتم فيه سواء ومع مشاركتكم ايانا في الجهل والعجز بيننا و بينكم فرقا نحن لانتجاوز تخوم علمنا ولانشراب لما ارتبج علينا و انتم تخبون في ظلمات بعضها فوق بعض وتقتحمون في بطون اعماق لايعرفها الا الله و بعد تلك العقبات التي اهونها اكاد ما يكون ما ادريكم بها و ما حداكم الى الحكم بانها هي علة الخلق و ما شهد تم قط خلقها لمعلول لها ولاعرفتم كيفية اثرها وعملها عند الاخذ في الخلق و مع تلك الجهالات المطبقة المركومة كيف ساغ لكم مثل هذا القول و ان جاز لكم مثل هذا لجاز لمعارضكم ان يقول ان هذا الكتاب الذي انت مطالعه قد خلقه تعقل الجهل ولكن لا اعرف كيف خلق او يقول ان الحديد خلقته العنقاء واني لعالم انها لهي التي خلقت الحديد لكن ولا اعرف كيف خلقت ولعمري لهو من اغبى السفاهات و اشد ما يكون من الجهل المركب *

هذا ما نصل اليه اذا تاملنا في معنى علة الخلق من جهة كونها موجودة في الخارج و اما اذا تفكرنا في العلم الذي اوتيناه وجدناه مختصاً بادراك علة الحدوث فهو قادر على ادراك علة الخلق قد ذكرت في الفصل السابق ان حواسنا لها اعمال مخصوصة لا تشم العين ولا تذوق اليد ولاتسمع الانف و بعد الاختصاص بالاعمال الخاصة لقدرة الحواس غاية لا تعدوها ترفع اليد من رطل الى ارطال ولكن لا يدلها

بوقع الطوز و تسمع الاذن من ذراع الى اميال اذا على الصوت الا انه لاقدرة لها على السمع بعد ان تحول بينها و بين منشاء الصوت بالغا ما بلغ من الشدة الوف اميال وكذلك علمنا يتعلق بعلة الحدوث ويدركها ولكنه لاطاقة له بان يتعلق بعلة الخلق مثل ادراكنا الاثار كمثل الما شيء على سقف يمكن له السير الى منتهى السقف في اي جهة شاء ولكن لا سبيل له الى ان يتجاوز المنتهى و يطاء الفضاء و ان فعل ذلك صار ساقطا على الارض بعد كونه ماشياً على السقف لابد لما شي مما يستقل بحمله و يكون موقفالقدمه و ان فقد الموقف فقدالمشى معه كذلك المدرك اذا راي شياً و طلب اصله يمكن له المصير الى مادي محسوس يقف عنده و يشاهد من موقفه تغيرات طارية على ذلك الموقف و ان عبره عبر الى موقف اخر لا يمكن ان يعبر الى ما ليس بمدرك محسوس و ان فعل ذلك زال عن موقف الادراك وهوى في الفجوات المدلهمة من عدم الادراك لا يخفى على البصير الذي له مسكة في علم النفس ان ما اعطيناها من قوة الادراك اعطيناها لتكون معينة على جلب الخير و صرف الشر بعد ادراكها والامتياز بينهما و حيث يحدث كل من الخير والشر بعد حدوث حادث سابق يتلوه ذلك الخير او الشر لابد ان نعرف ذلك الحادث السابق و ان نعرف انه سوف يحدث بعده حادث هو ضارلنا او نافع وان نستيقظ و ننهيء علي جلب اللاحق ان كان خيراً و صرفه عنا ان كان شرا ولا سبيل الى هذالعلم بدون معرفة علاقة العلة والمعلول بين الحادثات ولذا اوتينا معرفة علاقة العلية بين الحادثات و اما علاقة العلية الخالقية فلا تفيد لنا ادراكها في طلب الخير و ازاحة الشر *

منها ان تعقل علة الحدوث تعقل بلغناه بادراك المحسوس من العلل المحدثة و ادراك اثرها في حدوث المعلولات الحادثة ندرك بيضة ثم نراها حيوانا و ندرك نواة ثم نجدها نخلة و ندرك ذرات مائية

ثم نجدها مطرا و ان تعقل علة الخلق تعقل غير حاصل من الاحساسات الجزئية ماشهدنا قط شيا يسمى علة الخلق و ما شهدنا اثرها في وجود المعلول او حدوثه ولا ندري .ما حملنا على الحكم بوجود علة الخلق وعلى الاعتقاد بانها موجودة و بان لها اثراً في المخلوقات مشاهدة توقف عدة من المعلولات الحادثة على علل الحدوث ثم الطمور من هذه المشاهدات العديدة الى الاعتقاد بان كل شي محتاج الى علة الخلق من غير بيان المراد من الشي وغير بيان المراد من الاحتياج و غير بيان المراد من الخلق طمور من حق الى باطل كل شي محتاج الى علة الخلق كلم مولف من مفهومات لا تجتمع ولا يخفى ايضا انه تدمر في حصل الادراك ان من التعقل حقا و باطلا يكون التعقل حقا ان جردناه من المحسوسات الجزئية الموجودة في الخارج مثل تعقل الانسان و تعقل اللون وتعقل الحدوث ويكون التعقل باطلا ان كان مجردا مما لم تدركه من المحسوسات الجزئية و لا يتجاسر جسور و ان اغرق في جسارته ان يقول انه احس بافراد معينة واقعة في علاقة علية الخلق من المخلوق ثم جرد منها تعقل علة الخلق ان كان ممن يميز بين الحق والباطل لاعترف ان مشاهدة افراد من علل الحدوث او تعقله في مثل هذا الغلط *

منها ان الكيفية والكمية مفهومان مختلفان ان اردنا ادراك كيفية زرع الحنطة وحصادها راقبنا فلاحا وكنا معه مشاهدين لجملة ما يصنع من حرث الارض ونشر البذر و سقي الزرع وغيره من الاعمال المحتاج اليها والسابقة على حصاد الحنطة و ان اردنا ادراك كيفية بناء القصر لازمنا بناء وكنا ناظرين الى جملة ما يصنع من جمع الجص واللبن وحفر البنيان ورفع القواعد والجدران والتسقيف والطلس و غيرها من الاعمال المطلوبة او اردنا ادراك كيفية صنع السرير او الخبز او الطعام اوز العطريات او الحلى وجدنا في جملتها ماديات موجودة من قبل مع خواص مختصة بها وشاهدنا اعمالا صادرة من الصانعين يتداولون بايديهم

العلاقات المكانية الموجودة في الماديات الموجودة و تحدث بالتبدل في العلاقات المكانية الاشياء المطلوبة لا يخلق صناع مادة جديدة ولا يخلق كذلك قوة جديدة يمزج فقط بحركاته الارادية الاشياء الموجودة في كل واحد من الامثلة نشاهد ماديات موجودة و نشاهد افعالا خاصة تبدل العلاقات المكانية بين الماديات و نشاهد تواليا بين الاشياء والافعال و نشاهد نتائج تترتب على ذلك التوالي لايعنينا في مشاهدة الكيفية الا مشاهدة التوالي في العلاقات المكانيه المتبدلة بالحركات الواقعة على الماديات لا نسئل من اين جاءت الماديات او من اعطاها الخواص المقررة او لما تصدر الافعال من الفاعل نقنع بمشاهدة التغيرات الحادثة بامتزاج الماديات بالحركات فالمراد بادراك كيفية حدوث شى ادراك علل حدوثها و ادراك تغيرات حادثة في العلاقات المكانيه بين تلك العلل حتى تصير معلولا حاولنا مشاهدة كيفية حدوثه هذا و ان سئلنا الطابخ لما طبخ الحلواء طلبنا تارة بيان غرض كامن في صدر الصناع و مغائر للحادث المتكون بعد صدور الافعال الارادية من الصناع و اذا طلبنا هذا الشى الكامن لا يكون مما يوجد في الخارج و يدرك بالحواس و يمتنع ان يكون سبباً خارجياً للمعلول ولا يجد موضعا في سلسلة مولفة من علل الحدوث والمعلولات الحادثة بل يكون شيا لا علاقة له بعلل الحدوث او المعلولات الحادثة *

و اعلم ان مايكون مقولا في جواب لما لاينحصر في بيان هذا الغرض الكامن الذي لا وجود له في الخارج بل ربما يكون الجواب شاملا على بيان حادثة تحدث بعد وجود ما اردنا لميته مثلا اذا راينا فلاحا يحرث الارض و سئلنا لما يحرث الارض و كان الجواب يحرث ليزرع فيها يكون الجواب في هذه الصورة كاشفاً لا لالغرض كامن في صدر الفلاح الذي لا نستطيع ان نشاهده بل مبينا لحادثة الزرع التي تحدث بعد تكون حادثة الحرث التي طلبنا لميتها راينا فلاحا مشغولا في فعل ارادي

اي الحرث و كنا عارفين بالتجربة من قبل ان الافعال الارادية لا يرتكبها عاقل الا لان يحصل منها مقصود اريد حدوثه فاردنا لاعرف المقصود في هذه الصورة و اخبرنا انه الزرع *

و اعلم ان الملازمة بين الحادثة الموجودة التي تطلب لها والحادثة التالية التي لتكونها يحدث الفاعل الحادثة الموجودة ربما تكون عرضية اتفاقية اولازمية و ربما تكون ذاتية و ضرورية ان كانت الملازمة ذاتية كان الناظر مشاهداً لعلة من علل الحدوث و كان طالبا لبيان المعلول الحادث فالمعنى الاصلي للسوال في هذه الصورة هكذا اشاهد حادثة موجودة ولا اعرف المعلول الذي يريد الفاعل ان تكون الحادثة المشاهدة من علل حدوثه فاخبر في بالمعلول و قد يكون المقول في جواب لما شاملا على بيان ما دعي الفاعل الى الاشتغال بالحرث من غير اعتناء بحادثة تتلو الحادثة التي شغلته مثلا ان سئلنا فلاحا يحرث لما تحرث و قال لان السيد قدامرني لا يكشف الجواب عما يصير معلولاً حادثاً للعلة المحدثة التي نجده فاعلالها بل يكشف عن باعث سابق على الحرث وداع الفلاح اليه ليس هذا الداعي من معلولات الحرث في شي بل هو من علل علل الحدوث بواسطة او وسائط للافعال الارادية التي يحدث منها الحرث في هذه الصورة اذا امر سيد عبده ليحرث الارض كان الامر داعيا الى الحرث ان كان العبد مطيعا لسيده و خائفا من عذابه و راجياً لنواله و كان سببا ناقصا بعيداً للحرث و كان حدوث الحرث باعتبار العبد لا لان يترتب عليه الزرع ولا لان يكون سببا للمعلول الحادث بعده بل يكون معلولا لخوف العبد عذاب السيد او لطلبه صلته و يكون العبد في هذه الحالة كالة اخرى من الات الفلاحة التي لاارادة لها ولايكون حرثه معللا بالغرض المعتاد الذي يطلب من الحرث بل يكون معلولا لصيانة حياته بطلب النعمة او وقاية النقمة و قد يكون المقول في جواب لما كاشفا من علل الحدوث لحادثة قد حدثت

اذا سئل سائل مثلا حين رأى قارورة منكسرة لما انكسرت و اجابه من كان حاضراً عند انكسارها لان الغلام عثربها فوقعت على حجر و انكسرت كان الجواب شاملا على بيان علل الحدوث لانكسار القارورة و بالجملة فالمقول في جواب لما قد يكون (١) غرض كامن في صدر الفاعل لايمكن ان يكون مشاهداً بالحواس ولا يكون معلولا للحادثة التي نشاهدها موجودة بعمل الفاعل المريد ولا علة لها (٢) سبب مؤثر في خوف الفاعل او رجائه داع له على اصدار الحركات الارادية التي تصير علة ناقصة لحدوث الحادثة التي نشاهدها موجودة (٣) معلول حادثة لعلة الحدوث التي نشاهدها موجودة و يذكر لذا المعلول الخاص الذي سوف تصير تلك العلة في صورة ذلك المعلول الخاص (٤) علة الحدوث لمعلول حادث نشاهده و نريدان نعرف القريب من علل الحدوث التي تآلفت حتى حدث ذلك المعلول او بعبارة اخرى يطلق الغرض على كيفية نفسانية مستترة في صدر من له ارادة تحدوه على الاشتغال بحركات ارادية عرف لها بالتجربة مدخل في تكون مطلوب خاص و يطلق على امر تصدر من امر مريد لما مور مريد يبعث الما مور على عمل افعال ارادية يحتاج اليها المعلول المعين يريد الامر حدوث ذلك المعلول و يعرف ان حدوثه محتاج الى افعال ارادية معينة و يعرف ان الاشتغال بها متعبة او مهنة فيامر مريداً اخر و يقيم لافعال ارادية صادرة من الما مور مقام الافعال الارادية التي كانت حرية بان تصدر من الامر و يطلق على معلول حادث تصير علة الحدوث المشاهدة من علل حدوثه و يطلق على بعض من علل الحدوث للمعلول المشاهد *

و اطلاق الغرض المقول في جواب لما في بعض الصور على علل الحدوث هوالذي هوى بكثير من الناس في مهاوي الغلط والخلط فحسبوا ان الكيفية والماهية متحدتان في المعني كما حسبوا ان علة

الحدوث و علة الخلق متحدتان و ان تفكروا وجدوا ان الكيفية مما يشاهد و ان الميتة مما لا نشاهد كيفية الحدوث مسير مادة موجودة من قبل في صورة واحدة معينة او في صور عديدة الى صورة معينة لم تكن موجودة من قبل بل طرت على المادة الموجودة من قبل بعد زوال الصور الطارية عليها دفعة او بالتدريج تكون سالمات من المادة موجودة في صورتي الحار والرطب ثم بالتركيب الكيميائي تهجر تلك السالمات صورتي الحار والرطب و تقبل الصورة المائية فان سئلنا عن كيفية حدوث الماء قلنا حدث من اللف الكيميائي بين الحار والرطب و كذلك اذا لففنا سوديم وكلورين في المقدار الخاص حصل الملح و ان سئلنا عن كيفية حدوث الملح قلنا ان سالمات من المادة كانت موجودة من قبل بعضها في صورة سوديم والبعض الباقي في صورة كلورين و كنا نحسها و نجد خواصها ثم لففنا تلك السالمات فحدث الملح كذلك ان سئلنا عن كيفية حدوث الصداء قلنا ان مقداراً معينا من الحار امتزج بمقدار معين من الحديد فحدث الصدء ذكرنا في نفس الامر صورتين كانتا طاريتين على سالمات من المادة ثم ذكرنا ان تلك السالمات اعتاضت باللف الكيميائي صورة واحدة حادثة من صورتين حادثتين ان افرخنا جماماً ثم بحثنا عن كيفية حدوثه وجدناه خلق من بيضة و ان راقبنا كيفية حدوث الفرخ من البيضة من حين وضعه وجدنا ها بالاجمال كذلك وجدنا ان البياض الموجود في البيضة يصير بالتدريج حيوانا و يغتذى على الصفرة و اذا قضى اجله في البيضة كسر قشرها و خرج منها فرخا سالما لانرى في كيفية الحدوث الا حالات متتابعة و صور متواترة يتبع بعضها بعضا على ما هو ثابت بالذات مشاهد بالحواس كدود معلوم يصير ديكامرة و سرطاناً اخرى و فرسا ثالثة و بقا رابعة او كحسنة تطير مرة في حلة حمراء و اخرى في خضراء و ثالثة في بيضاء لا نجد عند مشاهدة كيفية الحدوث خلا تغيرات صورية و تقلبات حالية في المادة

تحصل منا تحلي بها ثم تتركها و تذهب عنها و تبقى المادة كما كانت
و تفنى الصور والحالات والفرق العظيم المشاهد في المولفين الحاصلين
من المادة الواحدة والصورتين المختلفتين في وقتين مختلفين يخدعنا
فنحسب ان الجودة ليست في الصورة فقط بل المادة الموجودة في كلي
المولفين ايضا مختلفة كالاختلاف في الصورة *

و اعلم انه اذا بحثنا عن كيفية الحدوث رقينا من معلولات
حادثة الى علل محدثة و راقبنا اطوار تظهر في المادة الموجودة من
قبل باثر القوة الموجودة ايضاً من قبل نعطى طيناً و بناءً و نرى بيوتا
و قصوراً و بروجاً و مساجد و كنائس نرى اثار عمل البناء في الطين
فنعرف بالتجربة انه يصنع اللبن كذا و كذا و يرفع القواعد كذا و كذا
لانخوض فيما اتى بالطين من محض العدم الى الوجود ولا نسئل عمن
خلق البناء ولا نقول لما يعمل البناء في الطين و لما يصنع القصور و لما
تصلب اللبن بالنار و لما يلزق الجص باللبن و اذا طلبنا العلم كنا طالبين
لشيء لا نراه ولا نقدر على ان نراه نسئل مثلا من خلق المادة من العدم
و من خلق القوة من العدم و من جعل المادة مظهراً للقوة و من اعطى
الاشياء خواصها و ذاتياتها من خص السكر بالحلاوة والحنظل بالمرارة
والارض بالجذب والشمس بالحرارة والحرير بالملاسة والنورة بالا كالة او
غيرها من المسائل التي ارتج علينا بابها و اسدل دوننا حجابها نقدر
على ادراك كيفية الحدوث ولا نقدر على ادراك لمية الحدوث
من شرائط الادراك كما مر وجود المدرك في الخارج و حيث توجد
كيفيات الحدوث في الخارج نقدر على ادراكها و اما لميات الحدوث فلا
نجدها في الخارج و من ثم لا نقدر على ادراكها نعرف انا نجد السكر
حاليا ولكن لا نعرف لما نجده كذلك نعرف ان النار يحرقنا امسها و لكن
لانعرف لما يحرق نعرف ان الحرارة المعتدلة يعين الناميات في نموها
و لكن لا نعرف لما تعين نعرف ان الهواء والرطب يصيران باللف

ماء ولكن لا تعرف لنا يصيران ماء ولا يصيران خمراً نعرف ان الحديد بالللف الكيميائي بالغار يصير صدأ ولا يصير زيتاً كيفية الحدوث اثر محسوس نحسها بالحواس فنعرفها و لمية الحدوث شيء غير محسوس لا نحسها بالحواس ولا نعرفها ادراك كيفية الحدوث نافع لنا في وقاية شر الحادث و طلب خيره و ادراك لمية الحدوث ليس بنافع لنا و ان كنا قادرين على ادراكها *

العالم مشحون من سلاسل لا تحصى من علل الحدوث و معلولاتها الحادثة تسبق علل الحدوث ثم تتلوها المعلولات الحادثة الاموات تتلو الاسقام و الاوجاع تتلو الكلوم والخيبات تتلو الاغلاط والمساعي تتبعها اللذات والاجتهادات تقفوها الفوزات و من المعلولات الحادثة التي تردف العلل المحدثة ما تكون نافعة لنا و منها ما تكون ضارة فاذا ادركنا وجود علل الحدوث لبعض المعلولات الضارة و علمنا بالتجربة ان تلك المعلولات سوف تقع نفعنا ادراك علل الحدوث في الكون على حذر من وقوع الضار و امكن لنا التوسل بالاسباب الدافعة لتلك المضرات او التوقي من اثرها كذلك اذا ادركنا علل الحدوث لبعض المعلولات النافعة و علمنا بالتجربة ان تلك الحادثات النافعة وشيك وقوعها كنا بمقام من الاستعداد لتلقيها وقبولها حين وقعت ولا سبيل الى مثل هذا الاستعداد و التهيوء في علة الخلق لانا نحس فيها المخلوق فقط ولا نقدر على احساس علة الخلق قبل احساس المخلوق و من ثم لانقدر ان نجعل عرفانها وسيلة الى جلب النافع من مخلوقها والفرار من الضار مما خلقتها ادراك علل الحدوث نافع لاخبارها ايانا بان المعلولات الحادثة قريب وقوعها فكونوا على حذر من ضارها و بموقف القبول لنا فعها ولا توذن علة الخلق بمثل هذا لانها لا تكون مدركة قبل وجود المخلوق الضار او النافع فلا ينفع ادراكها ثم اذا فرضنا علة الخلق علة تامة قديمة المخلوقات وجدت

معلولاتها معها من القديم وما حصلت فائدة من معرفة علاقة العلة والمعلول بينهما و بين معلولاتها بعد فرض المحال من القدرة على معرفتها *

منها انه اذا رقينا من معلول الى علة الحدوث له ثم الى علة العلة و علة علة العلة حتى وصلنا الى العلة الاولى للحدوث لاتنقلب تلك العلة الاولى او السبب الاول الى علة الخلق بل تبقى علة الحدوث و تكون محسوسة مدركة بالحواس و الزعم بانا اذا رقينا في سلم العلل المحدثة انتهى بنا الغاية الى علة الخلق من المزعومات الباطلة اذا اخذنا سلسلة من علل الحدوث فاولها لابد ان تكون علة الحدوث كاخرها ولا يجوز ان تصير الاولى بمحض وقوعها في الجهة العالية من السلسلة شيئاً آخر *

و اعلم ان كثيراً من الناس كما ينسبون كل شي سواء كان حادثاً او قديماً الى علة الحدوث و يعتقدون ان القديم مع قدمه فقير الى علة الحدوث مثل الحادث المضطر اليها كذلك يزعمون ان من الحادثات مايحدث من غير ان تكون له علة الحدوث اذا قيل لهم نزل الغيث من غير ان تسبقه العلل المحدثة او احترق الخشب من غير ان تمسه النار او انجمد الماء من غير ان اصابه برد او خيطت حلة من غير ان خاطها خياط او بنى قصر من غير ان رفعه بناء او صيغ خاتم من غير ان صاغه صائغ او نبت شجر من غير ان سبق نموه من العلل المحدثة له او ولد حيوان من غير ان يوجد قبله صلب ورحم وغيرهما مما لابد من وجوده قبل حدوث ذلك الحيوان قالوا امنا و اطمانت قلوبهم بما سمعوا ما يشهدون الا طائفة من الحادثات فقط ثم يجيئون في جهة فيفرطون و يتجاوزون الحد الصحيح و يعتقدون ان لكل شي حادثاً كان او قديماً علة الحدوث ثم يجيئون راجعين الى جهة اخرى فيفرطون و يقصرون دون حد الصحيح فيعتقدون ان من الحادثات ما يقع من غير ان تكون له علة الحدوث يرومون الاستنباط بالاستقراء فيقعون في محالين احدهما ان

القديم محتاج الى علة الحدوث و هو ليس بممتنع فقط بل خلاف لمفروض المعتقد اذا اثبت علة الحدوث لمعلول اثبت الحدوث له و اذا اثبت القدم له ازيل الحدوث عنه والقول بان المعلول الواحد قديم حادث تناقض صراح و ما ارتكبه قائل ان راه الا انه توارثه الالفاظ التي لم يصل الى معانيها الصحيحة ثانيهما ان بعضاً من الحادث لا يحتاج الى علة الحدوث و هو ايضا ليس بممتنع فقط بل خلاف لمفروض القائل اذا فرض شيا حادثا و فرض حدوثه من غير ان تكون له علة الحدوث اعتقد ان الحادث بمحدث من غير ان يكون له محدث والحادث الغير المحدث لا يمكن تعقله كما لا يمكن تعقل القديم الحادث لان الغير المحدث ليس الا عبارة اخرى للقديم *

ثم ان كان مثل هذا الاستقراء جائزاً و قلنا بان بعض الحادثات يقع من غير المحدث لما لا يجوز الاعتقاد بان كل الحادثات يقع من غير علة الحدوث و ان قال قائل بان بعض الحادثات الذي يحدث من غير علة الحدوث فيه خصوصية توجب حدوثها من غير علة الحدوث فعليه بيان تلك الخصوصية و مع تسليم تلك الخصوصية التي هي اخت العنقاء لا تخلو من ان تكون قديمة او حادثة ان كانت قديمة كيف تكون خاصة لحادث و ان كانت حادثة احتاجت الى علة الحدوث و اذا كان المتقوم لذات الشي محتاجا الى علة الحدوث كان الشي محتاجا اليها او ليس من البديع ان يكون المعتقد بان لكل شي قديما كان او حادثا علة الحدوث يكون معتقداً ايضا بان من الحادثات ما لا يحتاج الى علة الحدوث ويذكرني صنيعه حكاية جحى اخا انسانا و دعاه الى طعام صنع له و كان اليوم بارداً فاذا استقر بالانسان المجلس في بيت الجحى اخذ ينفخ في كفيه يستدفىء فاستغرب الجحى و قال مالك تصنع هكذا فقال الانسان اجد اصابعي قد اصابها برد شديد و انا احميها بالنفخ فعذره الجحى ثم بسط الجحى المائدة لضيفه و اتى بمرق حار و اومى الى صاحبه بالتناول

منه فطفق الانسان مرة اخرى ينفخ في الصحفة فتلكر الجني و قال مالك الان تنفخ في المرق فانه اشد حرارة من ان تحميه بالنفخ فقال الانسان اجد المرق حاراً فابرده فقال الجني هذا فراق بيني و بينك مالي في مواخاة رجل يبرد و يسخن بفم واحد و تحملني هذه القصة على ان اقول مالي و للمشاركة في الانسانية برجل يثبت علة الحدوث و ينفيها بعقل واحد ولا يكتفي بايجاب العلة لما تكون له علة بل ينسب اليها ما يمتنع ان يكون منسوبا اليها ثم بعد ذلك ينفي العلية مما يستحيل ان يوجد بغيرها يعتقد بمعلولية القديم و يعتقد ايضا بعدم معلولية الحادث *

خلاصة ما مر في الفصل

(١) العالم ليس بثابت *

(٢) العالم ليس بعالم الاتفاق *

(٣) العالم عالم الاسباب *

(٤) العالم يعرض علينا (الف) اللمس (ب) الطعم (ج) الشم (د) السمع (ه) النظر (و) التعاصر (ز) التوالي (ح) الاشياء (ط) العلاقات المكانية *

(٥) المادة والصورة والزمان والمكان تعقلات جردناها من المحسوسات *

(٦) التعقلات موجودة في الخارج باعتبار و في الذهن فقط باعتبار اخر *

(٧) التوالي تبعث على اعتقاد العلية *

(٨) المحسوسات مولفة من القديم والحادث *

(٩) قولنا العالم حادث حق ان اردنا بالعالم الجزء المتغير الحادث منه *

(١٠) قولنا العالم حادث باطل ان اردنا به الجزء الثابت او المولف منه و من الحادث *

(۱۱) الحادث فقط لا يمكن ان يوجد وحده *

(۱۲) العلة علتان علة الحدوث و علة الخلق *

(۱۳) علة الحدوث ما يتوقف على وجودها الخارجي حدوث المعلول ذاتا و ضرورة *

(۱۴) علة الخلق ما تاتى بالمخلوق من محض العدم الى الوجود او تكون سببا لتوقف المعلول على علة الحدوث *

(۱۵) علة الحدوث و علة الخلق مفهومان متغائران *

(۱۶) القديم لا يحتاج الى علة الحدوث *

(۱۷) الحادث يحتاج الى علة الحدوث *

(۱۸) العلوم الطبيعية تقتصر على البحث عن العلة المحدثة *

(۱۹) قولنا لكل شى علة كلية حصلت بالاستقراء فلابد ان ينحصر فيما استقريناه *

(۲۰) تعقل علة الحدوث تعقل حاصل من المحسوسات *

(۲۱) تعقل علة الخلق تعقل لا يحصل من المحسوسات *

(۲۲) كيفية الحدوث و لمية الحدوث مفهومان متغائران *

(۲۳) ندرك كيفية الحدوث ولا ندرك لمية الحدوث *

(۲۴) ينفعنا ادراك الكيفية ولا ينفعنا ادراك اللمية *

(۲۵) علة علل الحدوث و سبب الاسباب المحدثة لا تكون الا علة الحدوث ولا نصور علة الخلق *

(۲۶) يمتنع ان يحدث حادث من غير علة الحدوث كما يمتنع ان يكون قديم معلولا بعلة الحدوث *

تتمة

لعلك تزعم مما مر في الفصول السابقة من مبحث العلة والمعلول ان مرمای غرض توصل اصابته الى نفي الواحد الواجب كلا ثم كلا ما اريد الا نفي المعلومية عنه بعلم بشرى متعلق بالمحدودات بالمكان والزمان

و حادث بمباشرة الحواس بالمحسوسات لاسلب الوجود المطلق اقول وحقا اقول انه موجود بوجود مطلق لا يحيط به علمنا وموصوف بصفات هى عين ذاته لا تدركها عقولنا ان كان موجوداً بوجود احاط به علمنا كان محدوداً و ان كان محدوداً كان مخلوقا لا خالقا و ان فرضناه منعوتا بنعوت تدركها عقولنا كانت ذاته مدركة بادراک ما هى عين الذات و كان مقيداً و ان جعلناه مقيداً سلبنا عنه الكمال المطلق والوحدة الغير الاضافية و لعل ما قلته من نفى المعلومية مع وجوب الوجود يدعوا الى شاف من البيان ومقنع من التوضيح *

اعلم ان من الوجود ما يتعلق به الادراک و مالا قدرة للادراک ان يتعلق به و ليس كل مالا يدرک بعينه او باثره معدوم في نفس الامر ان ادرنا خذروفا نراه متحركا و نعلم ان الحركة فى الهواء لا بدلها من ان تحدث صوتا و مع ذلک لا نسمع لدريره صوتا ان تم شوطا او شوطين الى سبعة اشواط فى الثانية لا بمعني ان الصوت معدوم بل بمعنى انه موجود الا ان القابلية في اسماعنا لادراكه معدومة ثم اذا زدنا سرعة الخذروف و بلغ عدد الاشواط ثمانية في ثانية شرعنا في سماع الصوت للدريرة لا بمعني ان الصوت حدث اول مرة بل بمعني انه بلغ فى العلو رتبة تكفى لقرع صماخنا الغلة كان التموج فى الهواء لحركة الخذروف موجوداً قبل ذلک و كان معلوله اى الصوت الحادث ايضا موجوداً الا انه كان اخف من ان يوثر السمع الثقيل و يجعل الموجود مسموعاً ثم ان زدنا في سرعة الخذروف فزاد عدد الاشواط في ثانية على الثمانية و بلغ عدداً معلوما يزول سماع الصوت للدريرة مرة اخرى لا بمعني ان التموج فى الهواء قد سكن و ان معلوله من الصوت الحادث قد سكت بل بمعني انه جل صوته عن ان يدرک بالاسماع المتناهية فى الجودة والكمال العلة التامة للصوت مع قطع النظر عن قدرة السمع اى التموج في الهواء الحادث من حركة

المخذروف موجودة و مع وجود العلة التامة معلولها من الصوت الحادث موجود ضرورة و مع وجوده لا يدرك لفقد ان الاستطاعة في الاسماع لادراكه. و منه يظهر أن قدرة اسماعنا محدودة في طرفيها ان فرضنا لحركة المخذروف امتدادا زمانيا و عبرنا عنه بالطول و فرضنا للصوت الحادث بالحركة امتداداً و عبرنا عنه ايضا بالطول لابد ان يكون طول الصوت الحادث مساويا لطول الحركة لان الحركة في الهواء كما قلنا انها علة تامة للصوت الحادث و مع وجود العلة التامة يجب وجود المعلول و يطابق امتداد الصوت الحادث بامتداد الحركة الموجودة في المخذروف في طرفيه يبتدء الصوت الحادث بابتداء الحركة المشاهدة و ينتهى الصوت الحادث بانتهاء الحركة المشاهدة هذا في امتداد الصوت الحادث و اما امتداد الصوت المسموع فنجده اقصر من امتداد الحركة المشاهدة في المخذروف في طرفي الابتداء و الانتهاء نشاهد في جهة الابتداء حركة للمخذروف ولانجد صوتا مسموعا و كذلك نشاهد للمخذروف حركة في جهة الانتهاء ولانجد صوتاً مسموعا يقع امتداد الصوت المسموع فيما بين الامتداد من الحركة المرئية و كما يقصر امتداد الصوت المسموع في طرفيه من امتداد الحركة كذلك يقصر في طرفيه من امتداد الصوت الحادث الذي يساوي في الامتداد الحركة يكون الصوت الحادث موجوداً في جهة الابتداء ولا يكون هناك صوت مسموع و كذلك يكون الصوت الحادث موجوداً في جهة الانتهاء ولا يكون هناك صوت مسموع و يحدث عدم الادراك مع الوجود لفقدان القوة في السمع لدقة الموجود او اجلاله و يوضح هذا المثال المذكور ان الموجود والمدرك مفهومان غير متساويان و ان بينهما عموما و خصوصاً مطلقاً كل ما هو مدرك بالحواس موجود بالضرورة و كل ما هو موجود ليس بمدرك بالحواس ضرورة عدم الادراك كما قد يكون لعدم الوجود كذلك قد يكون لعدم القدرة في

الحواس هذا اذالم يبلغ الصوت الموجود في العلو درجة يصير معها عما من شانه ان يكون صوتا مسموعا او ان يفوت الدرجة التي يسمع معها و قد يقع ايضاً ان الصوت الموجود يبلغ في العلو اعلى مدارج السامعة الا ان السامع يكون منغمسا في احساس اخر فلا يمكن له سماع صوت عال اضرب لك هنا امثالا اخر وارجوها تؤيد ماقلته انشاالله اعصاب اللمس منبسطة في الجلد فقط فاذا مس جلدي شي وجدت في نفسي كيفية اعبر عنها باللمس اما اذا كان الجسم المتصل بالجلد اخف ما يكون واتصل به محض الاتصال من غير غمز لا يحدث احساس اللمس ثم اذا اخذ المتصل بالجلد في الغمز اخذت في الاحساس و صرت عارفاً من خشونة المتصل وملاسته و حره وبرده ثم اذا زاد المتصل في الغمز و زاد حتى جاوز الاعتدال و بلغ الضغط اوالشدخ فقدت حس اللمس و ماكنت قادراً على ادراك مس المتصل و ملامسة اتصال الجسم بالجلد مع قطع النظر عن قدرة اللامس علة تامة للامس الحادث و من ثم امتدادا اللمس الحادث ينطبق على امتداد الاتصال في طرفيه اول اللمس الحادث باول الاتصال و اخره باخره و اما امتداد اللامس المحسوس فيكون اقصر في طرفيه من اللمس الحادث يكون اللمس الحادث موجوداً مع الاتصال ولا يصير محسوساً بالحاسة ومايتفق للصوت بعد بلوغه علواً يهب النائم ان لا يسمع لانغماس السامع في امر اخذ بقلبه يتفق للمس الحادث قد يصيب احدنا جراحات في الحرب ولا يشعر بها عند الاصابة لانهماكه في الحرب الحلاوة من ذاتيات السكر وكثيره و قليله فيها سيان لا يمكن لنا الاعتقاد بان كثيره حلو وان قليله ليس بحلو ومع ذلك اليقين اذا وضعنا ذرة واحدة منها على اللسان لانجد للذرة حلاوة لا لان ذاتيات السكر سلبت من الذرة للقلة بل لان العصب الذائق محتاج الى اكثر منها لادراك الحلاوة الحلاوة موجودة الا انه لايدركها الذائق لفقدان الجودة المحتاج اليها لادراك ذلك المقدار القليل .

كذلك ان اخذنا ذرة واحدة من ذي عرف وقربناها من الانف لانستطيع ان نجد العرف لا بمعني ان العرف معدوم بل بمعني ان القوة الحديدة المطلوبة لوجدانها مفقودة اذا سوى احد عينيه لينظر الى ما هو على اربعة اذرع منه يكون الواقع على ذلك البعد جليا واضحاً و يكون ما دونه في البعد وما ورائه غير جلي لا لانه غير جلي في نفس الامر بل لان العين في هذه الصورة لا تدركه جليا ان كتبنا بيتاً على قرطاس و سئلنا احدنا لينظر اليه من ابعاد مختلفة يكون امتداد الابعاد التي يرى معها البيت واضحاً اقصر من امتداد الابعاد التي يرى معها سوداً على بياض و يكون امتداد الابعاد التي يميز معها السواد من البياض اقصر من امتداد الابعاد التي يرى معها القرطاس من غير امتياز بين السواد والبياض و ان بعد القرطاس و بعد بلغ بعداً لا يمكن ان يرى معه و مع كونه غير مبصر لا يصير غير موجود ايضاً يكون موجوداً لا يقدر على ادراكه بالبصر اذا وضعنا مثقالا من المسك الاذفر في حجرة تضوع رياه في الحجرة و ملاتها ذرات صغيرة من المسك انفصلت منه و خالطت بالهواء الموجود في الحجرة نعلم عين اليقين ان تلك الذرات الصغيرة الوف الوف منها موجودة في هواء الحجرة و انها هي التي تغمز العصب الشام فنجد طيب المسك الا انها مع وجودها في هواء الحجرة لانقدر على مسها او رويتها و مع عدم القدرة على المس والروية نقطع بوجودها هناك كما نقطع بوجود انفسنا هناك *

الامثلة المذكورة تنطق باعلى صوتها بان هناك موجودات بوجود محدود بالزمان والمكان . والكم والكيف و مع كونها منعوتة بمثل هذا الوجود المقيد لا قدرة للادراك البشرى ان يتعلق بها لنقص جودته و قصر مجاله و كما ان هناك موجودات بوجود مقيد مشخص لا قدرة للمشاعر ان تقع عليها كذلك هناك موجودات او جزئيات من موجود واحد او اجزاء منه هي اقرب الاشياء المثال الينا عين ذاتنا و نفسنا من

وجودها على عين اليقين نشاهد طول عمرنا جما غفيراً من آثارها في نشأة الاقوام و عمارة البلاد و ضبط العلوم و اختراع الصناعات و مع استفراغنا الوسع في معرفة تلك الموجودات لانعثر على دليل يدلنا على ماهيتها و كيفية علاقتها بالماديات لا نعرف ما هي ولا كيف هي ولا حيث هي ولا اين هي انظر الى حياتك بها انت ما انت و بها صرت ممتازاً عما سواك في العالم من الحي والموات و بها تشخصت عين ذاتك و معها تاكل وتشرب وتروح و تغدو ومعها تسمع وتبصر و تتفكر و تذكر و تريد و تكره و معها تنمو فتكون رضيعا و يافعا و شيخا و بعد مفارقتها الجسم تعود ميتا ثم رفاتا معها تكون مصدراً للحركات الارادية من ميل الى اللذات و فرار عن الموجعات و معها تكون مظهراً للاحساس والتصور و التعقل والتميز والذكر و معها لك حواس ظاهرة من الاذن والعين و قوى باطنة من الحافظة والعقل و مع ذلك كله لا تعرف الحياة لا تعرف اهي جوهر تغائر الجسم والجسمانيات ان كان وجود مثل هذا الجوهر المجرد عن الجسم جائزاً او هي عرض تعرو الاجسام ثم تفارقها لا تعرف لها وجوداً مستقلا مفارقا للماديات و لا تعرف اهي قديم او حادث لا تعرف كيف تلحق بالاجسام اذا لحقت و باي طريق تلحق بما تلحق و لما تلحق اذا تلحق و اما لابد من ان يكون ما تلحق به من الاجسام مولفا من الفحم و لما تكون الاجسام التي تلحقها موضعا للصعود في قوس الكون والهبوط في قوس الفساد اكثر من غيرها ولاتعرف لما تفارق الاجسام و كيف تفارقها لا تعرف ما كانت هي و اين كانت قبل ان تتصل بالاجسام او تحلها و ما تكون و كيف تكون حين فارقت الاجسام التي كانت فيها لا تعرف لها وجوداً منفكا عن وجود المادة لاتعرف كيف ينشاء فيها الحس والذوق والشم والسمع والبصر و كيف يحدث فيها التميز والذكر والانتزاع لا تعرف هل النفس المدركة عين الحياة او درجة منها او حالة طارية عليها و هل النفس المدركة

دون الادراكات الجزئية من اللمس والذوق او غيرها او اسم يطلق على جملتها او شى ينزع منها او شى تلك الادراكات من افعالها ولا علاقة لذاتها بذات الادراكات *

اليس من تمام العجز والجهل ان يكون شى فينا و يكون مشخصا لذواتنا و مميزاً لنا عما سوانا و مصدراً لجملة اعمالنا و مع ذلك نكون غير قادرين على ادني شى من معرفتها و بعد هذا الفنا شى فى العجز والقصور انظر الى ماتجاسر عليه من الزعم من ادراك ذات البارى تعالى مجده و من البحث عن صفاته والتقول بالاقوال المختلفة فيها *

لابد للعبد العارف بطور قدرته ان يعترف حق اعترافه بان معرفة ذات البارى و معرفة صفاته والحكم عليها بنوع من الاحكام امر لا سبيل له اليه وليقنع بادراك الموجودات الموجودة بوجود مقيد تقع عليها مشاعره و ليعرف ان الموجود بالوجود المقيد القابل لوقوع الادراك البشرى عليه فقط هو موضوع العلوم العقلية والغير القابل للادراك يستحيل ان يكون موضوعا لعلم من العلوم العقليات كما عرفت فائدة بادراك التغيرات الحادثة فى المادة الموجودة بالقوة الموجودة لا تسئل عن حقيقة المادة او القوة و لا تسئل عن ظهورها واما ظهورها وكيف ظهورها و انى اختصتا بعجائب من الخواص نكتفي كفاية اضطرار لا اختيار بما نشاهد من الآثار والمظاهر و نمضى من الموجود القابل للادراك فى الحال الى ماسبقه من الموجود القابل للادراك و من سابق الى ما سبقه حتى ننتهى الى اوليات من المادة والقوة والزمان والمكان والحياة فنقف عندها و ناخذها حدوداً لايمكن لنا المسير ورائها لا لانها تقف باختيار منا بل لانه يمتنع ان نخوض فيما فوقها وغرض العقليات من المرور من الموجود الى السابق ادراك الملازمة الذاتية في افراد السابق و جماعاتها و افراد اللاحق و جماعاتها و معرفة المعلولات الحادثة و علل حدوثها لتجمع اصولا كلية يصون علمها

مع العمل عليه من المخوفات المهلكة و تجاب معرفتها مع الانقياد لها الطبيعيات الحسية موضوعها موجود مدرك وغرضها استخراج علاقة العلية بين علل الحدوث و معلولاتها لاتجاوزهما العقليات ولا يمكن ان تتجاوزهما المباحث في العقليات من الواحد الواجب المطلق كالباحث من جذر المقادير الصمية في الهندسة الاذعان بالواحد الواجب المطلق الذي منه ظهرت المظاهر كلها من المادة والقوة والزمان والمكان والحيوة والذي به سرمد ما سرمد منها واستدام ما استدام منها و زال ما زال منها ليس بموضوع العلوم العقلية بل هو موضوع الدين و هو امر وجد اني تقربه العقول السليمة و تومن به القلوب الوجلة الخاشعة و تسلم له الفطرة الاصيلة الاصلية يجلوه تبلج انوار الهداية والايمان ويحجبه تلجلج غياهب الفلسفة والميزان و كيف لا يكون كذلك و قد فسرت لك ان العلم والدين موضوعيهما متضادان و مطلوبيهما متناقضان موضوع العلم مدرك و موضوع الدين غير مدرك موضوع العلم مقيد و موضوع الدين مطلق يبحث العلم فقط عما يشاهد ولا يعبأ مالا يشاهد و يذعن الدين بمن به يشاهد ما يشاهد يقف العلم عند اوليات يسلمها ولا يخوض فيما فوقها و يطلب الدين قويا واحدا تلك الاوليات من اثاره تكشف العلوم العقلية من بدائع الصنع المتقن و عجائب النظم المحكم فيما يشاهد في صغيرات يدق على غامضات الفطن ادراكها و عظيمات يجل عن احاطة العقول القويمة تصور عظمها من حيوانات صغيرة ذات اشلاء تشمل قطرة ماء يحملها راس ابرة على الوف الوف منها و من فضاء واسع نسبته الى الشمس كنسبة البحر الى واحد من تلك الحيوانات الصغيرة و فيما يشاهد من دوام المادة والقوة مع غرائب خواصهما و ملهيات تعاملهما في الكون والفساد و من عجائب علاقات الحيات بالمادة و من صيرورة المادة الواحدة بعينها تارة فحما و تارة الماساً وتارة شجراً و تارة حيوانا و من صيرورة القوة الواحدة مرة حرارة و أخرى نورا و ثالثة برقا و رابعة

حركة و من صيرورة الحياة تارة حسا و تارة تصوراً و تارة تعقلا و تارة حافظة و تارة مميزة و يجعل الدين ماتكشفه العلوم العقلية و سبلا الى الاذعان بقوى و احد ليس كمثله شي لايعلم ما هو ولاكيف هو ولاحيث هو الا هو *

كما يستحيل لنا تصور عدم الزمان او عدم المكان او عدم المادة او عدم القوة كذلك يستحيل لنا تصور عدم القوى الواحد الواجب المطلق الذي منه ظهرت تلك المظاهر و به استدامت والجاحد له اذا انكره يقدر على ان ينكره باللفظ فقط ولا يقدر على ان ينكره معنى في نفس الامر لان الجاحد له اذا انكره و قال ليست هذه المظاهر المختلفة التي نجدها ~~من المادة والقوة والزمان~~ والمكان بمخلوقات لواجب مطلق يجل عن الادراك و تجل كيفية خلقه اياها عن المعرفة بل هي موجودات بانفسها و قايمات بذواتها وافقنا في شي و خالفنا في اخر وافقنا في الاذعان بان تلك المظاهر المختلفة ثباتها و دوامها و قدمها و سرمديتها لشي تشارك فيه مع الاختلاف فيما يتميز به القوة من المادة والمادة من الزمان والزمان من المكان و خالفنا في ان ادخل ذلك الشي فيها و نفي كونه خارجا منها ولم يعترف بعدم قدرته على ادراكه بل حكم بكونه في المظاهر فانكار الجاحد انكار في الظاهر واثبات لما يمتنع له اثباته في الواقع نجد مظاهر اولية تنقف عندها العلوم من المادة والقوة والزمان والمكان فنق عن استظهاراً بالدين انها مظاهر ذات واحدة مطلقة لانعرفها ولا نقدر على ان نعرفها والجاحد يرى تلك المظاهر الاولية فلا ينكر وجود شي به ثبات تلك المظاهر و قيامها و منه دوامها و قدمها و سرمديتها بل يسلم وجوده ولا يمتنع على تسليم الوجود بل ينكر كون ذلك الشي خارجا من تلك المظاهر المختلفة و يثبت كونه في ذات تلك المظاهر و داخلها فنحن مذعنون بوجوده و مامورون بالوقوف دون الخوض في ذاته والجاحد

بجحده بكلام به يظهر جسارته على ادراكه والحكم عليه بكونه داخلا في المظاهر *

هذا صور ما اردت بيانه في المقدمة وليس باحد باعرف مني باعتراف الفتور الواقع في نظم العبارات واختلاف الوهن الحادث في نضد المطالب خصوصا من تكرير تقرير في بيان مطلب واحد في مقامات شتى لا جعله الله مملا وقد فرط ما فرط منه لما حررت المقدمة في فرص انتهزتها وساعات اختلستها هيهات هيهات لو تيسرلي زمان متصل خلوت له وخلالي *

تمت